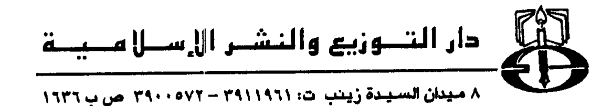
زينب الغزالى

أيام من حياتى

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

شركة الأمل للتجهيزات الفنية
عامر شماخ وشركاه
ت: ٥٧٦١٩٦٢



إهـــداء

* إلى الأرواح الطاهرة الزكية التى صعدت إلى بارئهـا، فرحة بفضل الله عليها ورضوانه . .

* إلى النفـوس النقيـة التى أزهقت فى سبـيل ربها، وذهبت إليـه تشكو ظلم البشرية وطغيانها . .

* إلى الدماء التـى سالت لتكون موجـاً هادراً يدفع الأجيـال عبر الـتاريخ إلى طريق ربها . .

* إلى الشهـداء الذين قتلوا فى سبـيل الله وفى سبيل الإسـلام فضحـوا وفدوا فكانوا فى الأرض الأوفياء، وفى الآخرة الخالدين الفائزين . .

* إلى الذين قـال لهم الناس: ﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣].

* إلى الذين عُذبوا فى سبيل الله تعالى فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا . .

* إلى زوجى، إلى تلك النفـس الطيبـة التى شـاركـتنى أيام حـياتى ببـذلهـا وتضحيتها، ثم فاضت تلك الروح الندية، والمحنة قائمة . .

لكل هؤلاء وللمـسلمين فى مشـارق الأرض ومغـاربها أقدم هذا الـكتاب. وأسألك اللهم أن تتقبله وتنفع به . . ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٧].

زينب الغزالى الجبيلى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

والصلاة والســلام على سيدنا محـمد وعلى آله وصحـبه وسلم. . نازعتنى فكرة الكتابة عن «أيام من حـياتى» وترددت كثيرًا. غـير أن الكثرة ممن أثق فى إيمانهم بالقضـية الإسلامـية وهم من أبنائى وإخوانـى رواد الدعوة وبناة فكرها الذين عاشـوا معى تلك الأيام، رأوا أنه من حق الإسلام علـينا أن نسجّل تلك الحقبـة من الأيام التى عاشت فيها الدعـوة الإسلامية محـاربة من قوى الإلحاد والباطل فى الشرق والغرب، التى قامت لتقتل كلمة الحق ورافعى لوائها، وكل دعاتها الفاهمين الفاقهين المصارحين بشجاعة وصدق بأن كتاب الله وسنة رسوله معطلان ولابد من تطبيقهما والحكم بهما، ولابد من عودة الأمة الإسلامية بكل مقومـاتها إلى أرض الإسلام لتحـقق الصورة العملية العـملاقة بعودة مـجتمع التوحـيد والعلم والمعـرفة والصلة الحـقيـقيـة بالله سبحـانه وتعالى، فـتنطوى مجتمعات الجاهلية التى أعمت البشـرية عن طريقها السوى وشغلتها بغثائها عن طريق الله. . طريق الحق، فيعملون على تطهير الأرض من تأليه البشر، وعبادة طواغيت الأرض باتباع تشـريعاتهم وتعطيل شريعة الله، وتعود الحيـاة بنبضات الوجود الحقيقى الذى كانت به الأمة - فى عصر النبى وصحبه المباركين رضوان الله عليهم جميعًا - خير أمة أخرجت للناس.

لا صـلاح لأمة ولا لهـذا العـالم إلا بالدعـوة إلى الإسـلام. إن غيـاهب

السجون ومقاصل التعذيب وشراسة حملة السياط لم تزد المخلصين من أبناء الدعوة وبناة فكرها إلا قوة وثباتًا وصبرًا على دفع الباطل ونحن نترصد منابته.

كذلك كان عهد الذين سلكوا طريق الحق قبلنا فاعتقدوه. فليس بالسياط يضيع الطريق!! ولكن الحجة بالحجة والرأى بالرأى، والكلمة تجابهها الكلمة. سهل أن تضع القوة الباطشة العمياء السياط فى أيدى المجانين، ولكن الصعب هو أن تصرف المخدوعين بالباطل والمقتنعين بحمل السياط والمتألهين فى الأرض، عن طريق غوايتهم وجهلهم فتهديهم إلى طريق مستقيم.

والطريق إلى الحق واحد وهو طريق الله وأنبيائه ورسله وورثتهم. أما الباطل فطرقه وسبله متفرقة. وعلى كل سبيل من سبله شيطان يزين للمغمورين منهم فى ظلمة الباطل غوايته ويقودهم إلى سبيله.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾

[الأنعام: ١٥٣].

وليس أمام البشرية اليوم للخلاص من ذلك الضلال وهؤلاء الطغاة من البشر إلا أن ينتهجوا منهج الحق، ومنهج الله، المنهج المحمدى الموحى به «القرآن الكريم» والملهم به من السنة الصحيحة.

وإنى لأرى بوادر النصر وإرهاصاته -إن شاء الله- بقيام الأمة وعودة المجتمع الذى سيعلو بتوحيده فوق توليفات البشر مما يغزو بلادنا اليوم من تيارات الإلحاد، نعم إنى لأحسها قريبة وأرى أعلامها ترمى بهذا الغثاء من فكر البشرية الضال فى ركام الجاهلية. وإنى لأكاد أشاهد أعلام الالتزام بما كلفت به خير أمة أخرجت للناس.. وأعلام الالتزام بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

نعم إننا لا نستعجل الزمن. فالسنون، عشراتهـا ومئاتها، ليست بذات قيمة فى عـمر الدعـوات والأمم. ولكن العـبرة أننا ثابتـون على الطريق، مـؤمنون بسلامة الخطى ووضوح الرؤية.

إننا على يقـين أننا على حق. وكل الذى يعنيـنا أن نضـيف لبنات جـديدة للبناء. المهم ألاّ نتقاعس ولا نتخاذل ولا نتقهقر عن عـقيدتنا: عقيدة التوحيد، عقيدة العمل، عقيدة البيان؛ بيان الحق للناس جميعًا، بيان عقيدتنا لكل البشر.

وإيمانًا منا بأن فـترة سجـننا وتعذيبنا هى من حق التـاريخ، ومن حق الذين على الطريق أن يعوها ويـدرسوها حتى يبقـوا على طريق الجهاد، ولا تتـحول قضيتهم إلى سفسطة كلامية، وحديث ترف وقصة تاريخ، إيمانًا بهذا كله نزلت على رأى المخلصين من أبنائى وإخـوانى، واستعنت بالله سـبحـانه وتعالى فى جمع مـا احتـوته ذاكرتى مما كـان. وإن كان من الصـعب أن يستـعاد بوصـفه ونمطه..

ويكفى دلالة عليه أن أشيـر إلى أن حاملى السياط وخبـراء التعذيب بألوانه وأشكاله، قد سموه: جهنم!!

إن جهنم هذه كـانت بوتقة لصـهر معـادن الرجال فنقتـها، وانجلت مـهزلة التعـذيب عن رجال مـحصتـهم الفتنة فـقالوا بأعلى صوت: «يـا أيها الناس: الإسلام ليس انتماء بل التزام واتباع».

وأرجـو الله أن يعـيننى على اسـتـعادة الـصورة أو بعـضـهـا، وأن تكون للمخلصين مشعل حق ونور وهداية.

فلنشق لخطانا صراطًا مستقيمًا، وإنى لأعيدها وأصر عليها:

«إنها رسالة الرسل والأنبياء، هيمنت عليها وأكملتها رسالة محمد ﷺ، فبشريعتها أتم الحق تكاليفه لعباده ونسخ بها ما سبقها وأقامها حقيقة زكية ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

إن الذين تجشموا وعورة الطريق وعرفوا بمشيئة الله مقاصد الكتاب والسنة، لن يحيدوا عن الحق والخير والدعوة إليه حتى تقوم الأمة وتستقر البشرية تحت أعلام كتاب الله وسنة رسوله.

وإننا لعلى الطريق مثابرون محتسبون ما نلاقى عند الله.. ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ [التوبة: ١١١].

فإلى أرواح الشهداء الذين سبقونا: تحية حب وعرفان ووعداً بأننا على الطريق. إلى كل من كان فى قلبه مثقال ذرة من خير.. لعل الله أن ينفع به ويهدى.. وما تشاءون إلا أن يشاء الله.

زينب الغزالى الجبيلى

الباب الأول

عبدالناصر يكرهنى شخصيًا!

فى مساء يوم من أيام الشتاء، وفى أوائل شهر فبراير عام ١٩٦٤ م كنت عائدة إلى بيتى، حين انقلبت بى عربتى إثر اصطدامها بعربة أخرى، كانت الصدمة قاسية فذهبت فى شبه إغماءة، كانت الآلام الشديدة توقظنى منها. ولم أتبين من كل ما حدث حولى إلا صوت إنسان ينادى اسمى فى فزع، وغبت عن الوعى، وحين تنبهت وجدت نفسى فى مستشفى هليوبوليس وبجانبى زوجى وأشقائى وشقيقاتى وبعض زملائى فى الدعوة وزميلاتى. كان الكل فى فزع وألم شديدين تحكيهما تعبيرات الوجوه التى تصفحتها وأنا أفتح عينىّ لأول مرة وشفتاى تتمتمان «الحمد لله.. الحمد لله» وكأنى بالتمتمة أسألهم عما حدث؛ إلا أننى ما لبثت أن غبت ثانية عن الوعى، ولم أتنبه إلا بدخول إحدى الحكيمات بالمستشفى مع ممرضين وممرضتين لحملى إلى حجرة الأشعة. وتذكرت ما حدث وسمعت زوجى يقول: الحمد لله سلمها الله، احمدى الله يا حاجة. وسألت عن سائق عربتى فعلمت أنه -بحمد الله- بخير، وأنه يعالج فى المستشفى، وعلمت فيما بعد أنه أصيب بارتجاج فى المخ. وحُملت إلى غرفة الأشعة، ولما تبين وجود كسر فى عظمة الفخذ، وضع ساقى فى قفص حديدى وتقرر إجراء عملية جراحية. ونقلت إلى مستشفى مظهر

عاشور ليجريها لى جراح العظام الدكتور محمد عبد الله، واستغرق إجراء العملية -تعاد بعد التحضير والتخدير- ثلاث ساعات ونصف الساعة. . عشت بعدها فترة، ونذر الخطر تحيط بى.

ثم زالت أيام الخطر وبدأت ألتقط ما يقال وما ينقل، مما يوضح أن الحادث كان مدبرًا من مخابرات جمال عبد الناصر لاغتيالى، وتواترت الأخبار تؤكد ذلك. وكان لفيف من الشباب المسلم يزورنى يوميًا للاطمئنان، وعلى رأسهم الأخ الشهيد عبدالفتاح عبده إسماعيل. فلما بلغتنى تلك الأخبار، طلبت منه أن يقلل الشباب من زيارتى. وكان رده أنه قد حاول هذا فعلاً، ولكنهم رفضوا وأصروا على زيارتى. .

وفى أحد الأيام التالية دخل السكرتير الإدارى لجماعة السيدات المسلمات وبيده ملف أوراق، يعرضها علىّ بصفتى رئيسة الجماعة، وكان فى الغرفة زوجى والسيدة حرم الأستاذ الهضيبى المرشد العام للإخوان المسلمين، ورأيت زوجى يسرع إلى السكرتير قبل أن تتاح له فرصة تقديم الملف لى فيأخذه منه ويخرج معه من الحجرة، وهو يحدثه حديثًا فهمت منه أنه نهاه مرة قبل ذلك عن تقديم هذه الأوراق لى، ودهشت لذلك وسألت زوجى عن السبب فتعلل بأننى محتاجة إلى موافقة الدكتور عبدالله المشرف على علاجى. وذهب زوجى إلى الدكتور الذى ما لبث أن جاء ليكشف على ساقى وليحرم علىّ القيام بأى عمل، ليؤكد لى أنه منع دخول الأوراق أو وصول الأخبار عن الجمعية إلىّ. ولما احتججت بأن الأمر بسيط لن يتعدى التوقيعات أصر على موقفه. ومضت أيام رجوت الطبيب بعدها السماح بمزاولة بعض أعمال الجماعة من فراشى فرفض، وازددت يقينًا بأن هناك شيئًا ما، يتعمد الجميع إخفاءه عنى: زوجى والسكرتير والزائرون، بل حتى سكرتيرة مجلس إدارة جماعة السيدات

المسلمات التى كانت تزورنى دائمًا، وكنت أحس من إجابتها المقتضبة على أسئلتى عن الجماعة بأنها تخفى عنى شيئًا.

وجاءتنى السكرتيرة فى أمسية استجمعت فيها شجاعتها لتنقل إلىّ -وبوجود زوجى- ما أخفوه عنى. كان الأمر خطيراً على ما بدا من موقف زوجى المذكر بشجاعتى والمشجع على الصبر والاحتمال وقوة الإرادة. وأخذت الأوراق من السيدة فإذا هى قرار بـ: «حل المركز العام لجماعة السيدات المسلمات»، وأخذت السكرتيرة تتحدث إلىّ قائلة: «طبعًا يا حاجة الأمر شديد بالنسبة إليك». قلت: «الحمد لله، ولكن ليس من حق الحكومة أن تحل الجماعة، إنها جماعة إسلامية» أجابتنى: «لا أحد يقدر أن يقول للحكومة هذا، لقد بذلنا مجهودًا كبيرًا جدًا، ولكن عبدالناصر مصر على حل الجماعة، **هو يكرهك شخصيًا يا حاجة زينب!!** لا يطيق أن يسمع اسمك على لسان أى إنسان. عندما يذكر اسمك يثور ويغضب وينهى المقابلة!

قلت: «الحمد لله الذى جعله يخافنى ويبغضنى، وأنا أبغضه لوجه الله، ولن يزيدنا طغيانه، نحن معاشر المجاهدين، إلا إصرارًا على أن نرضى ضمائرنا ونعيش لدعوتنا، إنها دعوة التوحيد وسننتصر بإذن الله، وأرخص ما نبذله لها أن نستشهد فى سبيلها».

«ليس لعبد الناصر الحق فى أن يحل جماعة السيدات المسلمات. إن الله تبارك وتعالى هو الذى يعقد للمسلمين راياتهم، والذى يعقده الله لا يحله البشر».

قالت والدموع فى عينيها: «يا حاجة.. المسألة خطيرة، ونرجو الله أن لا تنتهى بحل الجماعة، ربما كانت كلماتك هذه تسجل، أو أنها قد سجلت فعلاً.

ربما كان هنا جهاز تسجيل». كانت تسر في أذني بهذه الكلمات وكأنها تخشى تسجيل كلماتها، واستمرت تسر إليّ: «يا حاجة: أنا أطلب منك شيئًا صغيراً وهو التوقيع على هذه الورقة، فإذا وقعتها سيلغى قرار الحل». فسألتها أن تطلعني على الورقة فإذا هي استمارة انتساب للاتحاد الاشتراكي، فقلت لها: «لا والله، شلّت يدى إذا وقعت يومًا على ما يدينني أمام الله بأنني اعترفت بحكم الطاغوت جمال عبدالناصر الذى قتل عبدالقادر عوده وزملاءه. إن الذين غمسوا أيديهم في دم الموحدين خصوم لله وللمؤمنين. الأشرف لنا أن يحل المركز العام للسيدات المسلمات». قبلت رأسي وهي تبكي وتقول:

- أتثقين بأنني ابنتك؟

قلت: نعم..

قالت: فاتركي هذا الموضوع..

قلت: سنترك الأمر، ولن أوقع هذه الورقة. إن فيها ولاء للطاغية، وهذا أمر مستحيل إتيانه، والله يفعل ما يختاره لعباده. ومرت أيام المستشفى وتقرر خروجي مع استمرار العلاج.

أنا والاتحاد الاشتراكي

وفي البيت كانت السيدة السكرتيرة تزورني يوميا وأخبرتني بأن قرار الحل أوقف. ودهشت لذلك وسألت كيف ذلك فقالت: «لا أدري. ربما يكون فتح باب للاتصال بك». وأخذ السكرتير الإداري يحضر لي ما يحتاج للاطلاع والتوقيع، وأخذت أزاول نشاطي في تسيير أعمال المركز العام للسيدات المسلمات من بيتي. ولكني عدت إلى المستشفى مرة أخرى لإجراء عملية

جراحية لرفع المسامير من الفخذ، وكـان قد أفرج عن الشهيد الإمام سيد قطب وزارنى فى المستشفى وجمع من الإخـوان. وذات يوم فوجئت بخطاب مسجل عن طريق البريد ببطاقة كتبت فيها هذه البيانات:

«الاتحاد الاشتراكى العربى»

حرية - اشتراكية- وحدة

الاسم والشهرة: زينب الغزالى الجبيلى، وشهرتها: زينب الغزالى.

الوظيفة أو المهنة: رئيسة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات.

وحدة: البساتين- ألماظة.

قسم: مصر الجديدة.

محافظة: القاهرة.

جاءتنى هذه البطاقة بالبريد ومعها ما يثبت سداد اشتراكى عن عام ١٩٦٤، فضحكت ضحكـة مريرة بما صار إليه حال «مصر»، وتذكـرت كيف كنا نعيش فى حرية لعنوها بـعد انقلابهم العـسكرى. وبعد استكمـال العلاج بالمستـشفى عدت إلـى المنزل وأخذت دعـوات الاتحاد الاشتـراكى تتوالى بـالبريد لحـضور اجتماعات الاتحاد الاشتراكى، ولكننى قـررت أن أتخذ موقفًا سلبيًا، وبعد أيام صرح الدكـتور بالخـروج ومزاولة نشاطى تدريـجيا فى المركـز العام للسـيدات المسلمات، وكنت لا أزال أستعين بالعكاز فى المشى.

وفى صبيحـة أحد الأيام، وبينما أنا بالمركز العام للسـيدات المسلمات، دق جـرس الهـاتف، وطلب منى السكرتـير أن أرد علـى من يطلبنى من الاتحـاد

الاشتراكى، أمسكت بالسماعة قائلة لمحدثى: «السلام عليكم» ورد السلام من الجهة الأخرى، ثم قلت: «نعم، ماذا تريد؟» فسألنى إن كنت أنا زينب الغزالى، ولما أجبت بالإيجاب قال:

«نحن هنا الاتحاد الاشتراكى، إن شاء الله أعضاء مجلس إدارة السيدات المسلمات وحضرتك على رأسهم تشرفى وتنورى، تأخذون علم السيدات المسلمات وتذهبون لاستقبال عبدالناصر فى المطار».

فأجبته: «إن شاء الله، يفعل الله ما يشاء ويختار».

قال: «عشمنا كده، مجلس الإدارة وعدد كبير من أعضاء الجمعية العمومية، وإذا أمرت أرسلنا لك عربة تكون تحت تصرفكم».

قلت: «شكراً».

وانتهت المكالمة.

وبعد يومين أو ثلاثة جاءت مكالمة أخرى من الاتحاد الاشتراكى، كانت سيدة تسأل عن سبب عدم حضورنا لاستقبال الرئيس فى المطار. قلت: «إن أعضاء مجلس إدارة السيدات المسلمات والجمعية العمومية ملتزمات بالسلوك الإسلامى، ولا يستطعن يا ابنتى الحضور فى مثل هذه الاستقبالات المزدحمة».

قالت: «إزاى الكلام ده ياست زينب؟ يبدو إنك مش عاوزة تتعاونى معنا، هل بلغت العضوات وهن رفضن؟».

قلت: «مادمت أنا غير مقتنعة بهذا العمل لأنه يخالف تعاليم الإسلام فكيف أبلغهن؟».

قالت: «إنت غير متعاونة معنا».

قلت: «نحن مرتبطات بتعاليم القرآن والسنة، عهدنا مع الله، وتعاوننا على البر والتقوى كما أمرنا الله، والهاتف لا يصلح لمثل هذه المناقشة».

قالت: «تفضلى، سننتظرك فى مركز الاتحاد الاشتراكى بميدان عابدين لنتفاهم».

قلت: «أنا مريضة، حركتى قليلة بسبب علاج رجلى، فإذا شئتِ تفضلى وشرفينا فى المركز العام للسيدات المسلمات».

قالت: «وأنت نازلة من البيت مرى علينا، ألستِ عضوة فى الاتحاد الاشتراكى؟».

قلت: «أنا عضوة فى المركز العام لجماعة السيدات المسلمات، والسلام عليك يا ابنتى ورحمة الله».

وأنهيت المكالمة ولم أذهب إليها.

وبعد أسبوع من هذه المكالمات التليفونية عرض علىّ سكرتير الجماعة خطابًا مسجلاً يحمل تاريخ ١٥/٩/١٩٦٤ بقرار وزارى رقم ١٣٢ بتاريخ ٦/٩/١٩٦٤ م. والقرار ينهى إلينا حل المركز العام للسيدات المسلمات مرة أخرى!!

«لا».. للطاغية

وعقد مجلس إدارة السيدات المسلمات اجتماعاً عاجلاً فى ٩ جمادى ١٣٨٤ الموافق ١٥/٩/١٩٦٤، وهو نفس اليوم الذى وصل فيه قرار الحل، وقرر المجلس رفض قرار الحل وتسليم الجماعة وأموالها وممتلكاتها لجماعة أخرى كانت قد انفصلت عنا بإيعاز من المباحث العامة قبل انقلاب عبدالناصر، ثم تحولت هذه الفئة المنشقة بعد الانقلاب إلى جند لعبد الناصر، كما قرر المجلس

دعوة الجمعية العمومية لجلسة طارئة استثنائية فى مدة لا تتجاوز ٢٤ ساعة، واجتمعت الجمعية العمومية، وقررت رفض قرار الحل وعرض الأمر على القضاء.

ووكلنا الدكتور عبدالله رشوان المحامى ليمثلنا فى القضية، وأرسلت الجماعة خطابات مسجلة وبرقيات إلى رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية والشئون الاجتماعية والنائب العام وصوراً منها للصحف، نخطرها برفض قرار الحل، وبأن المركز العام للسيدات المسلمات تأسس ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٦ م لنشر الدعوة الإسلامية والعودة بالمسلمين إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم، وليس لوزارة الشئون أو الداخلية ولاية علينا، والولاية لله وحده، ولمن يقيم دينه، ويحكم بشرعه.

وعند ذلك تعجل عبدالناصر قرار الحل والإدماج كما سبق أن أصدر من قبل -وللانتقام الشخصى من زينب الغزالى؛ لتعطيل دعوة الله ولوجه الشيطان- أمراً عسكريًا بوقف صدور مجلة (السيدات المسلمات) لأجل غير مسمى، وكنت صاحبة امتيازها ورئيسة تحريرها.

واقتحم زبانية الطاغوت دار المركز العام لجماعة السيدات المسلمات واستولوا على محتوياته، وشردوا مائة وعشرين فتاة وطفلة يتيمات كانت جماعة السيدات المسلمات تؤويهن وتكفل جميع احتياجاتهن من إيواء وتعليم، بكل مراحله من الروضة إلى الجامعة.

وأحب أن أسجل هنا بكل فخر أن زبانية الطاغوت لم يجدوا سيدة واحدة فى انتظارهم من أعضاء المركز العام للسيدات المسلمات، سواء من مجلس الإدارة أو الجمعية العمومية أو هيئة الواعظات، وكانوا قد طلبوا منى الحضور لتسليمهم الدار فرفضت، وكذلك كان موقف جميع عضوات الدار فاستلموا من السكرتير الإدارى، وهو موظف وليس له هذا الحق..

ويشرفنى أن أسجل هنا بعض العبارات التى سجلتها الجمعية العمومية فى جلستها، وأرسلتها ترد بها على قرار الحل إلى رئيس الجمهورية ووزير الشئون والنائب العام ووزير الداخلية والصحف:

«إن جماعة السيدات المسلمات أسست ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٦ م لنشر دعوة الله والعمل على إيجاد الأمة المسلمة التى تعيد للإسلام عزته ودولته، وكانت لله وستظل لله، وليس لأى حاكم علمانى حق الولاية على المسلمين».

«فجماعة السيدات المسلمات، رسالتها الدعوة إلى الإسلام وتجنيد الرجال والنساء شبابًا وشيبًا لاعتقاد رسالته وإقامة دولته الحاكمة بما أنزل الله».

«ونحن -السيدات المسلمات- نرفض قرار الحل، وليس لرئيس الجمهورية -وهو ينادى بعلمانية الدولة- حق الولاء علينا، ولا لوزارة الشئون الاجتماعية كذلك. وليست الدعوة أموالاً أو حطامًا تصادره حكومة العلمانيين المحاربين لله ولرسوله وللأمة المسلمة».

«فلتصادر الحكومة الأموال والحطام ولكنها لا تستطيع أن تصادر عقيدتنا. إن رسالتنا رسالة دعوة ودعاة، إننا نقف تحت مظلة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وهذا الاعتقاد بأنه لا إله إلا الله يلزمنا بالجهاد المستمر المتواصل غير المنقطع، حتى تقوم دولة الإسلام بأمة الإسلام الواعية لدينها الحاكمة بشرعه، المجاهدة فى سبيل نشره».

ماذا نفعل بعد ذلك؟

أخذت سيدات الجماعة يتوافدن إلى بيتى بعد ذلك متسائلات: ماذا نفعل؟.

كان هذا الموقف الشامخ من السيدات المسلمات سنة ١٩٦٤ فى قمة عنفوان السلطة الناصرية، فى الوقت الذى كان فيه الكثيرون يقفون موقف التقية،

ويقرون الطاغوت على فعله بل يصدرون الفتاوى المؤيدة لأفعاله.. ويصبغون عليه صبغة ترفعه إلى مكان الألوهية!

وما كانت التقية كذلك يومًا ما فى الإسلام لضياع العقيدة والتمويه على المسلمين، ولقد رأينا بعض المجلات الإسلامية تتسابق فى إرضاء الطاغوت. حتى مجلة الأزهر نفسه العزيزة علينا معزته، تخلط بعض سطورها بنبضات هامدة لكتاب منافقين يتسابقون فى إرضاء الباطل وأهله..

وأخذت الفتاوى تتوالى فى تجريح المجاهدين الذين أخذوا بالعزيمة ولم يأخذوا بالضلال، الذى سماه من أخذ به رخصة، جرّحوا المجاهدين الذين قالوا بالتزام الإسلام لا بالانتماء إليه، والالتزام هو الإسلام، أما الانتماء بغير التزام فشىء آخر.

وقد أبت جماعة السيدات المسلمات أن تأخذ بما سموه رخصة، أو أن تكتفى بالانتماء، فرفعت لواء الحق وقالت كلمة الصدق فى وقت تخلّى فيه كثير من الناس عن الحق والصدق خوفًا على مناصبهم وضياع دنياهم، ولم تقف موقف المتفرج كما فعل كثير من الناس، ولكنها قالت رأيها بصراحة -فى الأوضاع التى كانت سائدة يومئذ- لا تبتغى إلا وجه الله وإن غضب الناس جميعًا. وكانت عضوات الجماعة لا يصبرن على عدم لقائى فأخذن يتوافدن على بيتى يواسيننى فى الأمر. فقد كانت جماعة السيدات المسلمات حياتى ووجودى، عاهدت الله يوم تأسيسها أن لا أعيش لغيره سبحانه. وأخذت أعداد السيدات المسلمات الكبيرة المتوافدة على دارى يعاهدن الله من جديد ألا يعشن إلا لكلمة الحق وتبليغها، واتفقن معى على عقد اجتماعات بمنازلهن تتولى الواعظات فيها إرشاد السيدات إلى مبادئ الإسلام، ولكن حكومة الطاغية التى كانت تتعقب الدعاة إلى الله فى كل مكان بهذه الاجتماعات، أرسلت إلى

السيدات اللائى يتم الوعظ فى منازلهن وقامت بتهديدهن وأخذ التعهد عليهن ألا يعقدن اجتماعاً للوعظ فى بيوتهن. واقتصر النشاط بعد ذلك على الاتصال الفردى.

المساومة ثم المخادعة

أخذ رجال المباحث والمخابرات الناصرية يطلبون مقابلتى ويعرضون علىّ عروضًا لإعادة المركز العام للسيدات المسلمات. وكانت هذه العروض تكلفنى أن أشترى الدنيا بالآخرة. وعلى سبيل المثال عرضوا علىّ إعادة إصدار مجلة السيدات المسلمات باسمى كرئيسة للتحرير وصاحبة الامتياز مقابل ٣٠٠ جنيه شهرياً، على أن لا يكون لى شأن بما يكتب فى المجلة. وكان جوابى: مستحيل أن تصدر مجلة السيدات المسلمات من مكاتب المخابرات لتنشر علمانية العهد. لم أعتد إلا أن أكون مسئولة مسئولية فعلية. كذلك عرضوا علىّ إعادة المركز العام وصرف إعانة قدرها عشرون ألف جنيه سنويًا، على أن يكون إحدى مؤسسات الاتحاد الاشتراكى..

وكانت أجابتى: إن شاء الله، لن يكون عملنا إلا للإسلام ولن نموّه ولن نضلل. إن الذين يتكسبون بالإسلام لا يستطيعون خدمته، وكان هذا الرفض يغضبهم. ولكنهم يحاولون إغرائى المرة بعد المرة. وكنت أتعجب من هذه الطريقة ومن إصرارهم على هذه المحاولات الفاشلة، ولكننى اكتشفت الحقيقة بعد ذلك وعرفت لماذا هم حريصون على مخادعتى.

خفافيش الليل

ففى إحدى الأمسيات، وأنا فى منزلى، استأذن ثلاثة رجال لمقابلتى، وبعد دخولهم إلى حجرة الصالون ذهبت إليهم فوجدتهم يلبسون (غترًا) عربية، ولما

سلمت عليهم قدموا لى أنفسهم على أنهم من سوريا، قادمون من السعودية للفسحة فى القاهرة لمدة عشرة أيام وأنهم قابلوا فى السعودية الأستاذ سعيد رمضان والشيخ مصطفى العالم وكامل الشريف ومحمد العشماوى وفتحى الخولى (هؤلاء من الإخوان الذين فروا من الطاغوت وظلمه)، وهم يسلمون على الإخوان فى مصر ويريدون أن يطمئنوا عليهم وعلى تنظيمهم، وقد أمرونا بالانضمام إلى هذا التنظيم ونحن مستعدون لتنفيذ الأوامر والبقاء فى مصر لمعاونة التنظيم.

ثم أخذوا يتحدثون عن الإخوان وعن عبدالناصر وكيف أنه يضطهد الإخوان المسلمين ثم تكلموا عن أحداث سنة ١٩٥٤ وعن حل جماعة الإخوان المسلمين واستشهاد عبدالقادر عودة وزملائه، وكيف أنهم مستعدون للأخذ بالثأر وقتل عبدالناصر، وأن هذا هو رأى كامل الشريف والعشماوى ورمضان والخولى والعالم.

ولما كنت أسمع لهم فقط، طلبوا منى الإجابة، فقلت: «أنا أستمع إلى أشياء جديدة علىّ ومصطلحات لا أدرى عنها شيئًا». قالوا: «سنرجع لك يا أخت زينب مرة أخرى لنعرف رأى المرشد ورأى التنظيم فى هذا...».

فأجبتهم باقتضاب:

«أولاً: أنا لا أعرف شيئًا يسمى التنظيم فى الإخوان. وأسمع أن الإخوان كجماعة قد حلت كما تقول الحكومة.

ثانيًا: أنا لا أحدث المرشد فى مثل هذه الأمور، فصداقتى به وصلتى: إخوة إسلامية ومحبة عائلية.

ثالثًا: إن قتل عبدالناصر شىء غير وارد عند المسلمين كما أتصور، وأنا

أنصحكم بالعودة إلى بلدكم والاشتغال بتربية أنفسكم إسلاميا».

وبعد أن كانوا يستمعـون إليَّ وهم وقوف جلسوا وقال أحدهم: «الظاهر أن الأخت زينب غير مقتنعة. من الذى خرب بلاد المسلمين غير عبدالناصر؟».

قلت: ليس من رسالة الإخـوان المسلمين قتل عبـدالناصر على ما أعتـقد. وسألتهم أن يعطونى أسمـاءهم فأعطونى أسماء تلعثموا كثـيرًا وهم ينطقونها. وكانت: عبدالشافى عبدالحق، عبدالجليل عيسى، عبدالرحمن خليل.

ضحكت لمصادفة وجود كلمة «عبـد» فى الأسماء الثلاثة، وكان واحد منهم فقط هو الذى ذكر أسماء الثلاثة.

وقلت لهم: خيـر لكم أن ترجعـوا إلى بلدكم قبل أن تمسك بكم مـباحث عبدالناصر إن كنتـم لا تعرفونها، وليس لكم بها صلة فعـلاً وأنا أعتقد ذلك. وأجاب أحدهم: على كل حال لك الحق فى أن تشكى يا حاجة فينا، سنزورك مرة أخرى وستعرفين من نحن.

وانصرفوا.

وزارنى الأخ عـبد الفـتاح إسـماعـيل فـذكرت له قـصة الزوار السـوريين المزعومين...

كلهم أحمد راسخ!

لم يمض أسـبوعـان على الزيارة الأولى حـتى فوجـئت بزيارة رجل يدعى أحمد راسخ قدم لى نفسه على أنه من المبـاحث العامة. وأخذ يسألنى عما دار بينى وبين السوريين الذين زارونى...

فوضحت له أننى مدركة تماماً أنهم جواسيس وليسوا إخوانًا سوريين، وأنهم

فى المباحث قد أرسلوهم، وأن هذه أعمال صبيانية سخيفة، فقد فعلوا كل ما يريدون، صادروا المجلة والمركز العام فما الذى يريدونه بعد ذلك؟!

وكان أغرب ما سألنى عنه ما أعنيه فى أحاديثى عن جمالوف وجمالفة. فقلت له: إن هؤلاء ملاحدة يفخرون بالانتماء إلى الباطل وأهله. وغيّر الحديث قائلاً: «إننا مسلمون يا حاجة» قلت: «إن المسلمين غير ذلك؛ ﴿ **وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ** ﴾ [فصلت: ٥] قال: «لو تفاهمت معنا لأصبحت من الغد وزيرة للشئون الاجتماعية». فضحكت ساخرة وقلت: «المسلمون لا تغريهم المناصب، ولا يشتركون فى حكومات علمانية إلحادية. ومركز المرأة المسلمة يوم تقوم حكومة الإسلام ستقرره الحكومة الإسلامية. ماذا تريدون منى؟» قال: «نريد أن نتفاهم معًا» قلت: «هذا مستحيل، أناس يدعون للكفر ويرفعون شعارات الضلال.. وأناس يدعون لتوحيد الله والإيمان به.. فكيف يتفق هذا؟؟».

ثم أردفت قائلة: «توبوا إلى الله واستغفروه وارجعوا إليه... أرجو إنهاء المقابلة». وكان قد فرغ من القهوة التى قدمت له فقام منصرفاً وهو يقول: «والله نحن نريد أن نتفاهم معك. ويوم نتفاهم معك، ستكونين أنت التى ستصدرين قرارًا بإعادة جماعة السيدات المسلمات وكذلك المجلة»، قلت له: شكرًا.. الإسلام فى غنى عن الهيئات والجماعات التى ترضى بالعمالة لأعداء الإسلام، ربنا يهديكم ويتوب عليكم».

وبعد يومين من هذه الزيارة وقفت عربة حكومية على باب منزلى ونزل منها شاب يرتدى ملابس كحلية اللون وكنت أجلس فى شرفة المنزل فدخل وقال: «السلام عليكم يا حاجة زينب». فرددت السلام ودعوته لدخول المنزل، ودخل حجرة الضيوف وقدم لى نفسه.. أحمد راسخ ضابط من المباحث العامة،

ونظرت إليه بتـدقيق وكـأنى أبحث طوله وعرضه، فـقد دعـيت مرة إلى وزارة الداخلية لمقابلة شخص يسـمى أحمد راسخ! . . . وذهبت إلى هناك وكان فوق مكتبه لوحة مكتوبا عليها أحمد راسخ، ثم حدث أن زارنى قبل يومين الشخص الذى يسمى نفـسه: أحمـد راسخ، وها هو شخص ثالث يدعى أحـمد راسخ يزورنى!!

اسم واحد لثلاث شخصيات مختلفة. . .

أخذت أنظر إليه وأنا لا أصـدق ما أرى. . فمن غيـر المعقول أن يكون كل رجال المباحث العامة أحمد راسخ! . . .

وشـعر بنظرتى الفـاحصـة فسـألنى: «مم تتـعجـبين يا حاجـة زينب؟ من زيارتى؟».

عجبت من هذا الأمر، وأجبت ساخرة:

«لا. إن هذا البيت يستـقبل ضيوفه دائمًا -سواء كـانوا على موعد أو على غير موعد- بترحيب وتكريم. ولكنى سأحكى حكاية قرأتها فى جريدة الأهرام على ما أذكر.

«كانت ملكة هولندا وزوجهـا فى ضيافة ملك إنجلترا منذ مائتى عـام تقريبًا ولفت نظر ملك إنجـلترا اهـتمـام ملكة هـولندا بكلب كـان يجـرى فى مكان الاستقـبال، هرولت إليه فى لهفة وكـأنها فقدت الوعى، وحـملته إلى صدرها وأخذت تقبله بشغف وحنان، ثم أعطته لزوجـها وهى تسر له ببعض الكلمات وتشير إلى عينى الكلب ووجهه فأخذ الملك الكلب وأخذ يقبله كذلك. . .

تعجبت ملكة إنجلـترا وزوجها مما رأيا وبخاصة بـعد أن عادت ملكة هولندا وأخذت الكلب من زوجها وهمـا يجففان الدموع المنهمرة من أعـينهما، أخذته

وضمته إلى صدرها كطفل عزيز عليهما. ولما دُعيا إلى مائدة الطعام الملكية أخذت ملكة هولندا الكلب معها وأخذت تطعمه وتدلله. وقالت ملكة إنجلترا: إن الكلب لابنتها الأميرة. أما الملك فقد سأل ضيوفه عن سر هذا التعلق بالكلب وقال وكأنه يعتذر: «لولا أن الأميرة متعلقة بهذا الكلب لأهديته لكم». فقالت ملكة هولندا التى كانت تؤمن بتناسخ الأرواح، إن لها ابنًا مات وقد انتقلت روحه إلى هذا الكلب وأخذت تحاول إقناع ملكى إنجلترا بأن عينى الكلب هما عينا ابنها تمامًا...

وأقنع ملك إنجلترا ابنته بإهداء الكلب لملكة هولندا فأهدته لها فقد كانت تسمع القصة مع والديها».

ثم قلت له: «يا أستاذ راسخ، إن الذين يقولون بتناسخ الأرواح يدعون بعض الشبه بين الشخص المتوفى وبين الذى حلت فيه الروح بعد ذلك. ولكنى التقيت بثلاثة من المباحث كلهم يدعى أنه أحمد راسخ، ومع ذلك فهم مختلفون فى الطول والعرض واللون ولا يوجد تشابه بينهم... فهل قرر رئيس جمهوريتكم اعتناق مذهب جديد فى تناسخ الأرواح وأمركم باعتناقه؟!» فارتسمت على وجهه دهشة شديدة وحيرة بالغة. وقال: «نحن ناس طيبون يا حاجة ونريد أن نتفاهم معك، أنا صحيح أحمد راسخ». قلت: «وهذا الأمر ليس له من الأهمية نصيب».

وسألت: «ماذا تريد؟».

قال: «إن الحكومة ترغب رغبة شديدة فى التفاهم معك، ونحن نعلم أن الإخوان المسلمين خدعوك وأقنعوك بمبادئهم، والذى حدث لجماعة السيدات المسلمات وحل مركزها العام كان سببه الإخوان. هؤلاء ناس مشاغبون. ونحن

نريد أن تتفاهمى معنا. وما نريده بسيط جدًا هو أن نعرف الأفراد القائمين بنشاط من الإخوان المسلمين، والله يا حاجة الريس سيحفظ لك هذه الخدمة، وفى أيام قليلة ستلمسين نتيجة تعاونك معنا. وأنتِ سيدة طيبة طول عمرك ولا شأن لكِ بشغب الإخوان المسلمين وكفى ما سببوه لك مع الحكومة».

وأخذ يدعى أن الأستاذ الإمام الهضيبى والإمام سيد قطب.. يعملان بكل جهدهما ليتفاهما مع الرئيس، ولكن الرئيس يرفض التعاون معهما لأنه لا يأمن لهما.

وأضاف: ولو كنت تعرفين ما يقوله الإخوان عنك لتفاهمت معنا وتركت هؤلاء الذين تسببوا لك فى كل ما حدث من اضطهاد الحكومة لك وللسيدات المسلمات.

وضحكت...

ثم قلت: «سأتكلم معك على أنك رجل من رجال المباحث لا يهمنى اسمه ولا رسمه:

أولاً: إننى أعتقد أن المسلمين الذين لا يعلمون من الإسلام إلا ظواهره يعرفون ويعتقدون أنكم بعيدون عن الإسلام ومحاربون له. أتريدون أن تتفقوا مع الحق وأنتم على الباطل؟! تستوردون عقائدكم من الشرق والغرب معًا. ترفعون شعارات الإلحاد الشيوعى، وتارة تتمسحون بآلهة الرأسمالية وأنتم ضائعون بين الشعارين.. ومن هذا الضياع تستمدون تشريعاتكم وأحكامكم، أظننى صريحة معك وكلامى واضح لا يحتاج إلى تأويل. الإسلام شىء آخر غير ما تريدون».

قال: «والله يا حاجة أنا أصلى الجمعة».

قلت: «وبقية الفرائض؟».

قال: «تعودت أن أصلى الجـمعة لأن والدى كان يفـعل ذلك وكان يأخذنى معه إلى المسجد يوم الجمعة. . .».

قلت له: «ألم تسأل والدك لماذا يصلى الجمعة فقط؟».

قال: «قلوبنا مسلمة يا حاجة مادمنا نقول: لا إله إلا الله. كفاية ذلك».

قلت: «إن كلمة (لا إله إلا الله) بغير التزامكم بها ستكون حجة عليكم عند الله، لا حجة لكم».

قال: «الناس على دين ملوكهم».

قلت: «إن شاء الله تحشرون على دين ملوككم».

قال: «عشمى أن نتفاهم».

قلت: «إن رسالات الأنبـياء على مدى التاريخ لـم تلتق أبدًا بالباطل وأهله إلا لتدعوهم ليسلموا وجوههم لله سبحانه **﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [الممتحنة: ٤ - ٥].

فانصرف وهو يقول فى لهجة غاضبة: «طبعًا. . أنا لن أجىء لك ثانية وإذا أردت الاتصال بى فها هو رقم تليفونى».

قلت له: «متشكرة، لا أريده».

وفى أواخر شهر يوليه ١٩٦٥ علمت أن هناك عمليـات اعتقال فى صفوف الإخوان المسلمين وكان لى بهذه الجماعة صلة وثيقة قديمة. . .

الباب الثانى

وكـانت بيعـة

لم تكن صلتى بجمـاعة الإخوان المسلمين حديثـة كما توهمهـا العابثون إذ كانت تعود بتاريخها إلى سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٧ م.

فى ذلك اليوم البـعيد المبارك من عـام ١٣٥٨ هـ تقريبًا وبعد مـا يقرب من ستة أشهر على تأسيس جماعـة السيدات المسلمات كان أول لقاء لى مع الإمام الشهيد حـسن البنا. كان ذلك عقب محاضرة ألقيتـها على الأخوات المسلمات فى دار الإخوان المسلمين وكانت يومئذ فى العتبة.

كان الإمام المرشد فى سبيله لتكوين قـسم للأخوات المسلمات، وبعد مقدمة عن ضرورة وحـدة صفـوف المسلمين واتفاق كـلمتهم دعـانى إلى رئاسـة قسم الأخوات المسلمات. وكان هذا يعنى دمج الوليد الجـديد الذى اعتز به «جماعة السيدات المسلمات» واعتباره جـزءًا من حركة الإخوان المسلمين، ولم أعد بأكثر من مناقشـات الأمر مع الجمعـية العمومـية للسيدات المسلمـات، التى رفضت الاقتراح وإن حبذت وجود تعاون وثيق بين الهيئتين.

وتكررت اللقاءات مـع تمسك كل منا برأيه، وتأسست الأخـوات المسلمات ولم يغير ذلك من علاقـتنا الإسلامية شيئًا. وحـاولت فى آخر لقاء لنا فى دار السـيدات المسلمـات أن أخفف من غـضبـه بعهـد آخذه على نفـسى أن تكون

السيدات المسلمات لبنة من لبنات الإخوان المسلمين على أن تظل باسمها واستقلالها بما يعود على الدعوة بفائدة أكبر، على أن هذا أيضًا لم يرضه عن الاندماج بديلاً، ودارت الأحداث بسرعة ووقعت حوادث سنة ١٩٤٨، وصدر قرار حل جماعة الإخوان ومصادرة أملاكها وإغلاق شعبها، وزج بالآلاف فى المعتقلات وقامت الأخوات المسلمات بنشاط يشكرن عليه، وكانت إحداهن السيدة تحية الجبيلى زوجة أخى وابنة عمى ومنها عرفت الكثير من التفاصيل، ولأول مرة وجدت نفسى مشتاقة إلى مراجعة كل آراء الأستاذ البنا وإصراره على الاندماج الكلى. وفى صبيحة اليوم التالى لحل جماعة الإخوان كنت بمكتبى فى دار السيدات المسلمات وفى نفس الحجرة التى كان بها آخر اجتماع لى بالمرشد الإمام، ووجدت نفسى أجلس إلى مكتبى وأضع رأسى بين يدى وأبكى بكاءً شديدًا، فقد أحسست أن حسن البنا كان على حق فهو الإمام الذى يجب أن يبايع من المسلمين جميعًا على الجهاد لعودة المسلمين إلى مقعد مسئوليتهم، وإلى وجودهم الحقيقى الذى يجب أن يكونوا فيه، وهو مكان الذروة فى العالم، يقودونه إلى حيث أراد الله ويحكمونه بما أنزل الله. وأحسست أن حسن البنا كان أقوى منى وأكثر صراحة فى نشر الحقيقة وإعلانها.

وإن هذه الشجاعة والجرأة هى الرداء الذى يجب أن يرتديه كل مسلم، وقد ارتداه البنا ودعا إليه.

ثم وجدت نفسى أهتف بالسكرتير ليوصلنى بالأخ عبد الحفيظ الصيفى الذى كلفته بنقل رسالة شفوية للإمام البنا يذكره فيها بعهدى فى آخر لقاء لنا.. وحين عاد لى بتحيته ودعائه استدعيت أخى محمد الغزالى الجبيلى وكلفته بإيصال وريقة صغيرة بواسطته أو بواسطة زوجته إلى الإمام المرشد، وكان فى

الوريقة:

«سيدى الإمام حسن البنا..

زينب الغزالى الجبيلى تتقدم إليك اليوم وهى أمة عارية من كل شىء إلا من عبوديتها لله وتعبيد نفسها لخدمة دعوة الله، وأنت اليوم الإنسان الوحيد الذى يستطيع أن يبيع هذه الأمة بالثمن الذى يرضيه لدعوة الله تعالى.

فى انتظار أوامرك وتعليماتك سيدى الإمام...».

وعاد شقيقى ليحدد لى لقاءً سريعًا فى دار الشبان المسلمين، كان المفروض أن يحدث وكأنه مصادفة. ولم أكن أعدم مبررًا لتواجدى هنا، فقد كنت ذاهبة إلى صالة دار الشبان لإلقاء محاضرة، والتقيت بالأستاذ البنا فقلت له ونحن نصعد الدرج: «اللهم إنى أبايعك على العمل لقيام دولة الإسلام وأرخص ما أقدم فى سبيلها دمى، والسيدات المسلمات بشهرتها». فقال: «وأنا قبلت البيعة وتظل السيدات المسلمات الآن على ما هى عليه». وافترقنا على أن يكون اتصالنا بواسطة منزل أخى، وكانت أول رسالة من الإمام تكليفًا بالوساطة بين النحاس والإخوان، وكان رفعة مصطفى باشا النحاس خارج الحكم حينذاك وحدد النحاس المرحوم أمين خليل للقيام بإزالة سوء التفاهم، ورضى به الإمام الشهيد وكنت أنا حلقة الاتصال. وفى ليلة من ليالى فبراير سنة ١٩٤٩ جاءنى أمين خليل يقول لى: «يجب اتخاذ إجراءات سريعة ليسافر البنا من القاهرة فالمجرمون يأتمرون به ليقتلوه». ولم أجد وسيلة للاتصال به مباشرة فقد اعتقل أخى، فحاولت الاتصال بالإمام الشهيد شخصيا، وأنا فى طريقى للاتصال بلغنى خبر الاغتيال ونقله إلى المستشفى ثم تواترت الأخبار بسرعة بسوء حالته، وذهب شهيدًا إلى ربه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وجـاءت حكومة اتحـاد الأحزاب وأصـدرت أمرًا بحل جـماعـة السيـدات المسلمات، واعترضت أمام القضاء الذى حكم لنا فى عهد حكومة حسين سرى باشا سنة ١٩٥٠ بالعودة للنشاط. وكان المحامى فى القضية الأستاذ عبد الفتاح حسن «باشـا»، وجاءت حكومة الوفـد وعاد الإخوان إلى نـشاطهم وهم على بيعتهم للإمـام المرشد حسن الهضيبى، وأحببت فى اليـوم الأول لافتتاح المركز العام للإخوان المسلمين أن أعلن ولائى للدعوة بطريق غير مباشر إلى أن يقضى الله فى الأمر بما يريد، فتبـرعت بأغلى شىء كنت أعتز به فى أثاث منزلى وهو طقم صالون أرابيسك مطعم بالصدف ليؤثث به مكتب المرشد العام.

وسارت الأمور هادئة، وزارنى الشهيد عبد القادر عودة وشكرنى على التبرع وقال: «يسعدنا إذا أصبحت زينب الغزالى الجبيلى من الإخوان المسلمين».

قلت: «أرجو أن أكونها بإذن الله». فقال: «قد كانت والحمد لله». وصارت الأمور فى هـدوء ومودة بينى وبين كـثرة من أعضـاء الجمـاعة، حـتى جاءت حكومة الانقلاب العسكرى بقيادة اللواء مـحمد نجيب الذى كان قد زارنى قبل الانقلاب بأيام بـصحبـة الأمير عـبد الله الفـيصل ويس سراج الـدين والشيخ الباقورى وشقيقى على الغزالى بمناسبة وجود الأمير عبد الله الفيصل فى مصر، وقد تعـاطف الإخوان مع الانـقلاب -وكذلك الـسيدات المسـلمات- لفـترة، أحسست بعـدها أن الأمور لا تسير كما كنا نأمل، وأنهـا ليست الثورة المنتظرة تتويجًا لجهود سبقت على أيدى العاملين لإنقاذ هذا البلد.. وأخذت أنقل رأيى لمن ألقـاه من الإخـوان. وحين عـرضت مناصب وزارية على بعض الإخـوان وضحت رأيى فى مـجلة السيدات المسلمـات، فما كان لأحـد من الإخوان أن يقسم يمين الولاء لحكومـة لا تحكم بما أنزل الله.. ومن يفعل منهم ذلك يجب فصله من الإخوان، وواجب الإخوان أن يحددوا موقفهم بعد أن اتضحت نوايا

الحكومة.

وزارنى الشهيد عبد القـادر عودة طالبًا منى تأجيل الكتابة فى هذا الموضوع، وأمسكت عددين، ثم عدت إلى الكتابة إلى أن زارنى الشهـيد عبد القادر عودة للمرة الثانية حاملاً فى هذه المرة أمرًا من المرشد بعدم الكتابة فى هذا الموضوع، وتذكرت بيعـتى للبنا - رحمه الله - واعتـقدت أن الولاء قائم بها للهـضيبى، وامتثلت للأمر.

ومنذ ذلك الوقت والبيعـة تحكم تصرفاتى حتى ما يبدو منهـا خاصا كرحلة مـؤتمر السلام فى فـيينا التى لـم أقم بها إلا بعـد أن حصلت على إذن الإمـام المرشد الهضيبى.

.. وسقط القناع

ومرت الأيام وجاءت أحداث ١٩٥٤ ونكباتها ومخازيها التى أسقطت القناع عن وجه جمـال عبد الناصر لتظهـر عداءه للإسلام ومحاربتـه له فى شخوص دعاته وقـيادات نهضتـه، وصدرت أحكام الإعدام البـشعة على قمم القـيادات الإسلامية: الشهيد المستشار عبد القادر عودة، وصاحب الفضيلة العالم الأزهرى الورع الذى رصدت القيـادة البريطانية فى القنال عام ١٩٥١ عـشرة آلاف جنيه لمن يأتى به حيا أو ميتًا: الشيخ محمـد فرغلى الذى أهدى للاستعمار ميتًا دون أن تخسر الخزينة البريطانية مبلغ المكافأة، وباقى الشهداء الكرام.

حتى المجاهد الكبير حسن الهضيـبى حكموا عليه بالإعدام، ولم ينفذ، فقد أصيب فجأة بذبحة شديدة بالقلب نقل على إثرها للمنزل، وقرر الأطباء أنه لن يعيش إلا ساعـات، وهنا ظهر عبد الناصر فـأصدر عنه عفوًا، متوقـعًا أن يقرأ نعيه فى الصـحف صباح اليوم التالى، ولكن قدرة الله أحـبطت كيده، وعاش

الإمام. فلكل أجل كتاب، نعم عاش، ليؤدى بعد ذلك خدمات للمسلمين ويقود الدعوة الإسلامية فى أحلك أيام شهدتها الدعوة، وقد أظهر قوة الصلابة فى الحق وهو المريض بعدة أمراض مما أذهل الجلادين وجعلهم يقودونه إلى السجن الحربى مرة أخرى، ويعذبونه بأبشع أنواع التعذيب، ولكنه ظل متمسكًا بالحق سائرًا على طريق أصحاب الدعوات إلى أن شهد هو نهاية عبد الناصر وزبانيته وهو صامد، رافع أعلام الحق والتوحيد الذى اعتقده، متلبس بكل حبات وجوده، وأخذ بالعزيمة ولم يتسرب إلى نفسه ضعف أو وهن فى دين الله ورفض أن يأخذ بالرخص فيقيم فى بيته وينكر بقلبه كما يفتى ويأخذ بذلك بعض العلماء.

بل إنى لأذكر له هذا الموقف الكريم الشجاع حينما أراد بعض من طالت عليهم المدة واعتراهم بعض الضعف أن يأخذوا بالرخصة ويكتبوا للطاغية مؤيدين وملتمسين العفو منه، وسألوا الإمام حسن الهضيبى أن يأذن لهم فى ذلك فقال قولته المشهورة:

«أنا لا أكره أحدًا على الأخذ بالعزيمة والوقوف معنا، ولكنى أقول لكم: إن الدعوات لم تقم يومًا بالذين يأخذون بالرخص».

قال ذلك وهو الشيخ الكبير ذو الثمانين عامًا، وظل بسجن مزرعة طرة إلى آخر الأفواج التى أفرج عنها بعد موت عبد الناصر.

ولنا عودة أخرى إلى تفاصيل أحداث ١٩٦٥.

صرخات تنادى للواجب

وفى عام ١٩٥٥ رأيت نفسى مجندة لخدمة الدعوة الإسلامية بغير دعوة من أحد. فقد كانت صرخات اليتامى الذين فقدوا آباءهم بالتعذيب، ودموع النساء

اللاتى ترملن وأزواجهن خلف قضبان السجون، والآباء والأمهات من الشيوخ الذين فقدوا فلذات أكبادهم، كانت هذه الصرخات والدموع تنفذ إلى أعماقى، ووجدت نفسى وكأنى من المسئولين عن ضياع الجياع وجراح المعذبين، وأخذت أقدم القليل.

ولكن أعداد الجياع تزداد يومًا بعد يوم، وأعداد العرايا كذلك، وأخبار الشهداء الذين يقضى عليهم تحت سياط الفجرة المارقين القساة الجاحدين. والمدارس والجامعات تتطلب مصاريف وأدوات وملابس. وأصحاب المنازل يطالبون بإيجار منازلهم. وزادت المشكلة تعقيدًا، وثقل الحمل على حامله. واتسع الخرق على الراقع وبخاصة بعد عام ونصف، وبالتحديد فى منتصف سنة ١٩٥٦ حينما خرج بعض أعداد من المعتقلين الذين لم يحكم عليهم. كان البعض منهم فى أشد الحاجة لمن يزوده بالمال والطعام والملابس والمأوى. كل هذا والمسلمون فى هذا البلد الطيب فى مصر التى نكبت بمن قاد الانقلاب ليس فيهم من يعى واجبه، بل على العكس من ذلك وجدنا كثيرًا من علماء وشيوخ الدين يتبرأون من المجاهدين..

كان الجميع من المتفرجين على ما يحدث، حتى الذين يبكون للمأساة ويتألمون، كانوا يكتمون آلامهم ويخفون دموعهم خشية أن يتهمهم الطاغية بأنهم مسلمون! ولما اشتد بى الألم على ما وصلت إليه الأمور، ولما لم أجد لنفسى مخرجًا، ذهبت إلى زيارة أستاذى الجليل صاحب الفضيلة الشيخ محمد الأودن، وهو من القلة القليلة التقية النقية من رجال الأزهر. وكنت أستشيره فى كل ما يعرض لى من أمور الدعوة وعلوم الإسلام، وكان يعتقد معى أن عدم اندماج السيدات المسلمات ربما يخدم الإخوان فى فترة مقبلة.

وقد كان يعلم بيعتى للبنا ويباركها ويؤيدها، كما كان يعلم ولائى للدعوة

بعد استشهاد البنا، وقبله.

وجلست إليـه أحدثه عن مأسـاة الأسر، كـان يستمع إلىّ فـى ألم شديد، وأنهيت حديثى بعرض ما فكرت فى عمله فى حدود إمكانياتى. وكنت أرى أنه لا يكفى أن نتألم وجـراح الجوع وجراح السـياط وجراح العرايا وتشـرد النساء والأطفال يجرى بقسوة وشـدة فى دوائر حياة الدعاة والملبين والمجاهدين لتكون كلمة الله هى العليا.

وأرى أننى أستطيع كرئيـسة للسيدات المسلمات أن أقـدم العون إن شاء الله لأسر الإخوان بما يمكننى الله فيه.

فقبل فضيلتـه رأسى وهو يبكى قائلاً لى: لا تترددى فى أى عون، والله هو المبـارك للخطى. وعدت لأوضح له مـوقفـى فى الجمـاعة والشـقة المطلقـة فى شخصى من السيدات المسلـمات عضوات الجماعة فقال لى فـضيلته: قد أصبح فرضًا حتميًا عليك أن لا تبـخلى بجهد فى هذا الطريق، وما تقومين به اجعليه بينك وبين الله تبارك وتعالى، ثم أضاف: إن المنقذ الوحيد بأمر الله للإسلام هم هؤلاء المعذبون «الإخـوان المسلمون». لا أمل لنا إلا فى الله ثم فى إخـلاصهم وما يبذلون فى سبيل الدعوة. اعملى يا زينب كل ما تستطيعين عمله. وعملت فعلاً كل مـا أستطيع، وبذلت جهدى فى أن أقـدم شيئًا، ولم يشـعر أحد أنى أفعل شيـئًا، فقد كان فرد أو فـردان هما اللذان أسلمهما مـا أستطيع على أنها أشياء مرسلة لى وأنا مكلفة بنقلها إليهم فقط.

ثم علمت أن الوالدة الفاضلة المجاهدة الكـبيرة حرم الأستاذ الهضـيبى تبذل هى أيضًا مجـهودًا كبيرًا مع بعض الفضليـات الكريمات من الأخوات المسلمات مثل: المجاهدة آمال العـشماوى حرم الأستاذ المستـشار منير الدلة، وكانت هى

بنفسها على رأس الأخوات المسلمات، ومثل خالدة حسن الهضيبى وأمينة قطب وحميدة قطب وفتحية بكر والمجاهدة أمينة الجوهرى وعلية الهضيبى وتحية سليمان الجبيلى.

واتسعت اتصالاتى رويدًا رويدًا فاتصلت بخالدة الهضيبى فى سرية شديدة، ثم بحميدة قطب وأمينة قطب، وكل ذلك من أجل المعذبين والأطفال والتيامى.

على الطريق مع عبد الفتاح إسماعيل

كان أول لقاء لى به فى عام ١٩٥٧ وفى موسم الحج.

كنت فى ميناء السويس على رأس بعثة الحج لجماعة السيدات المسلمات، وكان معى فى المودعين شقيقى محمد الغزالى الجبيلى فوجدته مقبلاً علىّ فى صحبة إنسان يكسو وجهه نور ومهابة يغض بصره، قدمه لى أخى قائلاً: الأخ عبد الفتاح إسماعيل، كان من أحب شباب الإخوان إلى الإمام الشهيد حسن البنا، كان فضيلة المرشد يحبه ويؤثره، وله فيه ثقة مطلقة، وقد طلب منى أن أقدمه لك بهذه الصورة حتى تعرفيه، وحيانى الأخ وهو يقول: سأكون إن شاء الله معكم فى الباخرة، فرحبت به وانصرف، وصعدنا إلى الباخرة وتحركت بعيدًا عن الشاطىء وانشغلت بمطالب البعثة، بعثة حج السيدات المسلمات. وعندما ذهبت إلى حجرتى لأستريح بعد تناول الغداء، سمعت طرقات على الباب، أذنت بالدخول فتكرر الطرق ثانية،ولكن الطارق كان يذهب بعيدًا عن فتحة الباب، ولما سمع صوتى يأذن بالدخول للمرة الثالثة. دخل فوجدته الأخ الذى قدمه لى شقيقى على رصيف الميناء.. قال فى إخبات وهو يطرق إلى الأرض بعد أن ألقى علىّ السلام: أنا أعلم بحمد الله أن بينك وبين الإمام

الشهيد بيعة بعد طول خلاف، ولما سألته عن مصدر معلوماته أجاب: الإمام الشهيد نفسه طيب الله ثراه. . فسألته عما يريد، أجاب: أن نلتقى فى مكة لوجه الله نتحدث فيما كان البنا يريده منك إن شاء الله.

كانت كلمات سهلة العبارات طيبة النوايا لينة، لكنها مع بساطتها قوية صادقة ثقيلة التكاليف تحمل معنى الأمر ولا تترك مجالاً للتفكير.

قلت: إن شاء الله فى دار بعثة السيدات المسلمات بمكة أو بجدة، ولما سأل عن العناوين حدثته عن أخوين فى جدة قال إنه يعرفهما، وهما الشيخ العشماوى ومصطفى العالم، وكلاهما يستطيع أن يرشده إلى مكان إقامتى بمكة وجدة.

حيانى الأخ وانصرف.

وفى ليلة من ليالى ذى الحجة كنت على موعد بعد صلاة العشاء مع فضيلة المرحوم الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم المفتى الأكبر للمملكة العربية السعودية حينذاك. . وكنا نبحث معًا مذكرة قدمتها لجلالة الملك أشرح له فيها ضرورة تعليم البنات فى المملكة، وأطلب منه الإسراع فى تنفيذ هذا المشروع، مبينة مصلحة المملكة فى ذلك، وحولت المذكرة على فضيلة المفتى وطلب مقابلتى.

وقضيت ساعتين أبحث المشروع معه، وعند انصرافى من مجلسه، أخذت طريقى إلى باب السلام، وكان فى نيتى أن أطوف حين أوقفنى صوت ينادينى باسمى محييًا بتحية الإسلام، والتفت فإذا به عبد الفتاح إسماعيل وسألنى عن وجهتى، ولما عرف أنها الطواف ثم دار البعثة صحبنى إلى المسجد وطفنا بالبيت معًا وبعد صلاة سنة الطواف جلسنا تجاه الملتزم وأخذ يتحدث فيما يريد.

سألنى عن رأيى فى قرار حل الإخوان.

أجبت أنه قرار باطل شرعًا.

قال: هـذا الأمر الذى أريد بحـثه مـعك. . ولما سألتـه أن يزورنى فى دار البعثة استـبعدها كمكان لمثل هذه الأمور خوفًا من أجهـزة التجسس الناصرية، واتفقنا على أن نجتمع فى مكتب عمارة الحرم المكى. . فى مكتب معالى الرجل الصالح الشيخ صـالح القزاز، واجتمعنا هـناك، ولكنه أسر إلىّ أن الأفضل أن نلتقى فى الحرم وانصرف هو على أن نلتقى خلف مقام إبراهيم.

وبعد ركـعتى الطواف جلسنا خلف مـبنى زمزم بالقرب من مـقام إبراهيم، وأخذ يتـحدث عن بطلان قرار حل جـماعة الإخوان المـسلمين ووجوب تنظيم صفوف الجماعة وإعادة نشـاطها، واتفقنا على أن نتصل بعد العودة من الأرض المقدسة بالإمام حسن الهضيبى المرشد العام لنستأذنه فى العمل.

وقال عندما هـممنا بالانصراف: يجب أن نرتبط هنا ببيـعة مع الله على أن نجاهد فى سبيله، لا نتقاعس حـتى نجمع صفوف الإخوان، ونفاصل بيننا وبين الذين لا يرغبون فى العمل أيًا كان وضعـهم ومقامهم، وبايعنا الله على الجهاد والموت فى سبيل دعوته.

وعدت إلى مصر. .

الإذن بالعمل

ومع أوائل ١٩٥٨ كانت لقاءاتى قد تعددت بعبد الفتاح إسماعيل فى منزلى وفى دار المركز العام للسيدات المسلمات.

كنا نبحث فى أمور المسلمين مـحاولين بكل جهدنا أن نفعل شـيئًا للإسلام يعيد لهذه الأمة مجدها وعقيدتهـا، مبتدئين بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والسلف الصالـح ومن بعدهم، جاعلين منهـجنا مسـتمدًا من كـتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وكانت خطة العمل تستهدف تجميع كل من يريد العمل للإسلام لينضم إلينا.. كان ذلك كله مجرد بحوث ووضع خطط حتى نعرف طريقنا، فلما أردنا أن نبدأ العمل كان لابد من استئذان الأستاذ الهضيبى باعتباره مرشدًا عامًا لجماعة الإخوان، لأن دراساتنا الفقهية حول قرار الحل انتهت إلى أنه باطل لأن عبد الناصر ليس له أى ولاء ولا تجب له طاعة على المسلمين حيث إنه يحارب الإسلام ولا يحكم بكتاب الله تعالى..

والتقيت بالأستاذ الهضيبى لأستاذنه فى العمل باسمى وباسم عبد الفتاح إسماعيل، وأذن لنا فى العمل بعد لقاءات عديدة شرحت له فيها الغاية وتفاصيل الدراسات التى قمت بها وعبد الفتاح.

وكان أول قرار لبدء العمل هو أن يقوم الأخ عبد الفتاح عبده إسماعيل بعملية استكشاف على امتداد مصر كلها، على مستوى المحافظة والمركز والقرية، والمقصود من هذا أن نتبين من يرغب فى العمل من المسلمين ومن يصلح للعمل معنا. مبتدئين بالإخوان المسلمين لجعلهم هم النواة الأولى لهذا التجمع..

وبدأ الأخ عبد الفتاح إسماعيل جولته بادئًا بالذين خرجوا من السجون من الإخوان، والذين لم يدخلوا لتختبر معادنهم وهل أثرت المحنة فى عزيمتهم، وهل دخول من دخل السجن جعلهم يبتعدون عما يعرضهم للسجن مرة أخرى، أم أنهم لا يزالون على ولائهم للدعوة مستعدين للتضحية بكل غال ورخيص فى سبيل الله ونصرة دينه..

كانت عملية استكشاف لابد منها، حتى نبدأ العمل على أرض صلبة، وحتى نعرف من يصلح فعلاً، وكنا ندرس معًا التقارير التى يقدمها عبد الفتاح

إسماعيل عن كل منطقة، وكنت أزور المرشد وأبلغه مجمل ما اتفقنا عليه وما وصلنا إليه.. وكنا إذا عرضنا عليه صورًا من الصعوبات التى نلاقيها، قال: استمروا فى سيركم ولا تلتفتوا إلى الوراء، لا تغتروا بعناوين الرجال وشهرتهم. أنتم تبنون بناء جديدًا من أساسه.

وكان تارة يقر ما يعرض عليه، وتارة يعطى بعض التوجيهات. ومن هذه التوجيهات أنه أوصانا بأن نضم إلى مراجع بحوثنا «المحلى لابن حزم».

وفى سنة ١٩٥٩ انتهت بحوثنا إلى وضع برنامج للتربية الإسلامية، وأشهد الله على أنه لم يكن فى برنامجنا غير تربية الفرد المسلم الذى يعرف واجبه تجاه ربه، وتكوين المجتمع المسلم الذى سيجد نفسه بالضرورة مفاصلاً للمجتمع الجاهلى.

ولما كانت جماعة الإخوان المسلمين معطلاً نشاطها بسبب قرار الحل الجاهلى عام ١٩٥٤ كان ضروريًا أن يكون النشاط سريًا.

وقفة مع زوجى

لم يكن عملى فى هذا النشاط يعطلنى عن تأدية رسالتى فى المركز العام لجماعة السيدات المسلمات، ولا يجعلنى أقصر فى واجبى الأسرى، غير أن زوجى الفاضل المرحوم محمد سالم سالم لاحظ تردد الأخ عبد الفتاح إسماعيل وبعض لبنات طاهرة زكية من الشباب المسلم على منزلنا. فسألنى زوجى: هل هناك نشاط للإخوان المسلمين؟ أجبت: نعم..

فسألنى عن مدى النشاط ونوعيته.. قلت: إعادة تنظيم جماعة الإخوان. ولما أخذ يبحث الأمر معى قلت له: هل تذكر يا زوجى العزيز عندما اتفقنا

على الزواج.. مـاذا قلت لك؟ قال: نعـم اشتـرطت شروطًا، ولكنى أخـاف عليك اليوم من تعرضك للجبابرة.

ثم صمت وأطرق برأسـه فقلت له: أنا أذكر جيدًا مـا قلت لك، لقد قلت لك يومها:

إن هناك شيئًـا فى حياتى يجب أن تعلمه أنت لأنك ستـصبح زوجى، وما دمت قد وافقت عـلى الزواج فيجب أن أطلعك عليه على ألا تسـألنى عنه بعد ذلك، وشروطى بخصـوص هذا الأمر لا أتنازل عنها.. أنا رئيسـة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات.. وهذا حق، ولكن الناس فى أغلبهم يعتقدون أنى أدين بمبادىء الوفد السياسية، وهذا غير صحيح..

الأمر الـذى أؤمن به وأعتـقده هو رسـالة الإخوان المسلمين.. مـا يربطنى بمصطفى النحاس هو الصداقـة الشخصية، لكنى على بيـعة مع حسن البنا على الموت فى سبـيل الله، غير أنى لم أخط خطوة واحـدة توقفنى داخل دائرة هذا الشرف الربانى، ولكنى أعـتقد أنى سأخطو هذه الخطوة يومًـا ما بل وأحلم بها وأرجوها، ويومها إذا تعـارضت مصلحتك الشخصية وعـملك الاقتصادى مع عملى الإسلامى، ووجـدت أن حياتى الزوجية ستكون عقـبة فى طريق الدعوة وقيام دولة الإسلام فسنكون على مـفرق طريق، ويومها أطرقت إلى الأرض ثم رفعت رأسك والدموع محبوسة فى عـينيك لتقول: أنا أسألك ماذا يرضيك من المطالب المادية فـلا تسـألين ولا تطـلبين أى شىء من مـهـر أو مطالب زواج، وتشتـرطين علىّ ألا أمنعك عن طريق الله.. أنا لا أعلم أن لك صلة بالأسـتاذ البنا، والذى أعلمـه أنك اختلفت معـه بشأن طلبـه انضمام جـماعة السـيدات المسلمات إلى الإخوان المسلمين.

قلت: الحمد لله، اتفقنا أثناء محنة الإخوان سنة ١٩٤٨ قبل استشهاد البنا. وكنت قررت أن ألغى أمـر الزواج من حياتى، وانقطع للدعوة انقطاعـًا كليًا.. وأنا لا أستطيع أن أطلب منك اليـوم أن تشاركنى هذا الجهـاد، ولكن من حقى أن أشترط عليك ألا تمنعنى من جـهادى فى سبيل الله، ويوم تضعنى المسـئولية فى صفوف المجاهدين، فلا تسألنى مـاذا أفعل ولتكن الثقة بيننا تامة، بين رجل يريد الزواج من امرأة وهبت نفسها للجهاد فى سبيل الله وقيام الدولة الإسلامية وهى فى سن الثـامنة عشـرة، وإذا تعـارض صالح الزواج والدعـوة إلى الله، فسينتهى الزواج وتبقى الدعوة فى كل كيانى..

ثم توقفت عن الكلام برهة ونظرت إليه قائلة: هل تذكرت؟ قال: نعم.

قلت: اليوم أطلب منك أن تفى بوعدك.. لا تسألنى بمن ألتقى. وأدعو الله أن يجعل أجر جهادى قسمة بيننا فضلاً منه سبحانه إذا تقبل عملى.

أنا أعلم أن من حقك أن تأمـرنى ومن واجبى أن أطيعك، ولكن الله أكـبر فى نفوسنا من أنفـسنا، ودعوته أغلى من ذواتنا. ونحن فى مـرحلة خطيرة فى مراحل الدعوة.

قال: سامحينى، اعملى على بركة الله. يا ليتنى أعيش وأرى غاية الإخوان قد تحققت، وقامت دولة الإسلام.. يا ليتنى فى شبابى فأعمل معكم..

وكثر العـمل والنشاط، وتدفق الشباب على بيتى ليـلاً ونهارًا، وكان الزوج المؤمن يسمـع طرقات الباب فى جـوف الليل فيـقوم من نومه ويفـتح للطارقين ويدخلهم إلى حجرة المكتب، ويذهب إلى حجرة السيدة التى تدير أعمال البيت فيـوقظها، ويطلب منهـا أن تعد للزائرين بعض الطعـام والشاى، ثم يأتى إلىّ فيوقظنى فى إشفاق وهو يقول: بعض أولادك فى المكتب وعليهم علامات جهد

أو سفر، وأرتدى ملابسى وأذهب إليـهم ويأخذ هو طريقه إلى مكان نومه وهو يقول لى: إذا صليـتم الفجر جمـاعة فأيقظينى لأصلى مـعكم إن كان ذلك لا يضر، فأجيب: إن شاء الله.

فإن صلينا الفجر أيقظته ليصلى معنا ثم ينصرف، وهو يحيى الموجودين تحية أبوية مملوءة بالشفقة والحب والحنان.

الاتصال بالشهيد سيد قطب

فى عام ١٩٦٢ التقيت بشقيقات الإمام الفقيه والمجاهد الكبير الشهيد سيد قطب بالاتفاق مع الأخ عبد الفتاح عبده إسماعيل وبإذن من الأستاذ حسن الهضيبى، المرشد العام للإخوان المسلمين، للاتصال بالأستاذ سيد قطب فى السجن لأخذ رأيه فى بعض بحوثنا والاسترشاد بتوجيهاته.

طلبت من حميدة قطب أن تبلغ الأخ سيد قطب تحياتنا ورغبة الجماعة المجتمعة لدراسة منهج إسلامى فى الاسترشاد بآرائه.. وأعطيتها قائمة بالمراجع التى ندرسها وكان فيها تفسير ابن كثير، والمحلى لابن حزم، والأم للشافعى وكتب فى التوحيد لابن عبد الوهاب، وفى ظلال القرآن لسيد قطب، وبعد فترة رجعت إلىّ حميدة وأوصت بدراسة مقدمة سورة الأنعام.. الطبعة الثانية وأعطتنى ملزمة من كتاب قالت: إن سيد يعده للطبع واسمه معالم فى الطريق.. وكان سيد قطب قد ألفه فى السجن وقالت لى شقيقته: إذا فرغتم من قراءة هذه الصفحات سآتيكم بغيرها.

وعلمت أن المرشد اطلع على ملازم هذا الكتاب وصرح للشهيد سيد قطب بطبعه.. وحين سألته.. قال لى: على بركة الله.. إن هذا الكتاب حصر أملى كله فى سيد، ربنا يحفظه، لقد قرأته وأعدت قراءته، إن سيد قطب هو الأمل المرتجى للدعوة الآن، إن شاء الله. وأعطانى المرشد ملازم الكتاب فقرأتها فقد كانت عنده لأخذ الإذن بطبعها، وقد حبست نفسى فى حجرة بيت المرشد حتى فرغت من قراءة «معالم فى الطريق».

وأخذنا نعيد الدراسة والبحث من جديد فى صورة نشرات قصيرة توزع على الشباب ليدرسوها، ثم تدرس بتوسع فى حلقات، وكانت الأفكار متفقة والغايات غير مختلفة، فانسجمت خطة الدراسة مع الوصايا والصفحات التى كانت تأتينا من الشهيد سيد قطب رحمه الله، وهو داخل السجن، وكانت ليالى طيبة وأيامًا خالدة ولحظات قدس مع الله، يجتمع عشرة أو خمسة من الشباب ويقرأون عشر آيات تراجع أحكامها وأوامر السلوك فيها وكل غاياتها ومقاصدها فى حياة العبد المسلم. وبعد تفهمها واستيعابها يتقرر الانتقال إلى عشر آيات أخرى اقتداء بأصحاب النبى ﷺ.

ومرت أيام حلوة طيبة، ونعمة من الله تحتوينا، ونحن ندرس وندرس ونربى أنفسنا، ونهيئ للدعوة رجالها بشباب اقتنع بضرورة الإعداد لقيام دعوة الحق العادل.. وقرر وجوب حتمية إعداد أجيال فى شخوص هذا الشباب الذى نرجوه أساتذة فى التوجيه والإعداد للأجيال المقبلة.

قررنا فيما قررنا - بتعليمات من سيد قطب وبإذن الهضيبى - أن تستمر مدة التربية والتكوين والإعداد والغرس لعقيدة التوحيد فى النفوس، والقناعة بأنه لا إسلام إلا بعودة الشريعة الإسلامية، وبالحكم بكتاب الله وسنة رسوله لتصبح شريعة القرآن مهيمنة على كل حياة المسلمين، قررنا أن يستغرق برنامجنا التربوى ثلاثة عشر عامًا، عمر الدعوة فى مكة، على أن قاعدة الأمة الإسلامية الآن هم الإخوان الملتزمون بشريعة الله وأحكامه، فنحن ملزمون بإقامة كل الأوامر والنواهى الواردة فى الكتاب والسنة فى داخل دائرتنا الإسلامية.. والطاعة واجبة علينا لإمامنا المبايع، على أن إقامة الحدود مؤجلة - مع اعتقادها والذود عنها - حتى تقوم الدولة.. وكنا على قناعة كذلك بأن الأرض اليوم خالية من القاعدة التى تتوافر فيها صفات الأمة الإسلامية الملتزمة التزامًا كاملاً.. كما كان الأمر فى عهد النبوة والخلافات الراشدة، ولذلك

وجب الجهاد على الجماعة المسلمة التى تريد حكم الله والتمكين لدينه فى الأرض، حتى يعود جميع المسلمين للإسلام، فيقوم الدين القيم، لا شعارات ولكن حقيقة عملية واقعة.

ودرسنا كذلك وضع العالم الإسلامى كله بحثًا عن أمثلة لما كان قائمًا من قبل بخلافة الراشدين والتى نريدها نحن فى جماعة الله الآن، فقررنا بعد دراسة واسعة للواقع القائم المؤلم، أن ليس هناك دولة واحدة ينطبق عليها ذلك، واستثنينا المملكة العربية السعودية مع تحفظات وملاحظات يجب أن تستدركها المملكة وتصححها، وكانت الدراسات كلها تؤكد أن أمة الإسلام ليست قائمة، وإن كانت الدولة ترفع الشعارات بأنها تقيم شريعة الله!...

وكان فيما قررناه بعد تلك الدراسة الواسعة، أنه بعد مضى ثلاثة عشر عامًا من التربية الإسلامية للشباب والشيوخ والنساء والفتيات، نقوم بمسح شامل فى الدولة فإذا وجدنا أن الحصاد من أتباع الدعوة الإسلامية المعتقدين بأن الإسلام دين ودولة، والمقتنعين بقيام الحكم الإسلامى قد بلغ ٧٥٪ من أفراد الأمة رجالاً ونساءً، نادينا بقيام الدولة الإسلامية، وطالبنا الدولة بقيام حكم إسلامى، فإذا وجدنا الحصاد ٢٥٪ جددنا التربية والدراسة ثلاثة عشر عامًا أخرى وهلم جرا، حتى نجد أن الأمة قد نضجت لتقبل الحكم بالإسلام.

وما علينا أن تنتهى أجيال وتأتى أجيال، المهم أن الإعداد مستمر، المهم أن نظل نعمل حتى تنتهى آجالنا ثم نسلم الراية مرفوعة بـ «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» إلى الأبناء الكرام الذين يأتون من بعدنا.

وكنا على اتصال بالأستاذ محمد قطب، وبإذن من المرشد العام الأستاذ الهضيبى، كان يزورنا فى بيتى بمصر الجديدة ليوضح للشباب ما غمض عليهم فهمه، وكان الشباب يستوضحونه ويسألونه أسئلة يجيب عنها.

الباب الثالث

المــــؤامـــرة

وخرج الأستاذ الشهيد سيد قطب من السجن، وسبق خروجه بشهور عملية مـحاولة اغـتيـالى التى لم تنجح، والتى تحـدثنا عنها فى أول هذه المذكـرات، وانتقـلت إلينا أخبـار بأن إخراج الشهـيد سـيد قطب من السـجن تخطيط من المخابرات ليسـهل اغتياله، وأن فى خطة الاغتـيالات القضاء على عبـد الفتاح عبـده إسمـاعيل. . وعشنـا متوكلين على الله نـعمل وخلف ظهورنـا ما يدبر الفجار، غير أننا أخذنا ندرس ما وصلنا من أخبار عن رعب الفجار الحاكمين، فقـد أصبـحوا يتوهمـون أن هناك حركـة فكرية يقودها سيـد قطب من داخل السجن، وتقـودها وتعمل على تنفـيذها جـماعة من الإخـوان المسلمين، على رأسها الشهيد عبد الفتاح إسماعيل وزينب الغزالى الجبيلى خارج السجن. .

وقد تأكـدت لدينا الأخـبار بأن المخابـرات الأمريكيـة والمخابرات الروسـية ووليتهم الصهيونية العالمية قد قدموا تقارير مشفوعة بتعليمات لعبد الناصر بأخذ الأمر بمنتـهى الجد للقضاء على هـذه الحركة الإسلامـية، وإلا فسينتـهى كل ما حقـقه عبد الناصـر فى المنطقة من تحويل عن الفكر الإسـلامى وبث اليأس فى النفـوس مـن إمكان أى إصـلاح أو بعث عن طريق الإســلام. . وخـلاصـة المخاوف: أن هذه الحركة الإسلامية ستقضى على كل فكر مغاير للإسلام.

هذا ما وصلنا إجمالا عما تحويه تقارير المخابرات الأمريكية والروسية لعبد الناصر، ومن ناحية أخرى فإن عبد الناصر اعتبر أن البعث الإسلامى بمثابة قضاء تام على حكمه الدكتاتورى الغاشم..

وفى أوائل أغسطس ١٩٦٥ وصلتنى أخبار عن إعداد قائمة من المطلوب اعتقالهم من رعيل رسالة التربية الجديدة والفكر الذى أقام من الشباب جواهر نورانية تتحرك بالإسلام. كما كان يتحرك به رجال من الصدر الأول فى فجر الرسالة إلى دار ابن أبى الأرقم، ويتصدر القائمة الأستاذ الشهيد سيد قطب، زينب الغزالى الجبيلى، عبد الفتاح عبده إسماعيل، محمد يوسف هواش.

وفى الخامس من أغسطس وصلتنى أخبار اعتقال الشهيد سيد قطب. كنت مجتمعة مع بعض الأخوات حين جاءتنى مكالمة هاتفية قيل لى فيها: إن منزل سيد قطب قد فتش وبحث فيه عنه. وكان شقيقه الأستاذ محمد قطب قد اعتقل فى مرسى مطروح قبل أيام، فطلبت زوجى فى رأس البر ورجوته أن يطمأننى على سيد قطب وجاءت مكالمة زوجى بعد ساعة تؤكد اعتقاله.

وقررنا تأجيل الاجتماع بالأخوات حتى نرى ماذا بعد الاعتقالات، وكان اعتقال سيد قطب كالصاعقة بالنسبة لجميع الشباب، فضلا عنا نحن، فقد كان الهضيبى قد أوكل كل المسئوليات لسيد قطب، وكانت اتصالاتنا كلها به حسب أمر الهضيبى، وكان علينا بعد اعتقاله أن نرجع إلى المرشد العام، نستأذنه فيمن يتولى المسئولية بدلا من سيد.

كنت أنا وعبد الفتاح، نفكر فيما حدث قبل أن يحدث بخمسة أيام، فلما حدث، زارنى عبد الفتاح وكلفنى بالسفر لرؤية المرشد فى الإسكندرية وقدم لى أحد أبنائنا من الشباب على أنه سيكون حلقة الاتصال بيننا إذا اعتقل هو..

ولكن بعد ساعات أرسل إلىّ يطلب منى أن ألزم بيتى، وألغى سفرى للإسكندرية - غير أنى كنت قد اتصلت بالمرشد، وجاءت السيدة حرمه من الإسكندرية - ورتب الأمر على أن نكون على اتصال دائم بالهضيبى، وفى هذه المرة قدم لى أخا كريما ليكون حلقة الاتصال بيننا.. مرسى مصطفى مرسى.

واتصلت بالمرشد العام وأخبرته بواقع الأمر، وأقرنا على ما اتفقنا عليه وتأثر تأثرا عميقا لأخبار الاعتقالات وبخاصة اعتقال سيد قطب.

وأخذت الأخبار تتوالى بالقبض على العشرات والمئات، وارتفع الرقم إلى الآلاف، وقد أقسم لى شمس بدران بعد اعتقالى برأس عبد الناصر أنهم اعتقلوا مائة ألف من الإخوان فى عشرين يوما، ملأوا بهم السجن الحربى وسجن القلعة وسجن أبى زعبل وسجن الفيوم والإسكندرية وطنطا وسجونا أخرى.

وفى يوم الخميس ١٩ أغسطس، علمت أن سيدة فاضلة تناهز الخامسة والثمانين تدعى أم أحمد من شبرا قد قبضوا عليها، وهى من المعاصرات للدعوة من يومها الأول، وسارت فى الطريق مع الإمام الشهيد حسن البنا خطوة خطوة، وكان لها جهد كبير مبارك فى مساعدة الأسر التى فقدت العائل بالسجن والمعتقلات الناصرية.. وكانت على اتصال دائم بنا..

كان خبر اعتقالها مفزعا ومؤثرا بالنسبة لى، ولكنى قلت لابن أختها بعد دقائق صمت أغرقتنى بالألم: «إنه شىء جميل.. ما دام فى الأرض التى ضاعت معالمها امرأة مؤمنة تعتقل فى سبيل الله، وفى سبيل دولة القرآن، وهى فى الخامسة والثمانين، فمرحى مرحى يا جنود الله»..!

وأرسلت لابنتي في الإسلام غادة عمار وقلت لهـا: «اليوم اعتقلت مجاهدة جليلة فاضلة تدعى الست أم أحمد، وتقطن بناحيـة شبرا ولدىّ أموال لحساب أسر المسجـونين وشئون الدعوة فـها هي إليك يا غادة، فـإذا اعتقلت فسلمـيها للمرشد أو لآل قطب، وسلـمتها مظروفا فـيه أموال الجماعـة التي كانت أمانة عندى، وهي اشـتراكـات من الإخـوان المسلمين. وعلمت بعـد ذلك وأنا في السجن أن هذا المبلغ أودعتـه غادة عند ابنتي في الإسلام فاطمة عـيسى وعندما قبض عليها الطغاة استـولوا على هذا المال الذى كان ثمن الطعام وأجر المساكن ومصاريف التعليم والعلاج لأبناء المسجونين وأسرهم، تلك الأسر التي لا ذنب لها ولا جـريمة، وما قـررت دولة الانقلاب العـسكرى لتبيـدهم إلا لأنهم من القاعدة الخالدة على التاريخ لتجديد أمر الأمة الإسلامية.

علمت بذلك عندمـا جيء بغادة عـمار وعـلية الهـضيـبي إلى زنزانتي في السجن الحربي فقلت: «حسبنا الله ونعم الوكيل، الدنيا ساعة، أما الآخرة فهي دارنا والحساب هناك».

ومرت ساعات رهيبة تحمل لى أخبار اعتقالات جديدة، ومرة أخرى جاءني رسول طلب مني أن أسافر إلى الإسكندرية لمقـابلة المرشد. كان ذلك في مساء الخميس ١٩ أغسطس، وبينما كنت أستعـد للسفر جاء آخر وطلب مني تأجيل السفر لحين صدور أوامر أخرى.

وجاء دورى

وفى فجر الجـمعة ٢٠ أغسطس اقتحم رجـال الطاغوت منزلي، ولما طلبت منهم إذنا بالتـفتـيش، قالـوا: إذن! أي إذن يا مجـانين؟ نحن في عهـد عبـد الناصر، نفعل ما نشاء معكم يا كلاب. . !

وأخذوا يقهقهون فى صورة هستيرية وهم يقولون: الإخوان المسلمون مجانين، قال إيه، يريدون إذن تفتيش فى حكم عبد الناصر! ودخلوا البيت وأتلفوا ما فيه بالتمزيق تارة وبالتكسير تارة أخرى حتى لم يتركوا شيئًا سليما. وكنت أنظر إليهم باحتقار وهم يمزقون فراش المنزل. وأخيرا قبضوا على ابن أخى الطالب فى كلية المعلمين محمد محمد الغزالى، وكان يقيم معى كابنى وقالوا لى: لا تغادرى البيت. قلت: أفهم من ذلك أن إقامتى محددة. قالوا: إلى حين صدور أوامر أخرى، واعلمى أن البيت تحت الحراسة فإذا تحركت فسيقبض عليك.

وظننت أن الأمر سيقف عند تحديد الإقامة، وجاء لزيارتى شقيقتى وأولادها وزوجها، وكنت أعد حقيبتى استعدادا للقبض علىّ. ورجوت زوج شقيقتى مغادرة المنزل حتى لا يقبضوا عليه إن عادوا ووجدوه كما فعلوا مع ابن أخى. ولكنه أصر على البقاء رغم محاولاتى المتكررة فى إفهامه أن الوقت ليس وقت مجاملة أو نحوه.

وبينما كنا نتناول الغداء اقتحم المنزل زبانية الطاغوت وأتوا على البقية الباقية واستولوا على ما فى الخزانة. واستولوا على ما يزيد على نصف مكتبتى، ولم تفلح محاولاتى فى إنقاذ بعض المؤلفات القديمة فى التفسير والحديث والفقه والتاريخ مما يعود تاريخ طبعه إلى أكثر من مائة عام، كما لم تفلح محاولاتى فى الاحتفاظ بمجموعات ثلاث من مجلة السيدات المسلمات التى أوقفت بأمر عسكرى سنة ١٩٥٨، فقد صادروا كل ما أرادوا وللخزانة وقتها قصة عجيبة. فقد كانت الخزانة لزوجى إلا أن بها أشياء تخصنى أيضا. فلما طلبوا المفتاح قلت لهم: إنه مع زوجى وهو مسافر فى مصيفه، فإذا بهم يهتفون برجل منهم يأمرونه بفتح الخزانة، وتقدم هذا الرجل وفتح الخزانة بآلات ومفاتيح كانت

معه، كأى لص متمرس!!

ولما طلبت منهم إيصالا بما أخذوه قالوا فى سخرية:

«أنت مجنونة. إنت فاكرة نفسك شاطرة، إخرسى بلاش دوشة».

وقبضوا علىّ وأدخلونى عربة وجدت فيها ابن أخى الذى قبضوا عليه فى الفجر، وشابا من شباب الدعوة، سألت ابن أخى: إيه يا محمد؟ فلم يجبنى ففهمت أن التعليمات إليه أن لا يتكلم، وكانوا قد أتوا به ليرشدهم إلى المنزل لأن هؤلاء كانوا غير زوار الفجر..

وأخذت العربة تنهب بنا الطريق حتى وصلت إلى السجن الحربى، عرفت ذلك من اللوحة الموجودة على بوابته، واقتحمت السيارة البوابة المرعبة، وبعدما ابتلعت البوابة السيارة ومن فيها. أنزلت منها واتجه بى وغد غليظ إلى حجرة استجوبنى فيها وغد آخر، وأدخلت منها إلى حجرة أخرى. ووقفت أمام رجل ضخم الجثة مظلم الوجه قبيح اللفظ، فسأل الذى يمسك ذراعى عنى فأجابنى بسباب غلف فيه اسمى، ومع ذلك التفت هو إلىّ فى غلظة وسألنى من أنت!.

قلت: «زينب الغزالى الجبيلى».

فانطلق يسب ويلعن بما لا يعقل ولا يتصور. وصرخ الذى يمسك بذراعى قائلاً: «دا رئيس النيابة يا بنت الـ... ردى على سعادته»، وكان الآخر قد صمت.

قلت: لقد اعتقلونى أنا وكتبى وكل ما فى الخزانة، فأرجو حصر هذه الأشياء وتسجيلها فمن حقى أن تعاد إلىّ. أجاب رئيس النيابة المزعوم الذى وضح فيما بعد أنه شمس بدران، أجاب فى فجور وجاهلية متغطرسة: «يا بنت الـ... نحن سنقتلك بعد ساعة، كتب إيه؟ وخزنة إيه؟ ومصاغ إيه؟ أنت

ستعدمين بعد قليل، كتب إيه وحاجات إيه اللى بتسألى عليها يا بنت الـ . . . ، نحن سندفنك كما دفنا عشرات منكم يا كلاب هنا فى السجن الحربى» لم أستطع أن أجيب، لأن الكلمات كانت بذيئة الألفاظ سافلة، والسباب والشتائم منحطة إلى الحد الذى لا يستطيع فيه الإنسان أن يسمعها فضلا عن أن يجيب عنها.

وقال هذا المتغطرس للذى يمسك ذراعى: خذها. . .

قال: إلى أين؟

أجاب: هم عارفون. وجذبنى الفاجر فى وحشية وهو يقول: يا بنت الـ. . .

وعند الباب نادى صاحب الجثة الغليظة المظلمة على الشيطان الممسك بذراعى فالتفت إليه، فكأنى أرى ظلمة من دخان غليظ أسود تغرقه، قلت فى سرى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم تضرعت إلى الله قائلة: اللهم أنزل علىّ سكينتك وثبت قدمى فى دوائر أهل الحق، واربط على قلبى بذكرك وارزقنى الرضا بما يرضيك.

وقال الممسك بذراعى للشيطان: نعم يا معالى الباشا.

قال له: تروح رقم ٢٤ وبعد ذلك تأتونى.

وانصرف بى الشيطان الشقى الممسك بذراعى وأدخلنى حجرة، فرأيت رجلين يجلسان إلى مكتب فى يد أحدهما مفكرة كنت أعرفها، وهى خاصة بالأخ الشهيد عبد الفتاح إسماعيل، كان يخرجها فى حلقات القرآن ونحن نتدارس ويدون بها بعض ملاحظاته، فعرفت أنه اعتقل وبعض الإخوان إذ كان عنده اجتماع بهم فى ذلك الوقت، وأحدث ذلك رعدة فى نفسى خشيت أن يلاحظها بعض الشياطين، وكان أذان العصر يخترق سمعى، وترك الشيطان

رقبتى ولكن ظللت فى مكانى فصرفه الله عنى،وما أن انتهيت من الصلاة حتى انكب الشيطان علىّ فى وحشية، قيل له: اذهب بها إلى ٢٤.

الطريق إلى الحجرة ٢٤

خرج بى الشيطان وهو ممسك بذراعى، وسار معنا اثنان من الشياطين سود الوجوه ممسكان بالكرابيج، ساروا بى فى أنحاء متعددة من السجن الحربى. . ورأيت الإخوان المسلمين معلقين على الأعواد والسياط تلهب أجسادهم العارية، وبعضهم سلطت عليه الكلاب الضالة لتمزق جسده بعد السياط. وبعضهم يقف ووجهه إلى الحائط فى انتظار دوره من التعذيب والتنكيل. كنت أعرف عددا كبيرا من هؤلاء الشباب المؤمنين الأتقياء الأنقياء، أبنائى وأحبائى فى الله، أصحاب مجالس التفسير والحديث والحياة الندية الذكية فى دارى، فى دارهم، فى دار ابن أبى الأرقم، فى هدأة السحر، فى أنوار الفجر.

عرفت منهم الكثير، رأيت العجب، هذه الأنماط البشرية الفريدة فى إنسانيتها، المترفعة بإسلامها، الموصولة بالسماء المرموقة بعين القدرة المنزهة المتمتعة بحضرة الله سبحانه وتعالى، شباب الإسلام، شيوخ الإسلام، هذا مصلوب على خشبة، هذا منكفىء على وجهه للحائط، والسياط تنزل عليه تأكل من ظهره، هذا ينزف من جبينه الذى لم ينحن إلا لله والنور يغمر وجهه المنساب من رأسه المرتفع المعتز بالله، وذاك ظهره للحائط، كل الوجوه يجرى فيها نور التوحيد. . ولكن نزيف الدم من الوجوه والظهور شيء مخيف.

وصرخ شاب مصلوب على خشبة: أماه! ثبتك الله!

قلت: والنور قد غطى المكان فلمع لون الدم فيه: أبنائى، إنها بيعة، صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

ورفع الشيطان يده وهو يهوى بها على صـدغى وأذنى، فأخذت عينى تدور وأذنى كذلك كـأن ماسا كـهربيا قـد مسهـا، وانكشف النور عن أجسـام ممزقة وأشلاء متناثرة تملأ المكان، فقلت: فى سبيل الله، وسمعت صوتا كأنه يأتى من الجنة:

اللهم ثبت الأقدام، اللهم احفظهم من الفجرة.

لولاك ربى ما اهتـدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا. . فثبت الأقـدام إن لاقينا. وارتفـعت أصوات السـياط وتزاحـمت، ولكن صوت الإيمان أقـوى وأوضح، وكانت برهة، وخرج صوت آخر كأنه مقبل من السماء يقول:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

وقلت ثانية: «صبرا يا أبنائى إنها بيعة، صبرًا إن موعدكم الجنة».

وأخذت يد الفاجر ظهرى بضربة موجعة أليمة ساخنة، فقلت:

«الله أكبـر ولله الحمد، اللـهم صبرًا ورضًـا، اللهم شكرًا وحمـدًا على ما أنعمت به علينا من الإسلام والإيمان والجهاد فى سبيلك».

وفُتح باب لحجرة مظلمة فدخلتها ثم أغلقوا بابها.

فى الحجرة ٢٤

ابتلعتنى الحجرة فقلت: باسم الله السلام عليكم.

وأغلق الباب وأضيئت الكهرباء قوية! إنها للتعذيب!

الحجرة مليئة بالكلاب! لا أدرى كم!!

أغمضت عينى ووضعت يدى على صـدرى من شدة الفزع، وسمعت باب

الحجرة يغلق بالسلاسل والأقفال وتعلقت الكلاب بكل جسمى، رأسى ويدى، صدرى وظهرى، كل موضع فى جسمى، أحسست أن أنياب الكلاب تغوص فيه.

فتحت عينى من شدة الفزع وبسرعة أغمضتهما لهول ما أرى ووضعت يدى تحت إبطى وأخذت أتلو أسماء الله الحسنى مبتدئة بـ «يا الله، يا الله» وأخذت أنتقل من اسم إلى اسم، فالكلاب تتسلق جسدى كله، أحس أنيابها فى فروة رأسى، فى كتفى، فى ظهرى، أحسها فى صدرى، فى كل جسدى، أخذت أنادى ربى هاتفة: «اللهم اشغلنى بك عمن سواك، اشغلنى بك أنت يا إلهى يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد، خذنى من عالم الصورة، اشغلنى عن هذه الأغيار كلها، اشغلنى بك، أوقفنى فى حضرتك، اصبغنى بسكينتك، البسنى أردية محبتك، ارزقنى الشهادة فيك والحب فيك والرضا بك والمودة لك وثبت الأقدام يا الله، أقدام الموحدين».

كل هذا كنت أقوله بسرى، فالكلاب ناشبة أنيابها فى جسدى.

مرت ساعات ثم فتح الباب وأخرجت من الحجرة.

كنت أتصور أن ثيابى البيضاء مغموسة فى الدماء، كذلك كنت أحس وأتصور أن الكلاب قد فعلت. لكن يا لدهشتى، الثياب كأن لم يكن بها شيء، كأن نابًا واحدًا لم ينشب فى جسدى.

سبحانك يارب، إنه معى، يا الله هل أستحق فضلك وكرمك، يا الله يا إلهى لك الحمد. كل هذا أقوله أيضًا فى سرى، فالشيطان ممسك بذراعى يسألنى: كيف لم تمزقك الكلاب؟ والسوط فى يده وخلفى شيطان ثان بيده سوط أيضًا.

كان الشفق الأحمر يكسو السماء ينبىء بأن الشمس قد غربت، وأننا أوشكنا على العشاء إذن فقد تركت مع الكلاب أكثر من ثلاث ساعات.

لك الحمد يا إلهى على كل حال.

اخترقوا بى طريقًا توهمته طويلاً، فتح باب، ابتلعتنى الساحة المخيفة خلفه. ثم ابتلعنى ممر طويل مـخيف على جانبيـه أبواب مغلقة. أحـد الأبواب منفرج بعض الشىء يطل منه وجه منير، خرج منه بعض النور فبدد بعض ظلام الممر، عرفت فـيمـا بعد أنه باب الزنزانـة رقم ٢ التى تسبق زنزانتى رقم ٣ ويسكـنها الضابط الكبير مـحمد رشاد مهنا الذى كان يومًا وصيًـا على عرش مصر الذى توهم الفجـرة أن الإخوان سينصبـونه رئيسًا للجمـهورية فاعتـقلوه. وفتح باب الزنزانة رقم ٣.. فابتلعتنى.

الزنزانة رقم ٣

وفتح باب الزنزانة ٣.. فابتلعـتنى واختطفتنى ظلمتـها وأغلق الباب خلفى فى اللحظة التى أشعل فيها مصباح معلق فى سقف الزنزانة، كان الضوء مخيفًا مرعـبًا لشدته لا تسـتطيع أن تفتح عيـنك فيه. فـعرفت للتو أنه للتـعذيب أو الإرهاق.

وبعد فـترة طرقت الباب، وجـاء مارد أسود فى غـلظته سألنى عـما أريد، فاستأذنت فى الذهاب إلى دورة المياه للوضـوء، فأجاب فى وحشية ممنوع طرق الباب - ممنوع دورة المياه - ممنوع الوضوء - ممنوع الشرب.

إذا طرقت الباب سأجلدك خمسين جلدة، وفـرقع بالسوط فى الهواء ليرينى أنه على استعداد لتنفيذ تهديده.

لم يكن فى الزنزانة شيء، وكنت قد تعبت من الوقفة الطويلة بين الكلاب فى «الحجرة ٢٤» فخلعت معطفى وفرشته على أرضها وتيممت وصليت المغرب والعشاء، وجلست القرفصاء، ولكن ساقى المكسورة لم ترحنى فوضعت حذائى تحت رأسى وتمددت على أسفلت الحجرة.

لكن الطغاة لم يمهلونى. كان بأعلى الزنزانة نافذة تطل على فناء السجن، جاءوا بصليب من الخشب على ارتفاع النافذة ثم جاءوا بشباب من المؤمنين يصلبونهم الواحد تلو الآخر على هذا الصليب، ويأخذون فى جلد المصلوب بالسياط، والشاب يذكر اسم الله ويستنجد به، وبعد نصف ساعة من الجلد المستمر المتواصل يقولون لهذا الشاب الذى قد يكون مهندسًا أو مستشارًا أو طبيبًا: «يا ابن الكلب متى جئت هنا؟».

فيقول: «اليوم أو البارحة»، فيعودون إلى السؤال:

«متى ذهبت إلى منزل زينب الغزالى آخر مرة؟».

فإن قال لا أذكر، عادوا إلى الجلد وطلبوا منه أن يسب زينب الغزالى بأبشع ما يتصور الإنسان من الألفاظ الفاحشة والكلمات البذيئة، وطبعا يرفض هذا الشاب المؤمن ويعودون لجلده مرة أخرى، وربما قال أحد الشباب: إننا لا نرى فيها إلا الصدق والفضيلة فيزيدونه ضربًا وجلدًا حتى يفقد الوعى، فيأتوا بآخر طالبين منه نفس الشيء ظنا منهم أن ذلك يضعف من عزيمتى.

وهكذا، شاب يعقب أخاه، وقلبى يتمزق على هذا الشباب المؤمن. أخذت أناجى الله وأتضرع إليه طويلاً.

سألته أن يجعلنى فداء لهذا الشباب فأتلقى التعذيب بدلاً منهم، فقد تصورت أن هذا أهون علىّ، فأخذت أدعو الله أن يجعلنى مكانهم أو يصرف

عنى وعنهم هذا الجلاد.

تمنيت أن يقولوا ما يريده هؤلاء الفجرة عن زينب الغزالى حتى ترفع عنهم السياط، ولكنهم لم يقولوا، والسياط تتضاعف وتتعالى صيحاتهم والألم يمزقنى.

وأنا أناجى ربى فأقول:

«اللهم اشغلنى بك عنهم واشغلهم بك عنى. اللهم ألهمهم الخير الذى يرضيك، اللهم احجب عنى أصوات تعذيبهم، اللهم إنك تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك، إنك أنت علام الغيوب، تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، فرحمتك اللهم بعبادك».

الرؤيا

ولا أدرى كيف أخذنى النوم وأنا أذكر الله، وكان فى هذا النوم خير وفضل وعطاء، كان فيه رؤيا مباركة هى إحدى رؤاى الأربع لحضرة النبى عليه الصلاة والسلام فى محنتى:

«رأيت بحمد الله صحراء مترامية وإبلاً عليها هوادج كأنها صنعت من النور، وفى كل هودج أربعة من الرجال كأنهم أيضًا وجوه نورانية، رأيتنى خلف هذا السيل من الإبل فى هذه الصحراء المترامية التى لا يحدها البصر، أقف خلف رجل عظيم مهيب وهو يأخذ بخطام امتد فى أعناق هذا السيل الجارف من الإبل التى لا يحصى عددها. أخذت أردد فى سرى: أيكون حضرة النبى محمد ﷺ. فإذا به يجيبنى: «أنت يا زينب على قدم محمد عبد الله ورسوله».

سألت: «أنا يا سيدى يا رسول الله على قدم محمد عبد الله ورسوله؟».

قـال عليه الصـلاة والسلام: «أنتم يا زينب عـلى الحق، أنتم يا زينب على الحق، أنتم يا زينب على قدم محمد عبد الله ورسوله».

وقمت من الـنوم وكأننى ملكت الوجـود بهذه الرؤيا، وأدهشنى - بعـد ما نسيت مـا أنا فيـه وأين أنا - أنى لا أجد ألم السيـاط ولا الصلبان القـريبة من النافذة، فقد نقلت إلى مكان بعيد وأصبحت الأصوات تأتينى عن بعد.

وثانى مـا أدهشنى أن اسمى فى شـهادة الميلاد زيـنب غزالى واسم الشـهرة المعـروف لدى الناس «زينب الغزالى» والـرسول عليـه الصلاة والسـلام ينادينى باسمى فـى شهادة الميـلاد وفعـلاً نقلتنى الرؤيا عن الزمان والمكان فـتيـممت، وأخذت أصلى ركعات شكرًا لله على هذا العطاء.

وفى إحدى سجداتى وجدتنى أقول:

«ربى بم أشكرك؟ إنى لا أجد ما أشكرك به إلا أن أجدد بيعتى لك.

اللهم إنى أبايعك على الشهادة فى سبيلك. اللهم أنا أبايعك على ألا يعذب أحد بسببى. اللهم ثبـتنى على الحق الذى يرضيك وأوقفنى فى دائرة الحق الذى يرضـيك!» وانتهـيت من صلاتى، وأخـذت أكرر مـا دعوت به فى سـجودى وكأننى أعـيش فى عالم غير الذى أنا فـيه وأحسست براحـة وسكينة واطمئنان قلب..

وسمـعت ضجـة شديدة فى الخارج وأصـوات عربات كـثيرة تـتزاحم إلى الداخل وأخرى خـارجة من الجحـيم، عرفت فيـما بعد أن هذا الوقت انتـهاء وردية من الزبانية وبدء وردية أخرى للتعذيب..

وسمعت المؤذن يؤذن لصلاة الفجر فرددت الأذان ثم تيممت وصليت..

أمضيت على هذه الحال ستة أيام على التوالى من مساء الجمعة ٢٠ أغسطس إلى الخميس ٢٦ أغسطس لا يفتح باب الزنزانة فلا أكل ولا شرب ولا دورة مياه ولا صلة بالخارج، غير تلصص هذا الشيطان الذى يضع عينه على فتحة باب الزنزانة الصغيرة بين الحين والحين. ولك أن تتصور أيها القارىء العزيز كيف تستطيع أن تعيش هكذا، وإذا استطعت أن تعيش بلا طعام ولا ماء فكيف يستغنى الإنسان عن قضاء حاجته الضرورية؟ كيف يعيش الإنسان بغير أن يذهب إلى دورة المياه ولو مرة واحدة فى اليوم؟.

ولا تنس أننا كنا فى شهر أغسطس! فهل تجيز اليهودية أو الوثنية ذلك! فما بالك بالذين يدعون أنهم مسلمون.. وهل يفعل ذلك أى كائن ينتمى للجنس البشرى؟!

يا الله! لكم جنى الطغاة المستبدون على كرامة الإنسان، وتحللوا من كل دين وخلق، ولكن اليقين بالله واعتقاد الحق، وأن يرى الإنسان ربه ويعايش أمره كل ذلك قد يصنع شيئاً كبيراً فوق طاقة البشر.

فلا تدهش أيها القارئ: لأننى استطعت أن أعيش هذه الأيام بغير ماء، أو طعام، أو قضاء ضرورة، أو صلة بإنسان. اللهم إلا هذه الطرقات من الشيطان الأسود الذى ربما فتح الباب يسأل فى غلظة ووحشية: يا بنت الـ.. انت لسه عايشة؟!...

نعم أيها القارئ لقد عشت هذه الأيام بأمرين..

الأول: هو فضل الله علينا بالإيمان به. إنه الإسلام الذى يمنح صاحبه قوة يغالب بها الصعاب والمشقات أيا كانت هذه الصعاب. إنه فضل الله. فالإيمان يعطى قوة وطاقة احتمال هائلة، تعلو قوة الطواغيت الفجرة الذين ظنوا أنهم

فعلا يحكمون. والحق أن المؤمن يعيش متصلا بالله سبحانه. مستغنياً عن الصورة والأغيار.

والأمر الثانى : هو تلك الرؤيا المباركة التى كانت بمثابة تخفيف وزاد ودفعة حياة من الله تعالى، عشت بها مشغولة به عن الأغيار المحيطة بى، وجعلتنى أحتمل فى رضا وسكينة جحيم هؤلاء الطواغيت . . وفى صبيحة اليوم السابع فتح باب الزنزانة ودخل الشيطان الأسود وبيده ربع رغيف ملوث بقذارة من فضلات الإنسان وقطعة من الجبن الأصفر كذلك. ورمى بهما إلى الأرض وقال يا بنت الـ . . ده أكلك مادمت عايشة. لم أمس الخبز ولا الجبن وأخذت الماء وأغمضت عينى لشدة قذارة إنائه وسددت أنفى، ورفعت الماء إلى فمى وأنا أقول: «بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم».

«اللهم اجعله غذاء وريا، وجهاداً وعلماً، ومعرفة وصبراً ورضا».

وشربت من الكوز وأغلقت الزنزانة. ومكثت على حالى إلى ما قبل غروب الشمس. حين فتحت الزنزانة ودخل الشيطان الأسود. وقال وهو يضرب بالسوط الذى فى يده على الحائط وعلى أرض الزنزانة:

قومى يا بنت الـ . . روحى المراحيض.

وعندما خرجت كدت أسقط على الأرض لشدة إعيائى، فأمسك بذراعى ومشى بى حتى أدخلنى المرحاض، ولما أردت إغلاق باب المرحاض قال : ممنوع إغلاقه ، فخرجت من المرحاض وقلت له : أرجعنى إلى الزنزانة لا أريد شيئا.

قال فى وحشية والجاهلية تغطى عليه وعلى المكان:

ادخلى يا بنت الـ . . أمال احنا حنحرسكم إزاى يا اولاد . . . .

أريد من القارئ أن يتصور معى هذا الموقف؟!

أى جاهلية وأى إلحاد يبيح ذلك؟.

عدت إلى الزنزانة وأنا أتمنى الموت إن كان الموت خيراً لى . حتى لا أضطر مرة أخرى إلى الذهاب الى دورة المياه مع هذا الشيطان، أغلقت الزنزانة فتيممت وصليت المغرب. وما أن انتهيت حتى فتح باب الزنزانة ودخل الوحش الذى أدخلنى من قبل حجرة الكلاب ويدعى صفوت الروبى، ومعه شخصان.

ثم قال اتفضل يا دكتور.

تولى أحدهم الكشف على وأنا على أسفلت الزنزانة.

قال واحد من الواقفين للذى يكشف علىَّ: إيه يا شعراوى؟

أجاب: لا شئ قلبها سليم. ذلك القلب الذى أصيب بجلطة من التعذيب.

وخرجوا وأغلقت الزنزانة.

وبعد دقائق فتحت الزنزانة وأخذونى إلى حوش مرعب مظلم مخيف وتركونى ساعتين تقريبا. وجهى للحائط بعد أن أمرونى بعدم التحرك. وقالوا لى وهم يغلقون على باب الحوش: أجلك انتهى النهاردة! يا بنت الـ . .

أخذت أفكر فعلا فيما يقولون وأطلب من الله السكينة والأمن وأن ألقاه على الإسلام، وأخذت أتلو فاتحة الكتاب وسورة البقرة وأنا أحس وكأنى أقرؤها للمرة الأولى.

شغلت بالتلاوة حتى أيقظتنى من استغراقى صفعة من يد غليظة قاسية وأضيئت الكهرباء، وأخذ هذا الوحش يضربنى بقسوة بالسوط على جسدى

حيثما وقع، ثم أعطانى ثلاث ورقات بيضاء وقال : والظلمة تتساقط من وجهه كأنما فى عينيه شيطان:

اكتبى هذه الأوراق!

ودخل ثلاثة رجال يأمرونه أن يعيد ضربى ويعلقون : « حتى لا تنسى أن تكتبى ما نريد يا بنت الـ . . . . »

ثم أمروه بعد فترة بإيقاف الضرب وأمسك بى أحدهم فى غلظة ورمى بى إلى الحائط. عرفت فيما بعد أنه حمزة البسيونى. وتلقفنى آخر، ويدعى سعد خليل فأخذ يهزنى هزاً عنيفاً حتى أسقطنى على الأرض وأمر العسكرى أن يركلنى بقدمه.

ثم جاءوا بمقعد أجلسونى عليه وأعطونى الأوراق وأنا لا أستطيع أن أمسكها لشدة ما بى، وقاومت وأمسكتها والألم يعتصرنى. وصاح بى أحد هؤلاء الأقزام : اكتبى أسماء كل من تعرفين فى السعودية. فى السودان . فى لبنان، فى الأردن. فى أى مكان فى العالم . اكتبى كل معارفك على وجه الأرض، إذا لم تكتبى فسنضربك بالرصاص فى هذا المكان الذى تقفين فيه.

اكتبى كل معارفك من الإخوان المسلمين وكل شئ عن صلتك بهم.

وقدموا لى قلما ثم أغلقوا الباب وخرجوا.

وجلست إلى الأوراق وكتبت فيها : إن لى فى كثير من البلاد أصدقاء عرفونى عن طريق الدعوة الإسلامية. فحركتنا فى الأرض هى لله سبحانه، والله يسوق إلينا من يختار وجهته وطريقه. الطريق الذى سلكه من قبلنا أصحاب محمد ﷺ والسلف الصالح . . .

إن غايتنا أن ننشر دعوة الله وندعـو للحكم بشرعه. وإنى باسم الله أدعوكم أن تتخلوا عن جاهليـتكم وتجددوا إسلامكم. وتنطقوا بالشـهادتين وتسلموا لله وجوهكم، وتتـوبوا إلى الله من هذه الظلمة التى رانت على قلوبكم فأغلقـتها فى وجه كـل خير، لعل الله يخـرجكم من ظلمـة الجاهلية إلـى نور الاسلام. وبلغوا ذلك لرئيس جمـهوريتكم لعله يتوب ويستغفـر ويعود للإسلام، ويخلع عن نفسـه أطمار الجاهلية. فـإن أبى فأنتم مسئـولون عن أنفسكم وعن الطريق الذى اخترتموه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله.

اللهم اشـهد أنى قـد بلغت دعوتك، فـإن تابوا فتب عليـهم. اللهم وتب علينا. وإن جهلوا فإنك أنت العزيز الحكيم. وثبت أقدامنا على الطريق وامنحنا الشهادة فى سبيلك عطاء منك وفضلا . .

كتبت ذلك مستعينة بالله واثقة أنى أديت رسالة الله.

وعدت إلى تلاوتى، وجاء المدعو صفوت الروبى فأخذ الأوراق وتركنى فى هذا المكان المرعب بعد أن أطفأ النور.

ولم تمض فترة حتى فتح باب الحـوش وأوقدت الكهرباء ودخل أربعة جنود ومعهم صفوت يصيح بكل ما فى قاموسه البشع من ألفاظ السباب والشتائم. يا بنت الـ . . و . . و . . احْنا بنهزر؟ إيه الكلام الفارغ اللى أنت كاتباه ده؟.

ثم صاح قائلا : انتباه !! حمزة باشا البسيونى، مدير عام السجون الحربية.

ودخل مدير عام السجون الحربية تسبـقه كلمات يقذف بها، لا تساويها فى سفالتها وانحطاطها أى كلمة أو لفظة سمعتها من قبل، على قذارة ما سمعت. أخذت أنظر إليه باحـتقار شديد وازدراء. وكانت فـى أيديهم أوراق قالوا كذبا

إنها الأوراق التى كتبتها ومزقها أحدهم وهم يعيدون ما قاله صفوت من أنهم لا يهزلون وأنهم يستنكرون الكلام الفارغ الذى كتبته.

وقال البسيونى : خذوها. دى مافيش فايدة فيها. ثم خرج، إلا أنه لم يلبث أن عاد صفوت ومعه جند طرحونى أرضاً بقسوة ووحشية ولا أدرى كيف وضعوا يدى ورجلى فى قيد وعلقونى على خشبة كما يعلق الجزار ذبيحته وجلدت وحشيا من أناس تمرنوا وتمرسوا فى الجريمة. كنت أردد اسم الله تعالى حتى أغمى علىَّ.

أفقت فوجدت نفسى على نقالة مثل نقالة المستشفيات. كنت عاجزة عن الحركة والكلام. غير أنى كنت أحس بما يقع. وذهبوا بى إلى الزنزانة. ولما أفقت من إغمائى وجدت نفسى مصابة بنزيف شديد. طرقت الباب أستغيث بأن يسعفونى بشئ أجفف به الدماء المتدفقة. وطلبت الطبيب فجاء الجواب سبابا ولعنات.

وعدت إلى ربى أسأله - وهو الذى بيده كل شئ - أن يرفع عنى ما بى. وتذكرت حديث رسول الله ﷺ : «اتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب» ودعوت الله أن يوقف الدم. واستجاب الله دعائى كرما وفضلا. غير أنى ظللت أقاسى من آلام شديدة بجسدى كله. ناهيك عن قدمى كأن بهما نارا موقدة. ولجأت الى ذكر الله والصلاة له، أروض نفسى بالانصراف إليه على احتمال ما بى.

ومرت ليال قاسية وأنا على هذه الحال: آلام مبرحة ولا طبيب ولا علاج إلا هذا الشيطان الأسود الذى يفتح الباب مرة كل يوم ليرمى بقطعة من الخبز وأخرى من الجبن. وكما يضع هذا الشئ يأخذه فقد كنت لا أطيق رائحة ما يقدمونه من طعام.

وفى يوم أحسست بشئ يجذبنى إلى باب الزنزانة. كان صوت أقدام، أحسست أن قلبى ينجذب إليها. وأمسكت بباب الزنزانة ووضعت عينى على الثقب الذى يرقبوننى منه بين الحين والحين. ورأيت صاحب هذه الخطى. لقد كان الإمام حسن الهضيبى المرشد العام . وأدركت أنهم قبضوا عليه. ووضعت فمى على الثقب وقرأت قوله تعالى :

﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠].

وصرت أترقب هذه الخطى الغالية. وكان الله يرزقنى رؤيته كل يوم. فكنت أقف وأردد الآية ويجيب بإيماءة خفيفة لا يلحظها الشيطان الذى يرافقه.

كان هذا اللقاء يؤنسنى كثيرا ويشغلنى عن جل آلامى. وهذا أمر لا يحس بجلاله غير المؤمنين المتآخين فى الله. فالإسلام يربط بين قيادته وجنده برباط يعلو بالنفوس حتى تؤثر مرضاة الله على نفسها. وعشت يغمرنى الاطمئنان بذلك.

عودة إلى دوامة التعذيب والمساومة

لم يطل بى الاطمئنان. فذات مساء فتحت الزنزانة وفاجأنى الشيطان صفوت بالسوط يضرب به كل شئ ويضرب به الحائط. ثم أخذنى بوحشية من ذراعى وأخرجنى من الزنزانة إلى حوش السجن. فإلى مكتب يواجه السجن رقم (٢)، وأجلسنى على مقعد تجاه مكتب وتركنى وخرج، وما لبث أن جاء شيطان آخر سألنى عما إذا كنت زينب الغزالى ولما أجبت بالإيجاب خرج كما

دخل. وبعد فترة دخل ثلاثة جنود كأنهم خارجون لتوهم من جهنم. طول أجسامهم مرعب وعرض أجسامهم كذلك. وجوههم تعكس غلظة قلوبهم. وبعدهم بقليل دخل رجل فسألهم عما إذا كانوا قد عرفونى ورأونى، وأجابوا بنفس واحد بالإيجاب، وقالوا بأن موعد موتى قد حل. ثم خرجوا ليعودوا بالأخ فاروق المنشاوى فيجلدوه بعد أن قيدوه وصلبوه على عود من الخشب. وبين الجلدة والجلدة كانوا يسألونه عن عدد المرات التى زارنى فيها. ويطلبون منه أن يسبنى فيرفض فيزيدونه جلدا، وأنا أتمزق مما أرى وأسمع حتى طرحوه أرضا واعتقدت أنه يحتضر . ولكن إرادة الله شاءت له أن يعيش ويحاكم ليحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة. يدعو فى السجن للإسلام وللحق الذى آمن به حتى امتدت إليه يد آثمة وبتعليمات من عبد الناصر لتقتله فى سجن ليمان طره فيفوز بالشهادة.

ولم يكتف الآثمون بجلد الأخ فاروق، بل أتوا بأخ آخر علقوه على أعوادهم وأعادوا عليه ما سألوا فاروق عنه ورفض الأخ كما رفض أخوه من قبل. واشتد العذاب وتعب الشاب وظنوا أنه يموت. فأنزلوه أرضا ورفعوه على نقالة وانصرفوا به لا يدرى أحد إلى أين . . . ويبدو أنهم اعتقدوا أن ما رأيت وما سمعت. . سيدفعنى إلى بعض ما يريدون فأرسلوا لى رجلا يتصنع أنه من أهل النصيحة والخير. حيانى وقدم لى نفسه على أنه عمر عيسى وكيل النيابة (وعرفت فيما بعد أنه أحد شياطينهم).

ثم بدأ نصيحته قائلا : أنا ياحاجة زينب أريد أن أتفاهم معك لأنقذك من بين أنياب وبراثن هذه البلاوى.

كيف ترمين بنفسك فى هذا «القرف» وأنت زينب الغزالى. المحترمة المصونة. شوفى الإخوان المسلمين، كلهم بمن فيهم الهضيبى اعترفوا بكل شئ.

وقالوا عنك كلاما يحكم عليك بالإعدام. حموا أنفسهم ورموك أنت.

أنا رأيى يا حاجة أن تدركى نفسك قبل فوات الأوان وتقولى الحقيقة وتقولى لنا: ماذا كـان هؤلاء ينوون فعله، وتوضـحى موقفك وأنا مـتأكد إن مـوقفك سليم.

وصمـت ولم أجبـه. قال: «جـاوبى يا ست زينب فى هدوء وروية. نحن نريد أن نصل إلى الحقيقة».

فأجبت: أعتقد أن الإخوان المسلمين وأنا معهم ومنهم لم نفعل شيئا يغضب البشر السوى المدرك للحقيقة. ماذا فعلنا؟ كنا نعلم الناس الإسلام فهل فى هذا جريمة؟.

وصمت فقال: « لكن أقوالهم تثبت أنهم كانوا يتآمرون على حاجات كثيرة منها قتل جـمال عبد الناصر وتخريب البلـد، وأنك أنت اللى كنت تحرضينهم على ذلك. وأنا وكيل نيابة ليس لى مصلحة إلا الوصول لـلحقيقة. فما رأيك بعد هذا؟».

قلت : ليس من أهداف الإخـوان المسلمـين قتل عـبد الناصـر أو غيـره أو تخريب البلد، الذى خرب البلد فعلا هو جمـال عبدالناصر. إن غايتنا أكبر من ذلك. إنها الحقيقة الكبرى؛ قضـية التوحيد فى الأرض، توحيد الله، عبادة الله وحده، إقامـة القرآن والسنة. إنها قـضية ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ**﴾ [الأنعام: ٥٧] وعندما نحقق غايتنا إن شاء الله ستهدم هياكلهم وتنتهى أسطورتهم. إن أهدافنا الإصلاح لا التخريب. البناء لا الهدم».

فابتـسم ابتسامة باهتـة وقال : «يعنى فعـلا أنتم تتآمرون على عبـد الناصر وحكمه. هذا ثابت من أقوالك يا ست زينب».

قلت : «الإسلام لا يعـرف لغة التآمر، ولكن يجـابه الباطل بالحق ويوضح للناس الطريقين: طريق الله تعالى وطريق الشيطان».

الذين يسلكون طريق الشـيطان مرضى بؤسـاء نقدم لهم الدواء فى إشـفاق وعطف والدواء فى أيدينا : دعوة الله، دين الله، شريعة الله .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وانقلبت وجـه الشيطان الذى كـان يدعى أنه وكـيل النيابة، والحق أنه كـان سعد عـبد الكريم . وخرج وهو يقول : أنا أردت أن أخـدمك . ولكن يظهر أنك مازلت مخدوعة بما صوره لك الإخوان المسلمون. .

وجاء صـفوت الروبى فأوقـفنى ووضع وجهى إلى الحائط وتركنى سـاعات أتمزق بما أسمع من تعذيب الإخوان، وجلدهم واحدا بعد الآخر، يحضرنى من أسمائهم : مـرسى مصطفى. فاروق الصاوى. طاهر عبد العـزيز سالم. وعاد وكيل النيابة المزعوم ومعه حمزة البـسيونى وصفوت الروبى. وقال حمزة: لماذا لا تريدين أن تتفاهمى مع وكيل النيابة؟ نحن نريد أن نخلصك من الورطة التى أنت فيها. أنا أعرف زوجك. هو رجل طيب وانت حاتوديه فى داهية!!

حسن الهـضيبى قال كل حـاجة. والإخوان قالوا كل حـاجة. وأنت لم لا تخلصين نفسك مثلهم؟.

قلت : صحيح! الإخوان قالـوا كل حاجة ولذا تجلدونهم وتصلبونهم على الخشب. أنا لا أكذب على الإخوان ولا على نفسى. .

نحن مسلمون ونعمل للإسلام وهذا هو عملنا !!

كان يقف خلفهم أربعة من زبانيتهم يضربون بسياطهم الأرض التى كانوا يجلدون عليها الإخوان.

نظرت إلى وكيل النيابة المزعوم وقلت : وهذه السياط يا وكيل النيابة؟ هل هى من مواد القانون فى كلية الحقوق؟

وضربنى حمزة البسيونى على وجهى وهو يقول:

هو انت يابنت الـ. . . . . حاتجننينا! أنا اقدر أدفنك زى ما بادفن عشرة كل يوم منكم!

فنظرت ثانية لوكيل النيابة المزعوم وقلت له :

لماذا لا تكتب هذا الكلام فى محضرك؟ إذا كان معك محضر !!

فنظر إلىَّ حمزة البسيونى وقال: خلاص تصرفوا أنتم، أنا كنت أريد أن أخدمها لكن هى لا تريد.

وكانت هذه الكلمة بمثابة أمر لصفوت وزبانيته الذين يضربون الأرض والحائط بالسياط، وتحولت السياط إلى جسدى فأغمضت عينى خوفا من أن يصيبها السوط، وظلت السياط نازلة على جسدى بوحشية، وأنا أشكو إلى الله وكنت كلما اشتد الألم رفعت صوتى قائلة: يارب ! يا الله !

وتركونى بعد أن ألصق صفوت جسدى بالحائط ورفع يدى إلى أعلى وأنا أردد يالطيف! يا الله. أنزل بى عونك! ألبسنى سكينتك !!

بعد ساعات جاء صفوت ومعه شيطان أسود يدعى سامبو. ضربونى على وجهى عدة ضربات واخذونى إلى الزنزانة وأغلقوها.

بعد دقائق من إغلاق الزنزانة سمعت آذان الفجر فصليت ودعوت الله: «إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى. أعوذ بنور

وجهك الذى أشـرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيـا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك، لك العـتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»!!

مندوب رئيس الجمهورية

تركـونى فى الزنزانة ثلاية أيام، أخـذونى بعدها لنـفس المكتب حيث كـان يجلس رجل أبيض طويل القامة..

قال : اجلسى ياست زينب، نحن عرفنا أن الجماعة هنا أتعبوك. أنا أعرفك بنفسى : أنا من مكتب السيد رئيس الجمهورية، ونريد أن نتفاهم معك يا ست زينب !! البلد كلـها تحـبك ونحن أيـضا نحـبك. لكن انـت متـبـاعـدة عنا ومخاصمانا ولا تريدين أن تتفاهمى معنا.

لكن والله لو تتـفـاهمى معنا يا سـت زينب سنخرجك الـيوم من السـجن الحربى، كلنا نقول: هذا الوضع ليس لك أنت.

أنا لا أعدك أن تخرجى من السجن فـقط. بل أعدك أيضا أن تكونى وزيرة للشئون الاجتماعية بدل حكمت أبو زيد . . .

قلت له : هل جلدتم حكمت أبو زيد قبل أن تصبح وزيرة وأطـلقتم عليها الكلاب؟.

قال : مـا هذا الكلام؟ هودا حصل؟ . نحن مـتألمون لمجـرد وجودك هنا. قلت : وماذا تريدون منى؟.

قال : الإخوان المسلـمون لبسوك كل التهـمة. والهضيـبى لبخ فى الموضوع وعبد الفتاح إسماعيل قـال كل حاجة، وسيد قطب قال كل حاجة. لكن نحن أحسـسنا أنهم يحاولون تخليص أنفـسهم وتحمـيلك أنت المسئوليـة كلها. ولذا

جئت النهاردة بنفسى بأمر من الرئيس عبد الناصر حتى نتفاهم وتخرجى معنا. وسأوصلك إلى بيتك بعربيتى، وأحب أعرفك أن من أقوال الإخوان أصبح معروفا ومعلوما لدينا أنهم كانوا يريدون الاستيلاء على الحكم، وإنك انت التى رسمت الخطة للاستيلاء على السلطة وقتل عبد الناصر وأربعة وزراء معه. ونحن نريد منك توضيح موقفك ودور سيد قطب والهضيبى فى الموضوع. ومن هم الوزراء الأربعة المطلوب قلتهم : تفضلى تكلمى! واشرحى لنا الموقف بالتفصيل.

قلت : أولا الإخوان المسلمون لم يدبروا خطة للاستيلاء على الحكم ولا لقتل عبد الناصر والوزراء الأربعة المزعومين ولا لقتل واحد. الموضوع هو دراسة للإسلام ولمعرفة أسباب تأخر المسلمين والحالة التى وصلوا إليها . .

عند ذلك قاطعنى قائلا : يا ست زينب أنا قلت لك : هم قالوا كل حاجة. قلت : جايز جدا. وقطعا قالوا ما أراده الجلادون منهم . فترخصوا لأنفسهم وقالوا شيئا لم يحدث . . .

القضية كلها أننا كنا ندرس الإسلام ونعمل على أن نربى له جيلا يعيه ويفهمه. فإن كانت هذه جريمة فأمرنا لله».

فأقسم بالله العظيم أنه يريد خدمتى وأنه حضر خصيصا لخدمتى.

قلت له: شكرا أنا لم أفكر يوما أن أكون موظفة حتى ولا وزيرة، أنا قضيت عمرى فى خدمة الإسلام وموضوع وزارة الشئون لا يعنينى فى قليل أو كثير لأنى لا أصلح للوظيفة، فعملى كله التطوع لخدمة الإسلام.

وقام الرجل وتركنى فى الحجرة بعد أن قال: أنت حرة، نحن عرضنا خدماتنا وأنت ترفضين. . .

وبعد خـروجه بساعـة دخل الحجرة رياض ومعـه صفوت وكـان رياض قد هددنى أكثر من مرة بأنه سيقتلنى إذا لم أقل له ما يريد، وتكررت عملية الضرب السابقة التى لم يمر عليها أكـثر من ثلاثة أيام وبعد الضرب المؤلم أعادونى إلى الزنزانة.

كان ذلك أيضا مع طلوع الفجر . .

وجوه غالية تدخل زنزانتى

فى عصر اليـوم التالى سمعت أصواتاً أعـرفها وأحبها، قـمت بصعوبة إلى الباب ونظرت من الفـتحة الضـيقة، فـرأيت الشيطان حمـزة البسيـونى وتابعه صفوت يسدان على الفتحة، إلا أنى سمعت أصواتا أعرفها، وما لبث الشيطان وتابعه أن تحركا فرأيت بعض الوجوه الغالية :

علية حسن الهضيبى، وغادة عمار.

وجلست حتى لا يرانى أحد من الطغاة وأنا أنظر من فـتحة الباب، غير أن الألم أخذ بى فـغطى كل مشـاعرى وأحاسيسى، وأخـذت أدعو الله سبـحانه وتعالى وأسأله أن يدفع عن بناتى وإخوانى شرور الطغاة.

كنت مستغـرقة فى آلامى أفكر : علية حامل فى شهـورها الأخيرة ؟ كيف اعتقلها الطغاة؟ وغادة؟ ماذا فعلوا برضيعتها الصغيرة؟ كيف تركتها؟ إنها لقسوة وفجور ووحشية!!

يا للبشر من حكامـهم عندما يرتدون أردية الجاهلية، فتغطى كـل مشاعرهم وتضيع ضمائرهم فيصبحون جلادين لرعاياهم !

ويلك يا عبد الناصر! أيها الطاغوت كم خدعت قومك !!

وينفتح الباب ويرمى الشيطان الأسود ببطانية ووسادة ، وكان قد مر علىَّ ثمانية عشر يوما وأنا أفترش الأسفلت، ويعود بعد لحظات ببطانيتين ووسادتين يرمى بهما على الأرض وأنا فى دهشة مما يحدث. ولم تلبث دهشتى أن زالت حين فتح الباب ثالثة ليدخل صفوت وحمزة البسيونى مصطحبين علية الهضيبى وغادة عمار يدخلانهما ويخرجان ويغلق باب الزنزانة.

وتقبل على علية تأخذنى بين ذراعيها تقبلنى وأنا منصرفة عن نفسى وعن الدنيا وتتساءل فى ألم: أنت الحاجة؟ والتفت إلى غادة فأرى عينيها ممتلئتين بالدموع تغرقان وجهها. وأسأل علية فى ألم . . تعرفينى ؟ فتجيب : لا لا لا ياحاجة لقد تغيرت كثيرا، نقص وزنك إلى حد مخيف، وأصبح وجهك كأنه وجه شقيقك سعد الدين.

قلت : هذا أمر طبيعى، أنت لا تعرفين الهول الذى أعيش فيه. وفوق ذلك فأنا لا أتناول من الطعام إلا ملعقة من السلاطة فى اليوم والليلة يرمى بها أحد الجنود وهو مرعوب يخشى أن يضبط متلبسا بجريمته .

وتحاول أن ترتب المكان بما أصبح فيه من بطاطين ووسادات. وتجلس وتسألنى عن مصحف، مسكينة علية لقد حسبت أننا نتعامل مع «آدميين» أو نسيت علية أننا هنا مع أعداء المصحف؟ أأنتظر منهم أن يسمحوا لى به؟ وتعرض على غادة مصحفا صغيرا كان معها وكذلك تفعل علية.

ونجلس ولما مددت رجلى المكسورة التماسا للراحة ظهرت آثار التعذيب وضرب السياط، وتسألنى علية عما ترى فأتلو عليها الآية الكريمة **﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود ④ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُود ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾**

[البروج: ٤ - ٨]. وتبكى غادة فى صمت وتتساءل علية فى عجب : أيمكن أن يحدث هذا مع النساء. علية طيبة القلب لم تستطع أن تصل بخيالها إلى المدى الذى يمكن أن يبلغه حكم عبد الناصر من عداوة لله ثم للدعاة.

وفاة رفعة مصطفى النحاس

وأرادت علية أن تغير الموضوع وأن تخرج بى خارج الأسوار، ونقلت لى نبأ وفاة مصطفى النحاس باشا. وخنقتنى عبرات الوفاء وأنا أدعو ربى: «اللهم إنك غنى عن عقابه وهو فقير إلى رحمتك، اللهم فارحمه».

وعرفت منها أنه مات بعد دخول السجن بيومين أو ثلاثة. وحدثتنى عن جنازته. عن الألوف المؤلفة التى كانت تسد جميع الطرقات. عن المظاهرات. عن خطف النعش حتى مسجد الحسين. عن الهتافات بألا زعيم بعد النحاس. عن بعض شعارات الإخوان وسط مسيرة الجنازة. عن محاولات أجهزة الدولة الوقوف أمام هذا الطوفان. عن تعليق الإعلام الخارجى على ما حدث .. وكان حديثا طويلا مطمئنا صريحا.

لقد انتهزت جماهير الشعب فرصة وفاة النحاس .. لتبدى رأيها صريحا واعتقادها سليما فهتفت معلنه مدوية تشق بهتافها سماء مصر : « لا زعيم بعدك يا نحاس».

فكأنها بتلك الصرخات المدوية تعبر عن حرمان مكبوت فى النفوس والقلوب والمشاعر. والوجدان فكأنها تقول:

«أيتها الزعامات الباطلة اسقطى».

«أيتها الأقنعة الزائفة انكشف الغطاء ووضح خداعك وغشك».

«أيها المنقذ أغرقك السراب والوهم».

«يا حبيب الملايين أمرت الفجار فزيفوها فصدقتهم وما أنت إلا وليد إعلام مأجور وكاتب مأمور».

«أيتها الخشب المسندة ستحرقك النار . . نار الحق فتصبحوا رمادا تذروه الرياح، يا سرابا وأهل الحق ظمأى».

وسألت علية: وماذا بعد ذلك؟ قالت: يتهامس الناس على اعتقال عشرين ألفاً من المشيعين.

نعم لقد كانت جنازة النحاس أذان حق وإعلان صدق عن سريرة مصر والمشاعر الحبيسة فى نفوس أبنائها والحرية المكبوتة.

وشدنى الحديث إلى ذكريات كثيرة عن مصطفى النحاس. ذلك الرجل الذى لم يحقد يوما على أعدائه. وكان لا يعز عليه أن يعترف بالخطأ اذا أخطأ. لقد كان زعيما وطنيا. وسألت محدثتى هل اعتقل أخى « سيف الغزالى» الوفدى فلم تؤكد علية ولم تنف. وساد الصمت فظنت بى خوفا على أخى فربتت على كتفى قائلة: يا حاجة كل شئ عنده بمقدار.

لم يكن بى خوف ولكن كان انشغالى بهذه الصورة الرائعة للجنازة. فقد كانت صورة التشييع - كما نقلتها لى علية - تعطى إشارة صريحة وقوية إلى أن نبض هذه الأمة لم يتوقف - رغم كل إيحاءات أجهزة الإعلام التى خدعت الناس - وبخاصة خارج مصر فظنوا الطاغوت إنسانا أو كما علقت عليه -ظنوه المنقذ- ما حدث كان يعنى أنه -بإذن الله- سيأتى اليوم الذى تكشف فيه الحقائق ليعلم الناس حقيقة حكامهم وما يبيعون وما يشترون. يبيعون شعوبهم وضمائرهم ويشترون مقاعد للحكم مقابل سحق الإسلام والمسلمين . إنه

نتخطيط رهيب! وانصرفت إلى غادة أسألها عن زوجها وأولادها ووالديها.

ومن بين دموعها عرفت أن الزوج هرب لاجئا إلى السودان، وأن الأم مريضة تائهة بين سمية المريضة وهالة الرضيعة. وأنها ما كانت لتهتم بشئ لولا الطفلتين.

هدأتها ودعوت للجميع ثم سألتها عن ضياء الطوبجى وهل تم زفافه؟ وكان الجواب أنهم قبضوا عليه ويده فى يد عروسته والمأذون، وقبضوا على عروسته وهى فى ملابس الزفاف وعلى أخته منى وأخيه الدكتور.

وهزنى نبأ القبض على الفتيات وتساءلت: إذن كان القصد هو القبض على كل من له اتصال بالإخوان. وتدخلت علية لتقول : بل على كل من يرى مؤديا للصلاة. وبدأت غادة تحدثنى عن الاعتقالات والوحشية فى تفتيش المنازل ليلا ونهارا، ولم أكن بحاجة الى هذا الحديث فقد حدث هذا معى وأكثر.

قلت : أعتقد أن التتار حين حاربوا الإسلام لم يفعلوا ما فعله عبد الناصر وزبانيته، ولا الرومان حين كانوا فى مصر قبل الفتح الإسلامى. لقد أنسانا الحكم الناصرى فجور المجرمين فى التاريخ الإنسانى كله.

إنه مارد أصم عن سماع الحق أعمى عن رؤية النور. فلا عجب أن يجلد النساء ويسجنهن ويقتل الرجال وييتم الأطفال ويرمل النساء !!

والحديث بمرارته وما فيه من شجون وأسى كان الواقع يحكى ذلك كله ويعكسه. والتفتت إلىَّ تحدق بى وتغوص بعينيها فى قدمى المنتفختين وساقى المتورمة وقالت : أظن أن دورنا فى التعذيب قد جاء يا حاجة، ربنا يعيننا ويصبرنا. وسآتيك بفوطة من حقيبتى أغطى بها رجليك، أليس معك حقيبة ملابس يا حاجة؟

قلت : ثمانية عشر يوما وأنا فى هذه الملابس الملوثة بدماء النزيف كما ترين يا ابنتى. وأخذت غـادة تبكى وهى تنظر إلى ملابسى المجمـدة بالدم والصديد فوق جسمى. واقترحت علىَّ أن تغيـر ملابسى بما معها هى ولما رفعت الملابس الممزقـة عن جسدى فـوجئنا بآثار السـياط تمزقه وكـانت صيحـة استنكار وألم عميق، فهذا مما لا يمكن أن يحدث مع النساء فى نظرهما..

وحاولت أن أخفف عنهما ما رأتا فـحمدت الله على أن كان هذا فى سبيله سبـحانه وتعـالى، لا فى سبـيل أى دعوة دنيـوية أو إلحادية، حمـدته على أن أكرمنا بـالإسلام وحمـدته على أن شرفنا بمظلـة : «أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبد الله ورسوله».

وحاولت عليـة بدورها أن تخفف عنى، فنقلت لى أحاديثـهم عنى حديث أختها السيدة خالدة الهضيـبى عن أن السجن لن يضيرها بشرط أن يدعوها فيه معى فى زنزانة واحـدة. لقد هزنى هذا الحديث كثيـراً . ولكن لو رأت خالدة جسمى لغيرت رأيها وطلبت من الله أن يعافيها . .

ودعوته سبحـانه أن يعفى جميع الأخوات وجمـيع المسلمين والمسلمات من جَور وظلم أهل الباطل.

الطعام عبادة

وفتح باب الزنزانة فجأة فانقطع مـا بيننا من حديث ودخل الشيطان الأسود وبيده ثلاثة أرغفة من الخبز و«قروانة» صفيح بـها فاصوليا مسلوقة. أخدتها منه علية. وأغلق الباب.

كنت لا أطيق رائحة هذا الطعام. وكانت علية حاملا ويبدو عليها الإجهاد. وكأنهـا أحست بما فى نفـسى فقـربت الطعام منى وهى تقـول: الأكل حلو يا حاجة !

وناولتنى رغيفا، وناولت غادة رغيفا آخر وابتدأت تأكل وتبعتها غادة. قالت علية : يجب أن آكل من أجـل الضيف الذى هنا !! وأشارت إلى حـملها ولما رأتنى متوقفة توقفت وكذلك فعلت غادة .

قالت عليـة : نحن نأكل ونقول مع كل لقـمة بسم الله الرحـمن الرحيم . ولم أستطع أن أبتلع الطعام. فقالت علية :

يا حاجة أنا مـعتقدة أنك أصبحت فى نصف وزنك طبـعا من عدم الأكل، وقد أصبح الأكل فى هذا الوقت عبادة. فـالجلادون سيسعدهم أن تموت زينب الغزالى . والامتناع عن الأكل حرام.

حاولت دون جدوى أن أناقشهـا بأنى آكل ما يمسك علىَّ الحياة، وإرادة الله قد أعطتنى الصبـر عن العطام والقدرة على الاكتفاء بملعقـة سلاطة . ومازالت بى تلح حتى أكلت. ويعلم الله أنه كان عذابا لا طعاما.

وفى صبيحة اليـوم الثانى لحضور علية وغادة، استطعت أن أشـركهما معى فى لقائى اليومى بالمرشد العام عن طريق ثقب الباب، وحـدثتهما عما بعثه فى نفسى من طمـأنينة وراحة. واستطاعت علـية أن ترى أباها فى ذهابه إلى دورة المياه وإيابه وكذلك غادة.

وجلسنا باقى النهـار تحكى لنا فيه غـادة كيف قبضـوا عليها وكـيف التقت بحميدة قطب بعد القبض على، وأبلغتنى أنهم قـبضوا على آل قطب جميعا . ومرت ساعات اليوم ثقيلة بطيئة تقطع وحشتها ركعات الصلاة الجماعية .

وعقب صلاة العـشاء فتح باب الزنزانة ودخل الشرير صفـوت الروبى ومعه جندى آخر وأخذانى إلى المكتب الذى سبق أن دخلته مرتين من قبل ذلك.

وجدت رجـلا يجلس على المكتب، ألقيت عليه السـلام فلم يرد. وأخذت نظراته الوحشية تتفرسنى وهو يقول : أنت زينب الغزالى؟

قلت: نعم.

أشار إلى مقعد أمامـه لأجلس عليه ثم قال: إذن أنت زينب الغزالى!! لماذا أسأت إلى نفسك إلى هذا الحد؟ أكل هـذا لأجل الإخوان المسلمين؟ كل واحد منهم يحاول تخليص نفسـه. وهم جميعا يرمونك أنت فى الـبئر وحدك. أنت صعبانة علينا. أنا آليت على نفسى أن أنتـشلك من البئر. وسأتفاهم معك على بعض الأمور. تذهبـين بعدها إلى البيت. ليس هذا فـقط. أنا أقول لك باسم جمال عبد الناصر : إن تم التفاهم وعقلت فسيصدر الرئيس قراراً بإعادة المركز العام للسيدات المسلمات وسيـرجع لك مجلتك، وسيعطيك إعانة للمجلة ألفى جنيه شهريا وسيـصرف لك مبلغا كبيرا للجمعيـة ويعيدها أحسن مما كانت. إن تفاهمت مـعى سأرسل فى إحضار مـلابسك وبعد ساعـة سنقابل جمال عـبد الناصر..

أنت صعـبانة علينا والإخـوان الذين أوقعوك فى داهيـة. ربنا يسامـحهم . الريس قلبه كبير !..

كان يتكلم وأنا صامتة لا أجيب ..

فـقال: مـا تردى يا ست زينـب؟ والله الريس ناوى يقـيل حكمت أبو زيد

ويعينـك مكانها. نحن نريد أن تتـعاونى معنـا. افتحى قلبك وقـولى كل شئ وستعرفين أننى أخوك وأحب لك الخيـر. وناس طيبون كثيرون فى الخارج أيضا يحبونك ويتوسطون من أجلك . وقد قلبوا الدنيا لأجلك.

قلت : أنا لا أريد أن أكـون وزيرة، ولم يجل بخاطرى هذا الأمـر فى يوم من الأيام، أما جماعة السيدات والمجلة كذلك.. فقد فوضت أمرى فيهما لله، وليس من الضـرورى للمسلمـين أن يعملوا تحت رايـة مجلة أو جـماعة فـهم يعملون تحت راية لا إله إلا الله.

قالت : إذن فلم كنتم ترتبون لإعادة الإخوان المسلمين؟ يا ست زينب؟

قلت : نحن مختلفون فى فهم كل شئ.

أنا مثلا أعتقد أن جماعة السيدات التى أسستها عام ١٣٥٦هـ - ١٩٣٦م لم تحل. وعبد الناصـر يتوهم أنه حلها باستيلائه على أمـوالها ودورها وممتلكاتها. فالمسلمون تعقد راياتهم بيد الله، وما يعقده الله لا يحله البشر.

وجماعة الإخوان مثل جمـاعة السيدات المسلمات لم تحل أيضا. ودعوة الله ماضية فى طريقها وكلمة الحق قائمة. وسـيفنى عبد الناصر ودولته وتبقى كلمة الله. وعندما تنقضى آجالنا ونلقى الله، سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

إن دين الله قائم، ولا تزال طائفة مـن أمة الإسلام قائمة على الحق مـدافعة عن دين الله، مجاهدة فى سبيل الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك.

وأدعو الله تبـارك وتعالى أن نكون من الذين يأمرون بالمعـروف وينهون عن المنكر، مـبيـنين للأمة طريقـهـا إلى الله تعالـى .. هؤلاء الآمرون بالمعـروف والناهون عن المنكر خلفاء رسول الله ﷺ وهم المجددون لأمر الإسلام.

إن تأسيس جماعة الإخوان المسلمين لم يكن خبط عشواء من حسن البنا، ولكنه كان تنفيذاً لأمر أراده الله لتجديد هذا الدين بإقامة دولته وتنفيذ شريعته. ولذا فليس من حق جمال عبد الناصر حل جماعة الإخوان.

قلت هذا وسكت. فقال لى :

والله إنك خطيبة فعلا. لكنى لم آتك لآخذ منك درسا فى الإخوان ولتجذبينى لأكون واحدًا منهم. أنا آتيك لأصل معك إلى حل ينقذك من المصيبة التى أوقعت نفسك فيها . .

لقد رمى الإخوان كلهم المسئولية عليك . .

عبد الفتاح إسماعيل يقول : إنك انت التى جندته . .

الهضيبى خلص نفسه ورمى المسئولية عليك فقال : أنت أسست التنظيم . . سيد قطب تخلص وشبكك أنت . .

أنت إما طيبة جدا أو مجنونة . .

عبد الناصر يريد أن يخلصك مما أنت فيه، عبد الناصر (اللى البلد فى خنصره) يريد أن يسامحك عما مضى ويفتح صفحة جديدة. هو عارف أنك خطيبة، لك تأثير على الناس والناس تحبك وجماهيرك كثيرة . .

أنت يا زينب خسارة وأنت ورقة رابحة . .

أهناك أحد يريد عبد الناصر أن يقربه ويرفض؟

أنت مجنونة صحيح! لا مؤاخذة. أنا أقول هذا لأنى أريد مصلحتك وأنت طول عمرك تربين اليتامى وتعملين الخير. اعقلى يا حاجة وشوفى مصلحتك واسمعى كلامى. . .

قلت : ألا يكفيك ما قلت؟

قال: أمـر بسيط جدا سـترين الخيـر بعده : أن تذكـرى لى جميع أسـماء الإخوان الذين كانوا يحـضرون إليك فى المنزل، والطريقة التى كانوا سـيقتلون بها عبـد الناصر، ومتى أخذتم الأمـر من الهضيبى بقتل الـريس. كما نريد أن نعرف موقف سيد قطب، وكيف أعـدت الخطة وما هى تفاصيلها، وأنا أحلف لك برأس عبد الناصـر أنك ستخرجين هذه الليلة من السـجن ولتتسلمى وزارة الشئون الاجـتماعيـة. دى فرصة لا تضيـعيها، أنا حلفت لك بـشرفى وشرف الريس. اعقلى وفكرى جيداً فى مـصلحتك، كل الإخوان الآن لا يفكرون إلا فى أنفسهم . .

وهنا دخل الحجرة رجل غليظ الجثة لا تقع عينى عليه إلا ورأيت شيطانا فى وجهه. قال : يا سيادة العقيد لقد أحـضرنا كل التسجيلات التى كنا نضعها فى منزلها بالزيتون ومـصر الجديدة منذ ١٩٥٨. إذا أمرت نحضرها حتى تسـمعها لها.

قال محدثى : اذهب أنت الآن يا رياض ! ثم عاد يكلمنى قال:

شـوفى يا زينب، أنا عـارف أن زوجك رجل طيب وأريد أن أخـدمك من أجلك وأجله. وإخـوتك منهم أصـدقاء لى أعـزاء علىَّ. أنا أريد أن أخـدمك والرئيس حريص على أن تتفاهمى معـنا وهو يريد خدمتك، وأنا أعدك بشرفى وشرف الرئيس عبد الناصر أن أحرق الأشرطة أمامك إذا تفاهمنا، نحن نريد أن نخلصك من الورطة التى أوقـعك فيهـا الإخوان، والله العظيم نحن مـسلمون أحسن منهم . ماهو الإسلام؟ الإسلام أن لا يضر الإنسان أخاه!!

قلت وكلى سـخرية: والذى تشـهده هـنا، أليس إضرارا بأخـيك وبالناس

جميعا. قال فى بلاهة : نحن طيبـون جدا والنبى بس تفاهمى معنا وستدركين طيبتنا . .

قلت : أدعو الله أن يتوب عليكم وتكونوا مسلمين .

وهنا أخرج ورقـا من درج مكتبه وأمسك بالقلم وقـال: ياست زينب قولى لى من الذى كان يأتى عندك؟ .

قلت : لا أتذكر لأنى لا أحفظ الأسماء ولا أسأل أحدا عن اسمه.

قال : طيب ! نترك هذا الموضوع لنعود إليـه بعد قليل. نتكلم فى موضوع حسن الهضيبى وسيد قطب.

قلت : أى موضوع هذا؟

قال : موضوع قتل عبد الناصر والاستيلاء على الحكم!

قلت : يا أستاذ ! القضية أكبر من قـتل عبدالناصر والاستيلاء على الحكم، قتل عبد الناصر أمر تافه لا يشغل المسلمـين، القضية قضية الإسلام ، الإسلام غير قائم ونحن نعمل لقيام الإسلام ونعمل على تربية نشء للإسلام. وإذا كان عـبد الناصـر يحارب الإسـلام فى أشخـاص المسلمـين وينكر الحكم بشريعـة الإسلام مدعيا أن هذا رجعية وتعصب وتأخر فأمر لا يشغلنا.

قال : أنت مجنونة ! هذا الكلام خطير. ألا تعلمين أنك لو قتلت هنا الآن ودفنت ما علم بك أحد.

الظاهر أنك تستحـقين ما أنت فيه. لو تركـتك الآن فستقتلين بعـد ساعة. قلت : يفعل الله ما يشاء ويختار.

ولم أكد أقول هذا حتى انقلب كـالوحش الذى أخذه الصرع، وأخد يهذى

فى هيستيريا بالسب واللعن والشتم. ثم نادى أحد الجنود وأعطاه إشارة جاء على إثرها رياض إبراهيم.

قال له : دع التسجيلات للمحكمة. هذه مجنونة. اعرف شغلك معها وهات لها سعد وانصرف ذلك الذى كان يساومنى. وحضر العسكرى سعد وهو يقول نعم يا باشا. قال له : سويها يا سعد. وسأله سعد : كم جلدة يا باشا؟

قال : خمسمائة جلدة . وأنا راجع بعد قليل.

وأخذ سعد يضربنى بالسوط على يدى ورجلى وظهرى وكل مكان فى جسدى . ثم يتركنى واقفة ووجهى للحائط ويغيب مقدار ساعة يعود بعدها لضربى بالسوط مرة أخرى. ثم جاءوا بجماعة من شباب الإخوان وأخذوا يجلدونهم ويلقنونهم ألفاظا قبيحة وسبابا مشينة ليوجهوها لى . وكان الشبان يرفضون ذلك فيزيدونهم جلداً.

وكان منهم الطيار ضياء الطوبجى الذى قبض عليه يوم زفافه.

وجاء دور حمزة فى ليل المساومة !

بعد جلد شباب الإخوان وجلدى أخذونى إلى حوش السجن الذى فيه زنزانتى. وأوقفنى المدعو سعد ووجهى للحائط ما يقرب من ساعة. كان البرد قارسا وآلام الركل والسياط شديدة.

وجاء حمزة البسيونى، كنت قد بدأت أحفظ بعض الأسماء. وكان معه رياض الذى قال : يا بنت اعقلى وفكرى فى مصلحتك .نحن لا نريد إلا نفعك. انصحها يا حمزة باشا !

حاتعقلى وتعترفى كما اعترف كل الرجال أم لا ؟!

قلت : ليس لدى ما أعـترف به. الخير الذى كنا نجـتمع من أجله هو بعث عقيدة التوحيد فى نفوس الشباب.

التفت حمزة لصفوت وكان يقف خلفـه . فقال صفوت : أوامرك يا باشا.
قال حمزة : هات لى كرسيا ولها كرسيا.

زوجها صاحبى. ولذا سأتعب نفسى معها.

جاء الكرسى فأمرنى بالجلوس ليعرف كـيف يكلمنى موضحا أنه يفعل ذلك من أجل زوجى.

حاولت أن أجلس فـلم أستطع. كانت السـياط قـد أخذت من جسـدى ما أعجزنى عن الجلوس.

أعاد حمزة الأمر بالجلوس فقلت : كلمنى وأنا واقفة.

فقال لى: أنت التى فعلت هذا فى نفسك وحقَّرت نفسك بهذا الشكل. لقد أصبـح شكلك قبـيحـا، وأصبـحت رجلاك مـثل رجلى الرجل الوحش . إن زوجك سيغـتم حين يراك بهذا الشكل. لقد أصبـح سنك ستين سنة وزوجك صاحبى وصعبان علىَّ. انظرى إلى يديك، كأنهما يدا عمال البناء.

قال صفـوت : إنت بتقول يا باشا: سنهـا ستون سنة، دى شكلهـا كما لو كان سنها مـائة وعشرين سنة. وشكلها أصـبح قبيحـا، زوجها يسبهـا ويلعنها وستصلها ورقة الطلاق فى البريد.

قال حمزة : أنت صعبانة على، أنا أريد أن أخدمك.

ظللت صامتة لا أتكلم، بل أنظر نظرات فيـها احتقار له وازدراء لما يقول ، ولا أدرى أكان يحس بهذه النظرات أم أنه كـان غبيا؟ كنت أراه غبيـا جبانا . . كالحـشرة الملوثة. كـان يظن أنه يخـيفنى ، ولكنى كنت أحس أنه يفـرق منى رعبا. هكذا كنت أحس عندما كان يهذى بتهديداته.

صرخ كالوغـد يأمر صفوت أن يضع وجهى للحـائط، وأسرعت أنا بنفسى أنفذ الأمر وأرفع يدى إلى أعلى، وما لبث السوط فى يد صفوت أن بدأ يهوى على ظهرى فى وحشية، ثم استعدى عسكرياً اسـمه سعيد أوقفه بجانبى وبيده سوط يضرب به فى الأرض. وجاء آخر بصفيحة زيت مغلى وضعوا فيها عددا من السياط.

وانصرف حمزة البسيونى وصفـوت . وتركوا هذا الشقى سعيد يغمس تلك السيـاط فى الزيت المغلى ويأمـرنى أن أنظر. ثم دخل الحوش أكـثر من عـشرة عساكر أخذ كل واحد منهم سـوطا أخذوا يضربون بها فى الأرض ويقولون: يا بنت ال . . بنسن لك الكرابيج. وأنا لا التفت إليهم. كنت مشغولة عنهم بذكر الله. كنت أتلو قـول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤] ودخل السفاح الروبى بعد فترة وقال : اخرجوا يا أولاد.

انتظرونى. أجلنا قتلها الليلة . .

وجذبنى من ذراعى وأخذنى إلى الزنزانة.

عودة إلى الزنزانة

فتح الباب وابتلعتنى الزنزانة. كانت علية وغادة نائمتين فجلستا وأزعجهما الدم الذى ينزف من قدمى.

سألتنى علية عما فعلوه فى رجلى، قلت : الحمد لله وطلبت منهما العودة إلى النوم وأنا أردد حديث الرسول عليه السلام:

«بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر».

ومرت ليلتان وآلام الجلد تأخذ منى كل مأخذ، وأنا أكتم آلامى داخل نفسى إشفاقا منى على علية وغادة، وكانتا تحرصان كل الحرص على ألا تسألانى عما حدث فى تلك الليلة ولا عن سبب استدعائى ، لقد اكتفتا بما رأتا من آثار التعذيب على جسدى وبمنظرى عند العودة.

وفى صبيحة يوم سألتنى غادة عما حدث فأسكتتها علية وشعرت أنا بأن فى سؤال غادة نذيرا بشئ جديد فانقبضت نفسى وانقضى اليوم.

وهبط ليل آخر

وبعد صلاة العشاء فتح باب الزنزانة وسدته جثة صفوت المظلمة الذى نادى بوحشية: يابنت يازينب قفى؟ وسحبنى من يدى وهو يقول تعالى اختل توازنى وكدت أسقط على الأرض من شدة الاعياء!.. وفى الطريق قابله رجل قال له: خليل بك ينتظرك ياصفوت! قال وهو يسب ويلعن.. أنا آخذ له البلوى دى سأل الآخر هى دى زينب الغزالى؟ فأجاب صفوت: نعم هى دى. زينب الغزالى.. وأخذ يسب ويلعن وأدخلنى حجرة بها مكتب عليه رجل كأن وجهه الليل المظلم المخيف.

انتفض الرجل واقفا كأن جنا مسه وقال لصفوت: روح انته هات الرجل. وتركنى واقفة وأخذ يذرع الحجرة ذهابا وإيابا كالملدوغ. عاد صفوت ومعه رجل دخل وجلس على المكتب.

أخذ يقول: من أنت يابنت؟

قلت: زينب الغزالى الجبيلى!

قال: ولم أنت هنا؟

قلت: لا أعلم.

قال: لازم تعرفى. أنت هنا لأنك والهضيبى وسيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل دبرتم لقتل جمال عبد الناصر.

قلت: لم يحدث هذا!

قال: اعتدلى فى كلامك!.. الليلة قتل لا جلد ككل مرة. أتعرفين من أنا؟ أنا وحش السجن الحربى.. أنت فاهمة.

قلت.. ليس هنا إلا الوحوش والكلاب.. لم أر أحدا من الآدميين منذ دخلت السجن إلا هؤلاء المظلومين من الإخوان حملة الأمانة وزعماء الحق. فقام وركلنى برجله ودفعنى بكلتا يديه فأوقعنى، ثم أخذ يرفصنى برجليه، ثم أوقفنى وكان الضرب قد أتعبنى فاستندت إلى الحائط. فنظر إلىَّ وقال: لا نريد هذه الفلسفة اعتدلى وتكلمى!.. وضربنى بكلتا يديه على وجهى.. وأخذنى صفوت بيديه.. وأجلسنى على مقعد وخرج وأغلق باب الحجرة.. وبعد فترة دخل رجل وقال: «إيه يازينب ماذا تفعلين بنفسك.. أنت تشتمين الناس

وتسخرين بهم. . الريس قلبه كبـير ويريد أن يخدمك. نحن نريدك شاهدا فى القضية فقط وسنخرجك من الجريمة التى ألبسها إياك الإخوان المسلمون».

قلت: «ليس هناك جريمة لدى الإخوان المسلمـين. . الجريمة أنكم أنتم أيها الأوغاد تحكمون هذا البلد الطيب».

قال: «أنت إمـا مجنونة أو حالتك النفسـية سيئـة سأتركك وأبعث لك من يعرف كيف يتفاهم معك».

وتركنى وخرج، وحمدت الله على أنه لم يأمرنى بالوقوف لشدة تعبى.

وبعد فـترة دخل رجل وبيـده سوط وكان مـايميـزه أن حب الشبـاب يملأ وجهه.

قال: قفى يابت. . من أنت؟

قلت: زينب الغزالى الجبيلى. .

قال: يانهار أسـود. تبقى دى ليلتك الأخيرة مـادمت حضرت هنا. ودخل رجل آخر فقال للأول: أخرج انت سأقعد معها قليلاً.

هذا حرام. دى فعلت خيرا كثيرا، لكن أوقعها الإخوان. .

قال الأول: صحيح يابيه لازم تكون عملت طيب لأنك لحقتها. كان فاضل لها دقائق وعمرها ينتهى. .

قال الثانى: اذهب أنت. سأقعد أتفاهم معها، ماذا تريدون منها بالضبط؟

قال الأول: الريس والمشير يريدان أن تكون شاهد ملك فى الـقضية وتعترف على الإخوان. . والإخوان كلهم اعترفوا يابيه.

ثم خرج وبقى الثانى.

قال: يازينب ما هذا الذى تعملينه فى نفسك؟

ملابسك متقطعة ومتبهدلة..

ثم جلس على المكتب وهو يقول: «إنت باين عليك الإعياء خالص.. تقدرى تجاوبى على أسئلتى، أو نتفاهم غدا»؟

لم أجبه.. قال: «أنا كنت مع أخيك عبد المنعم وسيف ومع زوجك هذا الصباح.. زوجك رجل طيب جدا وأنت صعبانة علىَّ قوى.. وأنا أريد إخراجك من هذه القضية، وموضوع إنك تصبحين شاهدة ملك موضوع جيد جداً..»

ثم نادى صفوت وأمره أن يأخذنى إلى الزنزانة لأنام وأرتاح وأفكر لنلتقى غدا.. وأخذنى صفوت..

استراحة قصيرة

وابتلعتنى الزنزانة، وكانت علية وغادة نائمتين، وتنبهت علية إلى دخولى فقالت: أجئت ياحاجة؟ قلت: الحمد لله.

حاولت أن أنام فلم أستطع.. وأذن الفجر فصلينا، وأخذت غادة تسألنى عما حدث.

قلت: الأمر لله. أدعو الله أن يثبتنا على الحق، إنهم يريدونها فتنة. إنهم يطلبون منى المستحيل. قالت علية: ربنا يعينك يا حاجة. وأعادت غادة السؤال عن تفصيل ماحدث.. فلم أحدثها.. كنت متعبة وكان على أن أهيىء نفسى للقاء الليلة الآتية.. وفهمت علية ذلك فأسكتت غادة وانقضى النهار.

وما أقسى الليل

وجاء الليل الذى أصبحت أخافه وأخشاه، وأخذت علية وغادة تدعوان لى وللإخوان جميعا، وفتحت الزنزانة وأخذت، ولكنى وجدت رجلا آخر لم أره من قبل ومعه صفوت، ذهبا بى إلى مكاتب التعذيب.

أمر الرجل صفوت بالانصراف وأمرنى بالجلوس على مقعد بجوار المكتب.

ثم بدأ حديثه قائلاً:

ياست زينب أنت أتعبت الناس الذين يريدون خدمتك. وأنا اليوم مقطوع لخدمتك، وأرجو أن يعيننى ربنا وتنهدى بالله وتتركى حكاية الإخوان المسلمين، وكفاية أنهم أوقفوك هذا الموقف الحرج.. أنت مخدوعة فيهم. فاكرة إنهم صحيح يريدون الإسلام. هؤلاء طلاب حكم، نحن نريد أن تفتحى لنا قلبك. الهضيبى قال كلاما معناه الحكم عليك بالإعدام وأيده سيد قطب فى ذلك.. نحن لانصدق كلامهم ونريد إخراجك من القضية نهائيا واعتبارك شاهد ملك.. كما نريد أن تذهبى الآن إلى منزلك، وعندما نحتاج ليك فى الشهادة نرسل لك أو نذهب نحن إليك فى منزلك، إذا وافقت على هذا ستقابلين المشير عامر والرئيس عبد الناصر، وسيصدر قرار من الرئيس بإلغاء قرار حل جماعة السيدات، وقرار بإعادة صدور المجلة، ليس هذا فحسب بل إن الرئيس ينوى أن يعطيك مركزا كبيرا فى الدولة يجعلك صاحبة السيطرة على كل الجمعيات فى الجمهورية.. وكفى ما حدث لك من غدر الإخوان.. كل المصائب يريدون وضعها على رأسك ليخرجوا هم سالمين».

كان يتحدث وأنا صامتة لا أنطق بكلمة، وكان وهو يتحدث يتفرس فى ملامحى.

ثم دق جرسا على المكتب دخل بعده صفوت فطلب لنفسه شايا ثم التفت إلى يقول: أنت تشربين القهوة فهل أطلب لك فنجان قهوة.

فقلت: «شكرا.. لا أريد شيئاً».

قال: «اسمعى يازينب، سأعطيك ورقا وقلما، اكتبى فيه كل ما اتفقنا عليه فقلت: «إننا لم نتفق على شىء. ولا أدرى ماذا أكتب..!!».

قال وهو يناولنى الورقة والقلم: «إنت للآن لم تستطيعى أن تقدرى مصلحتك.. الرئيس جمال يريد خدمتك، ويريد إخراجك من القضية!!».

قلت: «أى قضية؟!! ناس اجتمعوا ليدرسوا دينهم، ويتفقهوا فيه.. هل هذه قضية أو جريمة؟!! الأولى بالرئيس وبالمشير أن يحاكما الذين ينشرون التسيب الأخلاقى، والانحلال، بل والتسيب الإلحادى.. وينشرون الفساد فى كل مكان .. إذا كتبت فسأكتب الحقيقة الواقعة فى هذا البلد المسكين.. الحق الذى أعلمه سأكتبه!!»

قال: «أنا عارف إنك سيدة فاضلة على علم، وعقلك كبير، ولن ترتضى أن تزيدى موقفك سوءا أكثر مما أنت فيه!!.. أنا سأتركك مع الورق والقلم.. قبل الكتابة. ضعى أمام عينيك أن الرئيس يريد إخراجك من القضية.. القضية وضحت معالمها تماما.. الهضيبى وسيد قطب كانا يدبران لاغتيال عبد الناصر والاستيلاء على الحكم. ويقولان إن زينب الغزالى هى التى كانت تدبر وتخطط. يريدان إلقاء كل المسئولية فوق رأسك ويلتمسان البراءة لهما فقط. بل إنهما يقولان إنك أنت السبب فى كل ما حدث، وأنت التى سببت لهما الأذى والضرر.. اكتبى.. اكتبى.. لكن فكرى طويلا فى موقفك وموقف الإخوان منك.. إنهم يريدون إلصاق القضية كلها بك.. وإخراج أنفسهم منها.. إننا

نعرف أنهم حرضوك ثم تخلوا عنك.. هل هذه شجاعة؟!! إنها نذالة»..

وتركنى وحدى مع الورق والقلم.. وآه من الورق والقلم مع سجين فى زنزانة!!.. وكتبت «... كنا نجتمع مع شباب الإخوان ندرس فى كتب الفقه والسنة والحديث والتفسير. كنا ندرس كتاب المحلى لابن حزم، وزاد المعاد لابن القيم، والترغيب والترهيب للحافظ المنذرى، وفى ظلال القرآن لسيد قطب، وملازم من كتاب معالم الطريق.. كنا ندرس سيرة الرسول والصحابة. وكيف قامت الدعوة الإسلامية.. وكان ذلك بإذن وإرشاد الأستاذ الهضيبى.. كان الغرض من الدراسة هو إيجاد لبنات سليمة من الشباب المسلم. علنا نستطيع إعادة مجد الإسلام وقيام أمته الفعالة فى الأرض. وبعد دراسة طويلة قررنا أن نعيد تنظيم الإخوان المسلمين فى كل مواقعها وأن نعمل بدأب ومثابرة على جمع كل من نستطيع من لبنات صالحة من شباب الأمة الضائع فى المجتمع الجاهلى المحيط بالبشرية كلها.. وقررنا أن يستغرق هذا العمل ثلاثة عشر عاما. بعدها نقوم بمسح للجمهورية، فإن وجدنا الفئة المؤمنة بمبادىء الإسلام تقل نسبتهم عن ٢٥٪ جددنا فترة الدراسة المصحوبة بالتربية لثلاثة عشر عاما أخرى ثم نعيد التقييم ثانية وثالثة ورابعة حتى تصل النسبة ٧٥٪ من مجموع الشعب.. عندها ننادى بالدولة الإسلامية.. فماذا يخيف عبد الناصر، وماذا يخيفكم أيها الحاكمون؟ ربما تمضى أجيال قبل أن يتحقق هذا الذى نرجوه، فما الذى يخيفكم؟!! ليس فى حسابنا -بالمرة- قتل عبد الناصر، فقتله ليس أمرا واردا فى قضيتنا.. القضية أكبر من قتل شخص أو أشخاص وفكرة القتل مرفوضة ولكنكم تتعللون بها لتقتلوا المؤمنين..!! من الذى أمركم بتعذيبنا وقتلنا؟ الصهيونية أم الشيوعية؟!!

إن الأمر الذى ترتعد منه الشيوعية الملحدة، ويخيف الغرب المنحرف، المرتد

عن مسيحيته. . إن الأمر الذى ترتجف منه الصهيونية العالمية ويجعلها لاتنام ولا تهدأ. . الأمر الذى يرعب كل هؤلاء جميعا، هو عودة الإسلام بعقائده وشرائعه ومعاملاته إلى المسلمين. . !! نعم عودة الإسلام تقلق كل هؤلاء ولذلك هم يتربصون بنا ويتجسسون علينا، ثم يأمرون عملاءهم بالقضاء على المؤمنين. . ولكن الله متم نوره. ومخزى الكافرين. . إن قتلتمونا اليوم فسيأتى من بعدنا من يرفع راية الإسلام. . أما مجلة السيدات المسلمات أو المركز العام للسيدات المسلمات أو الدنيا كلها إذا جاءتنا لتكون لغير الله فنحن نرفضها ولانريدها. . إننا لا نطلب إلا الله وطريقه وشريعته» وذيلت هذه الكلمات بتوقيع «زينب الغزالى الجبيلى»!!.

ودخل صفوت الروبى وطلب منى الأوراق فأعطيتها له وخرج. . ومرت فترة. عاد إلىَّ الرجل الذى كان أعطانى الأوراق والقلم. ومعه أوراق- ليست هى التى كتبتها- ثم مزقها وقذفنى بها فى وجهى ليوهمنى بأنه مزق ما كتبت!!. . وقال لصفوت: «خذوها يا صفوت . . إنها لاتستحق إلا الإعدام كما قرروا. . أنا كنت أريد أن أخدمها لكنها رفضت يدى الممدودة إليها. . دعهم يعدمونها!!». .

وانصرف. .

إننى فى دهشة -بل فى حيرة- إن كانوا يقولون ويزعمون أن القضية وضحت كل معالمها وتكشفت كل عناصرها، فلماذا لم يقدمونى إلى المحاكمة العلنية، ولا داعى للترغيب والترهيب والتعذيب؟!! أم أن القضية هى الموت البطىء تنفيذا لمخطط مرسوم؟

حقا لقد وضحت القضية. . ووضحت كل معالمها. . وتكشفت كل عناصرها. . بل وبان هدفها والغرض منها. . أنهم يريدونها جاهلية. . جاهلية!!

أغلق باب الزنزانة فانتقلت إلى عالم آخـر . . !! كان الإرهاق والجهد والألم قد سطر كل منها سطورا عميـقة فى نفسى وجسدى!! . . وتكورت فى مكانى أحاول النوم فلم أستطع فقد كنت كأننى أتقلب على مسامير محمية . . فالسياط والركل والصفع قـد مزقت جسـمى، والسب بأبشع الألفاظ وأقذرها قـد مزق نفسى . . !!

وهكذا ظللت أتقلب حـتى سمـعت أذان الفجر فـاستـيقظت عليـة وغادة وتيـممنا وأدينا الصـلاة . . كـان حالى يغنى عـن أى سؤال فنظرت إلىَّ عليـة وقالت: «الدكتور أعطانى حبوبا مهدئة أتأخذين قرصا ياحاجة؟!!»

قلت: «لابأس يا علية!!».

تناولت القرص واسـتسلمت للنوم . . ولكن هيهات للنوم أن يـجمع أشلاء جسد ممزق، وشتات نفس ممزقة!! ففزعنا إلى الله . . نقرأ القرآن . . ونصلى ما استطعنا . . كانت غادة تحفر على حـائط الزنزانة تاريخ كل يوم منذ مجيئها إلى السجن . . قالت: «اليوم ٨ أكتوبر» فقلت: «ربنا يفوته على خير . . »

قالت علية: «إن شاء الله»

وفى الضحى فتـحت الزنزانة وظهر صفوت ومـعه جنديان يحملان حقـيبة كبيرة عرفت من النظرة الأولى أنها من منزلى!!

فتح صـفوت الحـقيـبة وهو ينادى: «يازينب! هذه مـلابس طلبناها لك من البيت وأخذ يخرج ما فى الحـقيبة ويعرضه علىَّ ثم أعاد ما أخرجـه إلى الحقيبة ثانية وأقفلها . . كانت الحقيبـة كأنها أعدت لرحلة طويلة . . فسألته: «من طلب

كل هذه الملابس ومن أحضرها»؟

فقال صفوت: نحن طلبناها وأختك حياة أحضرتها. .

ثم أمر الجنديين بالانصراف بالحقيبة!! ولبث قليلا ثم أغلق الزنزانة!! انصرف الزبانية فأغمضت عينى ورحت فى إغماءة شديدة؛ على إثرها هرعت إلىَّ علية وغادة تدلكان يدى وقدمى تحاولان إفاقتى، وأخذتا تهونان على الأمر «ياحاجة الأمر بسيط. . هم اعتقدوا إنك محتاجة إلى ملابس فطلبوها. . الأمر بسيط وعادى جداً. .»

قلت: «لا يا علية إنها مصيبة كبيرة!!»

فقالت علية: «لماذا ياحاجة؟ انهم رأوا ثيابك قد تمزقت وأنك فى حاجة إلى ملابس».

فقلت: «لا لا ياعلية. هذه فتنة!! لماذا أنا بالذات التى تأتيها ملابس؟ إننى منقبضة وغير مستريحة إلى هذا. . إننى مقبلة على اختبار أكبر مما أنا فيه!!» وأخذت أدعو الله أن يثبتنى على الحق.

وانتظمنا فى صلاة العصر. ونحن فى الركعة الأخيرة دخل صفوت وجذبنى بوحشية وقال: «تعالى معى!!» وأغلق الزنزانة على غادة وعلية.

سار بى إلى آخر الممر. ثم قذفنى فى زنزانة حالكة الظلام، كريهة الرائحة، رطبة تمرح فيها فئران متوحشة!!

جلست فى رعب شديد وجسمى يرتعد من شدة البرد وبرودة الأسفلت بقسوة، وظلمة الزنزانة تضاعف خوفى ورعبى وآلامى! ولجأت إلى الله لأتغلب على هذه الظروف. فتيممت وأخذت أصلى وأصلى وأناجى ربى. .!! ﴿ألا

بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وفجأة أضيء النور. ودخل صفوت ومد يده قائلاً: «اقرئى هذا الخطاب يا بنت! نظرت فى الخطاب.. فوجدت مكتوبا فى أعلاه «مكتب رئيس الجمهورية» ثم مكتوب فى صلبه بالآلة الكاتبة- «بأمر جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية تعذب زينب الغزالى الجبيلى فوق تعذيب الرجال!» التوقيع «جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية» ومختوم بخاتم شعار الدولة الخاص برئاسة الجمهورية.. قرأت الخطاب ثم أعدته إلى صفوت قائلة: «الله أكبر منكم جميعا.. نحن معنا الله..» فأخذ يرمينى صفوت بنظرات شرسة ويقذف من فمه بقذارات من السب المقذع.. ولم أنطق بكلمة واحدة فأغلق الزنزانة.

بعد فترة قصيرة سمعت صفوت يصيح بأعلى صوته «انتباه»!! وفتحت الزنزانة ودخل حمزة البسيونى تتراقص الشياطين فى عينيه وقال: «آخر فرصة لك.. ساعة واحدة فكرى فيها جيدا وقدرى مصلحتك، لقد أحضرت لك ثيابا لتقابلى المشير عبد الحكيم عامر والرئيس جمال. ثم يتغير موقفك فى القضية» ونظر إلى صفوت قائلاً: «اقرأ عليها الخطاب يا صفوت!!» فرفع صفوت عقيرته وقرأ «بأمر جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية تعذب زينب الغزالى الجبيلى فوق تعذيب الرجال» إمضاء جمال عبد الناصر.. أخذ حمزة البسيونى الخطاب من صفوت وقال وهو يناوله لى: «خذى.. خذى يامجنونة الخطاب واعرفى ما فيه جيداً..»

فقلت له: «لقد قرأته!!»

فقال: «اقرئيه مرة أخرى».. ثم اتجه إلى صفوت وقال: أين السوط يا صفوت؟!! فأخذت الخطاب وقرأته ثم قذفت به إلى الأرض وقلت له: «ربنا

أكبر منكم يافجرة.. اخرجوا يا كفرة!!».

نادى حمزة البسيونى على بعض الجنود خارج الزنزانة، فدخل جندى يحمل حقيبة الملابس. وقال فى وحشية: «سنمنحك فرصة لمدة ساعة.. وهذه ملابسك.. فكرى جيدا ولمصلحتك فقط.. حل المشكلة فى يدك أنت!!» ثم أغلقوا الزنزانة وانصرفوا. أخذت أستغفر الله وأدعوه الثبات على الحق.

ومضت الساعة الممنوحة لى. فدق أذنى صوت صفوت «انتباه!!» ثم دخل حمزة البسيونى ونظر إلى ثم قال: «ألم ترتدى ثيابك؟!! أتريدين الموت؟!».

لا بأس! لقد بعتِ نفسك! حسنا خذها ياصفوت.. بنت الـ.... تريد أن تقدم نفسها فداء لسيد قطب والهضيبى، إنهم يريدون التخلص منها ويخرجون هم أبرياء.

جذبنى صَفَوت بعنف وخرج بى من الزنزانة وسار بى فى الممر، وأثناء مرورى على زنزانتى قلت «الله أكبر» بصوت مرتفع حتى تسمع «علية وغادة» فكنت أعتقد أنها اللحظة الأخيرة فى حياتى، كما قال حمزة البسيونى!!.

الباب الرابع

مع شمس بدران

زنزانة الماء !!! والجريمة

واستمر صفوت في سيره حتى مكتب ضابط يدعى هانى، وأخذنى هانى إلى مكتب شمس بدران. . !!

شمس بدران وما أدراك ما شمس بدران!! إنه وحش غريب عن الإنسانية وأكثر وحشية من وحوش الغاب!! إنه أسطورة فى التعذيب والقسوة!! كان ينطلق فى لذة غريبة يضرب الموحدين المؤمنين، بأعنف مايمكن أن يتصوره العقل البشرى. ظنا منه أن القسوة والعنف فى التعذيب يرد المسلمين عن دينهم وعقيدتهم!! وقد خاب ظنه. .

وسألنى شمس بدران فى غطرسة كأنه جامع رقاب الخلق بين أصابعه هو انت بقى ست زينب الغزالى؟!قلت: نعم!

كان مكتب حمزة البسيونى يتصل بمكتب شمس. وكان يقف خلفى الجلاد صفوت الروبى واثنان آخران وبيد كل منهم سوط كأنه لسان من لهب!!.

قال شمس بدران وهو مازال فى غطرسته: «يابنت يازينب! خلى بالك وتكلمى بعقل وشوفى فين مصلحتك، خلينا نخلص منك ونشوف غيرك وإلا

بعزة «عبد الناصر» أجعل السياط تمزقك. قلت: «يفعل الله ما يشاء ويختار».

فقال: «ما هـذه الرطانة العجيبة يابنت..؟!» فلم أرد عليه فـقال: «ما هى صلتك بسيد قطب والهضيبى؟».

قلت فى هدوء: «إخوة فى الإسلام».

فقال فى استنكار بليد: «أخوة ماذا؟».

فأعدت: «أخوة فى الإسلام».

فقال: «ما مهنة سيد قطب؟».

قلت: «الأستاذ الإمـام سيد قطب مجـاهد فى سبيل الله، ومفـسر لكتاب الله، ومجدد ومجتهد».

فقال فى بلادة: ما معنى هذا الكلام؟

فقلت وأنا أضـغط على مخارج الألفاظ تأكـيدا له معناه: إن الأستـاذ سيد قطب زعيم، ومصـلح، وكاتب إسلامى، بل من أعظم الكتاب الإسـلاميين، ووارث محمدى.

وبإشارة من إصبعه انهال علىّ الزبانية. وقال هو: ايه يا ست؟

ولم أجبه – قال: ومهنة الهضيبى إيه كمان؟

فقلت: «الأستـاذ الإمام حسن الهضيـبى» إمام مبايع من المسلمـين المنتمين لجماعـة الإخوان المسلمين، الملتزمـين بتنفيذ أحكام الشريعـة، والمجاهدين فى سبيل الله حتى تعود الأمة الإسلامـية كلها إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ».
وما فرغت من كلامى حتى عاود الزبانية التعذيب بالسوط!

فقال: «هراء، وكلام فارغ. .ما هذا يا بنت الـ. . .».

وقال حسن خليل: «دعها يا باشا. . توجد نقطة مهمة!!» ثم تقدم إلىَّ وأمسكني من ذراعي وقال: «هل قرأت كتاب «معالم الطريق» لسيد قطب؟ فقلت: «نعم قرأته».

فقال رجل آخر من الجالسين - وكان يدخل بعض الضباط أثناء الاستجواب ويجلسون للمشاركة في الاستجواب من جهة. ومن جهة أخرى كنوع من الإرهاب ممكن تعطينا موجزا لهذا الكتاب؟

فقلت: «بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. . .».

فقاطعني شمس بدران فى صفاقة غريبة: أنت واقفة على منبر مسجد يا بنت الـ. . . ؟! إننا فى كنيسة يا أولاد الـ. . . . .!!».

وقال حسن خليل: معذورة يا باشا. . أكملي يا زينب. ماذا فهمت من كتاب معالم فى الطريق؟

فقلت: كتاب معالم فى الطريق للإمام المجتهد المفسر سيد قطب يدعو المسلمين لمراجعة أنفسهم مع كتاب الله، وسنة رسول الله، وتصحيح تصورهم لعقيدة التوحيد. فإذا وجدوا أنفسهم - وهذا هو الواقع الآن - منقطعين عن كتاب الله، وسنة رسوله سارعوا بالتوبة. وعادوا إلى دينهم وكتابهم، وسنة رسولهم. ثم يدعوهم للمفاصلة بينهم وبين الجاهلية المتفشية فى الأمة، فطمست وضوح الرؤية فى فهم القرآن. وتصور أوامره تصورًا سليما. فإذا راجعت الأمة الكتاب ومراميه، ومقاصده، والتزمت بدينها صحت عقيدتها. فالسيد قطب يرى ضرورة تبصير الأمة بمراجعة عقيدتها لتقرر صدقا من قلبها

وضميرها، أنها ملتزمة بكل مـا تكلفها به شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله..

ولزمت الصـمت بضع لحظات، فـقـال حسـن خليل فى تهكم أبله «إنهـا خطيبة».

وقال آخـر: «إنها كاتبـة كذلك». وأخرج مـجمـوعة من مجلة السـيدات المسلمات كانوا قد استولوا عليـها مع الكتب يوم القبض علىّ. وأخذ يقرأ منها بعض جمل من مـقال افتتـاحى لأحد أعداد المجلة. لكن شمس بدران قـاطعه ونظر إلى الحيوانات المفترسة التى تحيط به. وقـال فى جاهلية: أنا لم أفهم شيئا مما قـالته هذه البنت!! فنـزل على الزبانية بسـيـاطهم: قائلين وضـحى يا بت للباشا.

فقال حـسن خليل - ويبدو وكأنه ينسج شـبكة لاصطيادى - : لا بأس يا باشا.. لحظة أخـرى.. ثم قال لى: أريد أن أفهم مـعنى ما تلزم به لا إله إلا الله محمد رسول الله».

فقلت: إن محمدًا ﷺ، جاء ليخرج البشـرية كلها من عبادة البشر، وعبادة الوثن، إلى عـبادة الله وحده، وهذا مـعنى لا إله إلا الله. وأما مـعنى محـمد عبـده ورسوله، فكل مـا جاء به مـحمد ﷺ من الوحى، وهو القـرآن الكريم والسنة الصحـيحة، هو حق واجب التنفيذ اعـتقادا وعمـلا، وهذا هو التصور السليم لكلمة التوحيد».

فقال شمس بدران وقد أخذته العـزة بالإثم: «كفى سخافات!» ثم نزل علىَّ وحوشهم بالكرابيج.

وقـال حسن خليل وكـأنه يحكم الحـبال حـول عنقى - كمـا يتصـور -:

«لحظات أخرى يا باشا - من أجلى.

ونظر إلىّ وقال: هل نحن مسلمون أم كفار؟!!.

قلت: اعرض نفسك على كتاب الله وسنة رسوله، وستعرف أين أنت من الإسلام. فقال شمس بدران «يا بنت الـ..» وانطلقت القاذورات من فمه تكشف أخلاقيات هذا المخلوق العجيب!! أما أنا فلم أرد من هول السياط. وبدأ شمس بدران يمارس عملية وحش الغاب المفترس.. إن غابة عبد الناصر لا تعرف تقاليد أو عادات. بل تسودها جاهلية حمقاء، يظلها طغيان أهوج، وتسرح فى دروبها ذئاب خبيثة جائعة إلى نهش البشر!!.

نظر شمس بدران إلى صفوت وقال: علقها يا صفوت الضرب ده مش نافع!!.

فخرج صفوت وأتى بعامود من الحديد وقاعدتين من الخشب. وجاء ثلاثة من الزبانية يحمل كل منهم سوطًا. وأعدوا الآلة ليعلقونى عليها. فقلت لهم: «أعطونى بنطلونا من فضلكم.. أرجوكم!!».

فقال حسن خليل لشمس بدران: «لابأس ياباشا». فقال شمس بدران: «هاتوا لها بنطلونا». وفى سرعة عجيبة أحضر أحد الجنود بنطلونا كأنما انتزعه من تحت رجليه!!

وقال حسن خليل لشمس بدران: «عفوا ياباشا» ثم التفت إلى وقال: «ادخلى هذه الحجرة البسى فيها البنطلون..».

كانت حجرة فاخرة الأثاث، مكيفة الهواء، بها جهاز تليفزيون وجهاز راديو!! ولبست البنطلون وخرجت إليهم!! وعلقت بأمر شمس بدران فى هذه الحديدة.. ولا أدرى كيف ربطوا يدى مع رجلى. ولا كيف علقت..!!

ويخرج الأمر من فم شمس بدران كضابط عظيم فى ساحة الوغى: اجلدها ياصفوت خمسمائة جلدة!!

وتنهال السياط تسطر على قدمى وجسدى أبشع مـا عرفته الجاهلية من قسوة وحيـوانية.. ويشتد الجلد.. ويشـتد الألم. ويعز علىّ أن أضـعف أمام هؤلاء الوحوش. احتملت. احتملت وأنا أضرع إلى الله فى سرى.

ويتضـاعف الألم، ويتضـاعف، ولما فاض الكيل، ولم يعـد لى طاقة على الكتمان علا صوتى يرفع شكواى للذى يعلم السر وأخفى. أخذت أردد الاسم الأعظم: يا الله يا الله، والسـيـاط تشق فى قدمى مـجـارى الألم. وفى قلبى ومشاعرى مـجارى الرضا، والتعلق بالله..!! حتى فقـدت الوعى. ولم أشعر بنفـسى، ورقدت جثـة هامدة فـوق الأرض وهم يحاولون تنـبيهى ويـحاولون إيقافى فلا أستطيع. فكلما وقفت سقطت.

كـان الألم فوق الاحـتمـال والدم ينزف من قـدمى. ويأمر شـمس بدران صفـوت بإيقافى. كنت فى غاية الألم والجـهد فحاولت أن أسـتند إلى الحائط فيـبعـدنى صفوت عـن الحائط بسوطه!!.. فـأقول لهم: دعـونى أجلس على الأرض فيقول شـمس بدران: لا.. لا.. أين ربك؟ ادعيه لينقذك من يدى.. نادى عبد الناصر وانظرى ماذا يحدث.. ولم أرد عليه، فـيستمر فى جاهليته: ردى علىّ! أين ربكم؟!! فلزمت الصمت فقال: ردى!!.

فقلت بصوت خافت لشدة ما أنا فيـه: «الله سبحانه الفعال ذو القوة المتين» وأخرجونى من مكتب شمس بدران إلى المستشفى.

زنزانة الماء..!!

خرجت من مكتب شمس بدران.. وتنفست الصعداء، فإني أتلهف إلى الراحة وأكاد أشعر أن أعضائي تتمزق!!.. وسرت مع جلادي صفوت الروبي إلى حيث يريد أن يسوقني!!.. وما كدت أشرف على نهاية الممر حتى نادي حسن خليل بكلمات كأنها الحمم تخرج من بركان ثائر: ارجع يا صفوت. الباشا يريد زينب مرة أخرى!!.

ومرة أخرى دخلت مكتب شمس بدران، وكانت المفاجأة!! إذ رأيت حميدة قطب أمامي..!! عرفتها، وهي لم تعرفني، فالسياط، والكلاب، والإجهاد، والجوع، والعطش، والتمزق في جسدي.. كل هذا قد غير ملامحي وغير صورتي!!.

وسأل شمس بدران الابنة الفاضلة حميدة قطب: هل هذه زينب الغزالي؟ فدققت حميدة النظر وأجابت: نعم هي.. كنت في قمة الإجهاد والألم. فلم أتابع الأسئلة التي كانت توجه. إن شمس بدران يسأل عن الأخت الفاضلة فاطمة عيسى، التي كانت تنزل في زنزانة مقابلة لزنزانتي. أخذت الابنة حميدة قطب تجيب عن أسئلة شمس بدران الذي أمر بخروجي.

وما كدت أخرج حتى سقطت على الأرض. فأمر صفوت جنديًا أن ينادي الممرض عبد المعبود، حضر عبد المعبود ومعه زجاجة نزع غطاءها. ومررها أمام أنفي، فأفقت، ثم أوقفوني.. وأمرني الجلاد صفوت بالسير. بل وأخذ يستحثني بسوطه لأسرع الخطا!! فأسقط على الأرض.. فيأمرني بالوقوف والسير. وسوطه المجنون يصب على جسدي المكدود نارا حامية!! وهكذا قطعت الممر أسير فأسقط، ثم أنهض لأسير فأسقط، وسوط الجلاد المجنون لا

يرحم!! يا إلهى!! هل هذا إنسان، أم مخلوق آخر يمشى على رجلين وسوط.

وسمعت صوتا ينادى: دخلها يا صفوت سجن رقم (٥) وصوتا آخر ينادى: اذهب بها إلى الماء يا صفوت!!» أدخلنى صفوت سجنا وأمرنى بالجلوس على الأرض. ثم أمر الجندى التمورجى عبد المعبود أن يضمد جراحى..!!

وفتح باب زنزانة، فرأيت خلف الباب سدا حديديا يرتفع لأكثر من متر. أمرنى صفوت أن أخلع ملابسى وأن أقفز هذا السد الحديدى! جمَّدنى الخوف ووجدت نفسى لا أقوى على الحركة فلم أتقدم شبرا واحدًا.

وتركزت عيناى على بئر من الماء خلف السد.

وجمعت كل قوتى فى فمى وقلت: لن أخلع ملابسى أبدا!!.

فقال فى جاهلية ماجنة عابثة: ستنزلين الماء بثوب واحد..

فقلت: أنا لابسة جلبابا واحدا.

فقال صفوت فى غرور: سأمزقه!!.. ومزق جلبابى الأوحد بمشرط شرائح؟؟.. وقال: اخلعى البنطلون يا بنت الـ.... البنطلون خسارة وأنت ستموتين بعد ساعة!!.

قلت: عندما أدخل الحجرة سأعطيك البنطلون...

فقال فى صلف وحماقة: حجرة ايه يا بنت الـ.. إننا سنقذفك فى البئر ونخلص منك. قلت: إذن، أدر ظهرك لأخلع البنطلون...

وأدار صفوت ظهره. وخلعت النبطلون الذى أعطوه لى عندما جلدونى فى مكتب شمس بدران!!.

ووقفت فى الثوب الممزق، لا أدرى ماذا أفـعل. .!! وعندما أمرنى صفوت أن أقـفـز إلى الماء امـتنعت وقلت: لا، أنا لا أرمى نـفسـى فى الماء، إذا كنتم مصرين على قتلى فتحملوا أنتم مسئولية هذا الأمر. . أما أنا فلن أنتحر أبدًا. . .

كنت أعتقد أنهم قد اعتزموا قتلى والخلاص منى حقا، فظروف الحال كانت تؤكد عندى هذا الاعتقاد. . فالغلظة والفظاظة التى فاقت كل تصور والبئر التى أمامى والتى يطلبون منى أن أقفز فيها. كل هذا أكد عندى أن النية اتجهت فعلا إلى قتلى!! فليرمونى إذا شاءوا فى البئر، فالموت فى سبيل الله أسمى أمانىّ. . ومرحى بالشهادة فى سبيلك يا إلهى.

وجاء الزبانية يسوقوننى بسياطهم لأقفـز إلى الماء فأتمنع، فترتفع جاهليتهم. وتزداد حمـية سيـاطهم فأسـقط على الأرض، فقد كـان العذاب فـوق طاقتى بكثيـر. . ويهرع إلىّ صفوت، والجندى سـعد، وجندى ثالث يدعى سامـبو، هكذا سمعتهم ينادونه، وحملنى الثلاثة وقذفوا بى إلى البئر!!.

وأفتح عـينى فإذا بى أقف على أرض صلبـة!!. . وعرفت أن الماء لم يكن بئرا وإنمـا هو زنزانة من الماء. .!!. . فأتجـه إلى الله سبـحانه وأقول: بـاسمك اللهم، سلمت لك أمـرى، وأنا أمتك، وعلى عهـدك ما استطـعت. . ألبسنى أردية حبك، وأغدق على من صبرك يا الله.

. . ويريد صـفوت أن يزيد طوفـان العـذاب فيـقول، وسـوطه ينزل على جسدى حيثما اتفق: اقعدى يا بنت الـ. .!!.

فأقول: كيف أقعد فى هذا الماء؟ إن هذا مستحيل. .

فيـقول الجـلاد بلسانه وسـوطه: اجلسى كمـا تجلسين فى الـصلاة. . أظن تعرفين هذا جيدا. . أرينا مهارتك واقعدى. . إنك لم ترى شيئا بعد. . فمازال

فى جعبة أبى خـالد الكثير.. جمال عبد الناصر هو الذى عـرف كيف يتعامل مع الإخوان المسلمين.. هيا اجلسى يا بنت الـ...

وجلست فصارت الميـاه إلى أسفل ذقنى، وقال صفـوت: إياك أن تتحركى ولو حـركة واحـدة.. جـمـال عبـد الناصـر أمر بـجلدك كل يوم ألف جلدة بالسوط.. على كل حال أحب أعرفك التسعيرة هنا.. الحركة بعشرة سياط!!.

لشدة الهول، نـسيت أقدامى الممزقة. بـل نسيت كل حياتى. غـير أن المياه أخـذت تفـعل بالجـراح مـا لم أسـتطع وصـفـه من آلام، لولا عناية الله مـا احتـملتها.. وشغـلتنى آلامى عن صفوت، وسعـد، وسامبـو، ولكن أعادنى صفوت بسوطه إلى الواقع الكثيف المرارة!.

وقال صفوت: اعلمى - يا حلوة - لو نمـت فالسوط يوقظك. هذه الجلسة فقط.. نعم تجلسين هكذا.. هل ترين الفتحة المحفورة بالباب؟ إنها للمراقبة.. إذا وقفت، أو نمت أو حركت يدك أو رجلك فالسياط موجودة ومستعدة.. إننا وضعناك فى وسط الحـجرة، فإياك أن تفكرى أن تزحفى لتـسندى رأسك مثلا إلى الحائط. إذا سولت لك نفـسك أن تفعلى هذا فعشرة سـياط.. إذا وقفت فعشرة سياط. ومد رجلك خمسة سياط.. مد ذراعك خمسة سياط.. علمت - يا حلوة - هذه التسعـيرة؟ فلينفعك الهضيـبى أو سيد قطب.. أنت هنا فى جهنم عبد الناصر.. إذا قلت يارب فلـن ينقذك أحد، ويا سعادتك لو قلت يا عبد الناصر.. فستفتح لك الجنة. جنة عبد الناصر أيضًا.. أتفهمين؟!! أنت يا حلوة - ما زال أمامك الكثير. وما سيأتى أكثر وأكثر.. ياليتك تعقلين.. إننى مستعـد أرجو لك معالى الباشا وتذهبين إليـه.. وتقولين ما يريده.. هل أنت مجنونة؟ من أجل من تفعلين فى نفسك كل هذا؟ من أجل الإخوان؟.. كلهم اعترفوا ولم يبقوا عليك.. ولفوا الحبل حول عنقك...

ظللت صامتة وإن كانت نظراتى إليه تقول الكثير.. ولكنه جاهل أحمق وحيوان مغرور!!.

فاستأنف سخفه، أو بالأحرى استأنف إغراءه: أطيعينى، واستمعى إلىَّ.. وانقذى نفسك.. أنت فى الصباح ستكونين مع الأموات.

وظللت على حالى من الصمت والسكون فقال: «ردى يا بنت الـ.. فصمت..

فقال: الأمر بسيط جدًا. سآخذك إلى معالى شمس بدران باشا، وتقولين له كيف اتفق سيد قطب مع الهضيبى على قتل جمال عبد الناصر!.

فصرخت بكل قوتى.. كل الإخوان أبرياء. وربنا سينتقم منكم ليست الدنيا غايتنا، نحن نطلب رضاء الله، وبعده فليكن مايكون!!

فانطلقت القذارة من فمه بأبشع ما يمكن أن يسمعه إنسان. وانطلق سوطه بأعتى ما يمكن أن يتحمله بشر من حقد وكراهية!! واستمرت قذارته واستمر حقده وكراهيته أكثر من نصف ساعة!! ثم انصرف وهو يقول: أنت عارفة التعليمات والتسعيرة يا بنت الـ... لم أستطع أن أظل فى مكانى بلا حركة. فليس فى مقدور أى إنسان مهما كانت طاقته ومهما بلغت قوة احتماله أن يجلس هذه الجلسة ولايتحرك.. إنه تعذيب. وعذاب..!!

الضرب بالسوط على كل حال هوان من التجمد فى هذه الجلسة دون حركة. فلهيب السوط أهون من عذاب الماء..!!

أخذت أفكر كيف أتحرك.. لو مددت رجلى سيصل الماء إلى فمى. فلم يكن بد من الوقوف وأتحمل عشرة سياط..!! وفوضت الأمر لله. وقلت: يا

رب أنت معى!! ووقفت!!.

خيل إلىّ أن الجند نائمون.. وسمعت أذان الفجر، فتيممت على الحائط، لأن الماء كان قذرا جدًا لا يصلح للوضوء.. وأديت ركعتى السنة، ودخلت فى ركعتى الفرض وهنا فتحت الزنزانة، وهوى السوط على جسمى. فجلست كما كنت فأغلق الباب..

وأخذت أردد: حسبنا الله ونعم الوكيل. حتى تأخذنى سنة من النوم فيوقظنى الماء الذى يصافح ذقنى.

كانت زيارة سامبو وسوطه لا تقل عن خمس مرات فى الليلة الواحدة!!.. فكان لابد من الحركة، وكان لابد من السوط !!.

الجـــريمــــة!!

مع الضحى، جاء صفوت وأخرجنى من الماء، ورمانى فى زنزانة أخرى بجوار زنزانة الماء.. ابتلعتنى هذه الزنزانة.. وتكورت فى ركن من جوفها مستندة إلى حائط.. كان الحائط بالنسبة لى وسادة ناعمة محشوة بريش النعام!! كانت آلامى عاتية متنوعة.. آلام الجوع تفرى أمعائى.. وآلام جروحى تمزقنى.. جروح جسدى وجروح نفسى.. لقد صرت كتلة آلام.. كل جزء منها يئن ويصرخ!!

.. ويدخل صفوت ومعه مارد أسود!! أخذ يتحسس سوطه بيده اليسرى ثم يضرب الأرض والحائط، وكأنه يستحث لهيبه، أو يستنفر حميته!!

وقف صفوت وألقى أوامره وتعليماته إلى هذا المارد الأسود بأن يرتكب أبشع جريمة ممكن أن يقترفها بشر..!! وترك له السوط وهو يقول فى صلف

وغرور: إذا وجدت منها أى معارضة فالسوط معك. . .

انشغلت عن هذا السفه بالله سبحانه وسألته متوسلة إليه: «اللهم إنى أمتك، وعلى عـهدك مـا استطـعت. . أدعوك بضـعفى، وقلـة حيلتى، وانكسـارى، وهوانى على الناس، أن تدفع عنى شـر الأشرار، وتحمينى بقـدرتك، وتعيننى على ظلمهم. .».

أخرجنى من إغـراقتى فى مناجـاة ربى صوت هذا الإنسان المـأمور بإيذائى بأبشع جريمة. . ينادينى «يا خالة!!». ونظرت إليه ودهشت. . فقد تغير وجهه وارتسمت عليه ملامح إنسان!!.

ثم بصـوت منخفض فـيه شفـافيـة: لا تخافى يا خـالة. .لن أؤذيك، ولو قطعونى. . فقلت بصعوبة بالغة: ربنا يهديك يا بنى. . ربنا يكرمك.

فتح باب الزنزانة فى عنف وانطلق صـفوت يضرب الرجل بالسـوط ويسبه ويقول: يا ملعـون، يا ابن الكلب، لقد أوردت نفسـك مورد الهلاك، ستـقدم إلى مجلس عـسكرى. . هذه أوامر جمـال عبد الناصـر يا ابن الكلب. . أنت تكسرها؟! أنقـذ نفسك فورا قـبل أن أذهب بك إلى شمس باشـا يحولك إلى مجلس عسكرى. . ثم أعاد عليه الأوامر الفاجـرة والتعليمات الفاحشة بكلمات صـريحة صـارخة لا يمكن أن تخـرج من فم إنسـان وأغلق الزنزانة وأطل من الفتحـة وقال: « أنا سأتركك ساعة، ثم أعود إليك لأنظر مـاذا فعلت. . أنقذ نفسك، ونفذ الأوامر!!».

حيـا الجندى صفـوت تحيـة عسكرية من داخل الـزنزانة وقال: «حـاضر يا أفندم!!».

كنت أستمع إلى هذه الجاهلية وذلك الفجور، فأناجى ربى بتلك الكلمات،

«إنها دعوتك، ونحن جندها، وشهداؤها.. فـغيرتك على جندك، وأعراضهم يا الله! اجعلنا أقـوى من ظلمهم وألوان تعـذيبهم»، وكنت أدعـو لهذا الرجل بالهـداية، ظننت أن هذا الرجل - بعد الأوامـر الجديدة - سـيخـشى البـشر، فيـسلك مسالك الوحـوش.. ولكنه كان رائعًـا وشجاعًـا. وقال لى فى براءة الأطفال: لماذا يعذبونكم هكذا يا خالة؟

فـقلت: إننا - يا بنى - ندعو لله، ونـريد حكم الإسلام لهـذا البلد. ولا نطلب لأنفسنا سلطانا.

وسمعت أذان الظهر فتيـممت على حائط الزنزانة وأديت الصلاة، فقال فى رجاء: «ادعى لى يا خالة». فـدعوت له بالهداية وقمت لصـلاة السنة، فقال: ادعى لى أن يكرمنى الله بالصلاة يا خالة.. أنتم لستم بشرًا. ربنا يخرب بيتك يا عبد الناصر!!.

فقلت له: هل تعرف الوضوء؟.

فقال: طبعا، أنا كنت مواظبـا على الصلاة.. لكن جيش حليمة لو رأونى أصلى يسجنوننى...

فقلت له: صلِّ ولو سجنوك ، فالله معك.

فقال ونور الإيمان يملأ وجهه.. «سأصلى».

وهنا ضـرب أحد الجنود باب الزنزانة بـعنف وقال: يا ابن الكلب.. مـاذا تفعل؟!!.

فقال الرجل: الست لم تفرغ من الصلاة.

فقـال الجندى فى صفاقـة: صفوت آت إليك. وأرسلنى أنظر مـاذا فعلت.

وجاء صفوت كحيوان مجنـون وهجم على الرجل بوحشية شرسة، وظل ينهال بسوطه على الرجل حـتى أفقده حتى الأنين!! وجـاء مساعدو الجـلاد وحملوا المسكين إلى مصيره، وأغلقت الزنزانة على آلامى وهمومى. . آلمنى ما نال هذا الرجل بسببى، أو لأن الله أضاء بصيـرته فلم يطع الظالم!! كانت السياط التى مزقت جسده تمزق جسدى وتحفر أخاديد فى نفسى!!.

وهربت من همومى وآلامى إلى صلاة العصر. .

إلى زنزانة الماء مرة أخرى!!

وغربت الـشمس، فنشط جـلادو السجن الحربـى وزبانيته، وبدأت عـجلة التـعذيب تدور!! أخـذونى فى ستـر الليل، إلى زنزانة الماء. . كـانت أمعـائى تصرخ من الجـوع وحلقى يكاد يتشقق من العطش، وآلام جـراحى تضرب كل جزء من جسمى بعنف وشراسة. أخذتنى سنة من النوم، وأنا على هذا الحال، فإذا بخلق جـميل، يرتدون حللاً من الحـرير الأسود، مزركـشة بلآلئ، داخل مخملات مطرزة بالذهب، ويحملون صحافا من الذهب والفضة عليها ما طاب من الأطعمـة من لحوم وفاكـهة لم أر مثـيلا لها!!. . فـأخذت آكل من هذه، وتلك، واسـتيقظت من سـنة النوم هذه، فوجـدت نفسى فى شـبع ورى، فلا جـوع، ولا عطش!! بل إن مذاق مـا أكلتـه من طعـام كان لا يزال بفـمى!! فأخذت أشكر الله وأحمده. .

مكثت فى الماء طول الليل إلى ضـحى اليوم الثـالث، عندما دخل صـفوت وشمر بنطـلونه، ونزل إلى الماء وقال وهو يهزنى بقسـوة: إلى متى تظلين على عنادك؟ أنقذى نفسك واكفينا أمرك. .

احكى الحكاية. . كيف اتفق سيد قطب مع الهضـيبى على قتل عبد الناصر

ومتى قال لك أن تآمرى عبد الفتاح إسماعيل بقتل عبد الناصر؟ فقلت: كل هذا لم يحصل.. فخرج يسب ويلعن..

ثم عاد صفوت مرة أخرى بعد ساعة تقريبا، وأخرجنى من الماء، وأدخلنى فى الزنزانة الأخرى التى تجاور زنزانة الماء وانصرف وارتعدت.. فقد اتجه تفكيرى إلى ما حدث فى هذه الزنزانة فاتجهت إلى الله بكل إيمانى أن يحفظنى مما يدبرون..

ورجع صفوت وضابط بملابسه الرسمية يدعى إبراهيم.. وقال صفوت: سيادة الضابط سيتكلم معك يا..

فقال الضابط: اخرج أنت يا صفوت ثم اتجه إلىّ وقال: أليس من الأفضل أن تقدرى مصلحتك وتعملى لها فقط؟.. هؤلاء القوم ليس لهم إله حتى يخشونه! هل تعلمين ماذا فعلوا بالجندى الذى لم ينفذ الأوامر معك بالأمس؟ لقد أعدم رميا بالرصاص.. إنهم اليوم يعدون لك فرقة من أعتى المجرمين.. اعملى كل ما يطلبونه منك وأنقذى نفسك من أنيابهم.. حسن الهضيبى وسيد قطب وعبد الفتاح رجال، يتحملون مسئولية خطئهم..

والتزمت الصمت، فقد سئمت أسلوب المساومة والإغراء والتهديد، ولا أظن أننى سألاقى من التعذيب أكثر ولا أبشع مما أنا فيه..

فقال الضابط لصفوت وكأنه عز عليه أن يفشل فى مهمته: اعمل معها ما شئت، إنما هى...

ودخل صفوت وأطلق سبابه الصارخ: عبد الناصر أرسل فى طلب شياطين من النوبة سينهشونك نهشا.. إلى أين تفرين منهم؟ الوقت يمضى، وكل دقيقة تقربك من النهاية ثم أغلق الباب خلفه..

وبعد العصر، نقلونى إلى زنزانة الماء حيث مكثت فيها طول الليل. . . !!
وجاء ضحى اليوم الرابع، ولم أر أحدًا غير صفوت الذى أخرجنى من الماء وأدخلنى الزنزانة الأخرى. . وبعد العصر أعادونى إلى زنزانة الماء فمكثت فيها إلى ضحى اليوم الخامس!!.

وهكذا كل يوم من زنزانة إلى زنزانة بألوان من العذاب مختلفة!!

صرعت الوحش فى زنزانتى!!

لم يبق موضع فى جسمى إلا وفيه أثر عذاب وموضع جراح!! ولم تبق ذرة فى نفسى إلا وفيها جرح عميق ينزف ألما وحسرة. . !! هل كل ما يحدث هنا فى السجن الحربى يخرج من بشر. . من إنسان!

غير معقول أن هؤلاء المخلوقات بشر. . !! إنهم مخلوقات تسمع وترى وتنطق وتمشى على رجلين، ولها ذراعان وهيكل بشرى. . !! لا. . لا. . إنها مخلوقات غريبة. . من تركيبة عجيبة. . !!. . وأخرجونى من الماء إلى الزنزانة المجاورة. . وحيّانى صفوت بعدة ضربات ملتهبة بسوطه المجنون. . وقال وهو يضربنى: إن ما سيحصل لك اليوم لم يحصل لكلب أجرب فى طاحونة!! وأغلق باب الزنزانة ثم انصرف. . وما هى إلا دقائق قليلة حتى فتح باب الزنزانة مرة أخرى وامتلأت بحمزة البسيونى وصفوت وجندين آخرين!!. .

وانطلقت القذارة من فم حمزة البسيونى بأبشع ما يمكن أن يتخيّله إنسان. . سب فاضح صارخ وقال: «يا بنت الـ. . . أنقذى نفسك وقولى كل شىء. اعترف الهضيبى، واعترف سيد قطب، واعترف عبد الفتاح إسماعيل، ووضعنا أصابعنا على كل شىء من واقع اعترافاتهم. . عرفنا منهم أن الهضيبى أمرك أن تقولى لعبد الفتاح إسماعيل بأن دم عبد الناصر مباح لأنه كافر. . كل واحد

منهم تكلم، وأنقذ نفسه وأنت ضيعت نفسك... ثم قال مهددًا والشرر يتطاير من عينيه: ستعرفين كيف أنتزع منك كل ما نريده.. ستتكلمين أم لا؟.

ثم التفت إلىّ صفوت وقال: نفذ الأوامر يا صفوت.... ومن يعص الأمر من أولاد الكلب - مشيرا إلى الجنديين -!! حوله إلى المكتب فورا.. وتولى صفوت إفهام الجنديين مهمتهما البشعة بأسلوب داعر صارخ الفجور، بعيد كل البعد عن الحياء.. مغمور فى الانحطاط إلى أبعد ما يكون.. فقال لأحدهما فى مجون: نفذ التعليمات - يا ابن الكلب - بعد إغلاق الزنزانة، وبعد أن يتم التنفيذ، ادع زميلك ليقوم بدوره كذلك.. مفهوم؟!! ثم أغلق الزنزانة وانصرف..

جلس الرجل يتوسل إلىَّ أن أقول ما يريدون لأنه لا يريد أن يؤذينى، ومن جهة أخرى فإن عدم التنفيذ يلحق به ضررا بليغا وايذاء جسيما.. قلت له بكل ما أوتيت من قوة: إياك أن تقترب منى خطوة واحدة.. إذا اقتربت، سأقتلك سأقتلك سأقتلك، فاهم!!.

كنت أرى الرجل ينكمش ويتقاعس غير أنه أخذ يقترب فى خطوات، ولم أدر إلا ويداى حول رقبته، وأنا أصرخ بكل صوتى: «بسم الله، الله أكبر.. وغرزت أسنانى فى عنقه، وإذا به ينفلت من بين يدى، ويسقط تحت قدمىّ خائرا، يخرج من فمه زبد أبيض كرغاوى الصابون.. سقط الوحش تحت قدمى، جثة هامدة لا تنبض إلا بهذا الزبد الأبيض.. أنا التى تتربع على قمة الألم، والتى مزقتها الجراح التى حفرتها السياط فى كل موضع من جسمها! أنا التى غلفها الإعياء من كل الزوايا.. تصرع هذا الوحش الذى أمروه بأن يفترسنى!!

لقد بث فىَّ الله - جلت قدرته - قوة غريبة صرعت هذا الوحش!!

وكانت معركة شرسة ضارية انتصرت فيها الفضيلة على شراسة الرذيلة.. كان هذا علامة صدق، وبشرى للمخلصين.. فالحمد لله ولا إله إلا الله.. إن الطغاة يخافون ويهزمون، وأصحاب الرسالات خلف القضبان مجردون من كل شيء إلا من الإيمان بالله تعالى.. غير أن ثبات المؤمنين على الحق هو دائما شيء لا يستطيع المنهزمون في أنفسهم وضمائرهم بتقاعسهم عن الإيمان أن يفعلوه.

يا إلهى ما أكرمك وما أوسع عطاءك.. أنت ربنا ورب كل شيء.. فهؤلاء الذين يأخذون بأمر الله يُحارَبون.. ويُقاوَمون.. ولكن العاقبة دائما للمتقين..

وفتحت الزنزانة ودخل رأس الزبانية حمزة البسيونى، والجلاد صفوت وجند آخرون، ووقع نظرهم على هذا الوحش الممدد على الأرض، والرغاء الأبيض يخرج من فمه..

فبهت الذى كفر؟!.. خرست الألسنة وتبادلوا نظرات زائغة حيرى..؟؟!!.. وحملوا الجثة وأعادونى إلى زنزانة الماء..

من الفئران إلى الماء وبالعكس!!

فى زنزانة الماء ظللت حتى جاء اليوم السادس.. وفى ضحى اليوم أخرجونى من الماء إلى الزنزانة المجاورة، فتوترت أعصابى انتظارًا لما سيحدث.. فقد مرت بى فى هذه الزنزانة ألوان من العذاب.

فوضت أمرى إلى الله، وجلست مستندة إلى حائط الزنزانة.. أحسست بأشياء تتحرك،فرفعت رأسى إليها، فإذا بخيوط متصلة من الفئران تنزل من النافذة كأن أحدًا يفرغها من كيس!!

أخذتنى رعدة شديدة، وشعرت برعب مريع!!.. أخذت أردد اللهم اصرف عنى السوء بما شئت وكيف شئت»..

ورددت هذا الدعاء، حتى سمعت أذان الظهـر، فتيممت وصليت وجلست أختم صلاتى، وأذكر الله حتى أذان العصر فأديت صلاته..

وهنا دخل الوحش صفوت الروبى.. كانت الفئران قد انصرفت من النافذة من حيث أفرغت ولم يتبق إلا فـأر أو اثنان!! دارت عيناه فى أنحاء الزنزانة فى نظرات دهشة، وارتسمت على وجهه ألف علامة تعجب!!

وكأن ذلك قـد عز عليه، فانصـرف يسب ويلعن تلاحقه خيـبة الأمل!!.. وأعادنى إلى زنزانة الماء، ثم عاد ومعه الضابط رياض.

وقف رياض خـارج الزنزانة فى مـحاولة يائسـة لإقناعى لأقـول بأن تنظيم الإخوان كان يهدف إلى قتل عبد الناصر والاستيلاء على السلطة بعد قلب نظام الحكم.

فقلت له: هذا كذب وافـتراء. وما كنا نجتمع إلا لنتـدارس كتاب الله وسنة رسوله، وتربية جيل مسلم يفقه الإسلام، ويعمل لقيام دولته.

فقال: أنت مصرة على هذا؟ ستـعرفين كيف يكون العذاب من الآن.. إن كل ما مر عليك يعـتبر محاولات إلى جانب ما سـيأتى. وذهب وبقيت أنا فى الماء..!!

ثمانية أيام وأنا على هذه الحال، حتى بلغ بى الإرهاق والإجهاد درجة تفوق كل احتمال.

وبدا ذلك واضحا على صحتى التى وصلت إلى حال يرثى لها!!

وفى اليوم التاسع جاء رياض ومعه صفوت وضابط آخر فى زيه الرسمى. وأخرجونى من الماء.

بدأ رياض يهددنى بأن هذه المرة هى الفرصة الأخيرة لإنقاذ نفسى، فإما أن أعترف كما يريدون، وإما الخلاص منى نهائيا.

وقال: أنت فاهمة ربكم عنده جهنم صحيح؟! جهنم هنا عند عبد الناصر.. الجنة عند عبد الناصر جنة موجودة حقيقية.. وليست جنة وهمية خيالية مثل التى يعدكم بها ربكم!!

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

ثم أخرجونى من الماء إلى الزنزانة المجاورة وأغلقوها ثم انصرفوا.. وفزعت إلى الله فى صلاتى؛ أطلب منه أن يصرف عنى شر هؤلاء، كنت فى صلاتى عندما دخل الزنزانة عدد من الجند يزيد على العشرة ومعهم ضابط بزيه الرسمى. ثم انضم إليهم حمزة البسيونى، وصفوت الروبى. قال صفوت لحمزة البسيونى: أوامرك يا باشا فى بنت الـ...

فقال حمزة البسيونى للجند: ماذا شربتم؟!

فقالوا: شاى يا معالى الباشا...

فقال: شاى يا أولاد الكلب.. خذهم يا صفوت واسق كل واحد منهم زجاجة خمر، وأن يدخنوا الحشيش، وأطعمهم كل ما يشتهون، ثم ارم لهم بنت الـ.. ولهم عندى إجازة ومكافأة.

وأغلقوا الزنزانة وانصرفوا.

مكثت فى الزنزانة حتى صلاة العصر . . كنت ساجدة فى الصلاة عندما فُتحت الزنزانة ويندفع صفوت وجذبنى من ذراعى فى وحشية وقطع صلاتى، ثم أخذنى إلى زنزانة المياه وأغلقها وانصرف!

وجاء رياض ودلف إلى الزنزانة، وكله علامة تعجب يحاول أن يخفيها تحت ظلال من الغرور وهو يقول: تريدين أن تكونى قديسة؟ الجنود الذين أعددناهم لك ذهبوا إلى المستشفى . . لكنهم غدا سيأتون ينهشون لحمك نهشا، فى المستشفى حقنوهم وأصبحوا كالكلاب المسعورة . . وإنها أوامر جمال عبد الناصر . . لن يتركك أبدا . . تعبنا من النصيحة وحاولنا معك مرة ومرات وأنت لا تتزحزحين عن موقفك . . تريدين أن تكونى قديسة؟ ردى، ردى . . أين سوطك يا صفوت؟» أخذ صفوت يضربنى ورياض يستحثه: استمر يا صفوت . . قديسة يعنى إيه يا بنت الـ . . . !! تريدين بعد موتك بثلاثين سنة يقيمون لك ضريحا فى مسجد ويقولون إن زينب الغزالى الجبيلى أظهرت كرامات فى السجن الحربى . . لكن، أنت هنا، ولا الشيطان يعرف ماذا نعمل فيك؟!.

وضحكت وأنا فى قمة المعاناة!! كانت ضحكة سخرية من جهله وغروره، وقلت: إذا كنا نريد ما تقول، ما دفع الله شروركم عنا. ولما استطعنا المقاومة والصبر، والتغلب على ما تسمونه بأنفسكم جحيم عبد الناصر . . لكننا طلاب حقيقة؛ نطلب الله، ثم رضاه . . سينصرنا الله عليكم إن شاء الله وسيفرى الله أسنان الأشقياء الذين تعدونهم لنهش لحومنا.

كان صفوت قد ابتعد عن رياض، فناداه هذا مستعينًا.

«أدركنى يا صفوت بنت الـ . . . . بتخطب . . إنها تخطب يا صفوت . . !!.

وأسرع صفوت لنجدة رياض وألهبنى بسوطه.

وقال: دعها لى يا سعادة البك. وغداً سترى وتشاهد ما نزل بها!!.

وأجلسونى الجلسة المعتادة فى الماء ثم أغلقوا الزنزانة وانصرفوا..

الله وحده يعلم الحالة التى كنت عليها.. لقد كنت فى قمة الألم، وقمة الإجهاد، وقمة المعاناة. إن آلاما مبرحة تسرى فى كل جسدى.

آه !! مسكين يا بلدى!! هل آل أمرك إلى هذه الطغمة التى اعتدت على كل القيم، وحطمت كل القوانين؟!!

شغلنى التفكير فى بلدى عن بعض آلامى.. وإن كان أضاف هما إلى همومى!! إن ما أصابنى ويصيبنى قد أصاب ويصيب غيرى بكل تأكيد.. لقد بت أتصور أن البلد كله قد صار سجنا حربيا، يحكمه حمزة البسيونى، وصفوت، ورياض، والسفاح الشرس شمس بدران!!.. كلهم حلقات واحدة فى سلسلة متصلة تكبل هذا البلد..!!

مسكين يا بلدى!!.. لا، لا لن تكون مسكينا يا بلدى، وفيك حملة كتاب الله، وورثة سنة رسوله، ومن يستظل بمظلة لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.. إننا إن ذهبنا فسيأتى بعدنا وبعدنا من يرفع اللواء، وغداً.. تشرق الأرض بنور ربها، وتتفيأ البشرية ظلال العبودية لله الواحد القهار..

من الماء إلى وكيل النيابة!!

معذرة.. عن هذا التكرار..

فالمقصود التفصيل والتوضيح، كيف كان حال مصر: فسدت الحياة وأسِنَت، ظلم، رعب، اعتقالات، مجازر، تشريد،.. سيطرت قوى الشر والباطل واستبدت، وساوت بين الجميع، بين أصحاب القلم والفكر والرأى، والوزراء

والقادة العسكريين، وبين المواطن العادى.

بين الشاب والشيخ.. بين الرجل والمرأة.. بين المريض والصحيح..

كلهم أمام السياط، وتحت السياط، والصلب، والكلاب، وجميع أنواع التعذيب، الكل سواء.. إنها اشتراكية التعذيب!!

.. وفى صباح اليوم التاسع، أخرجونى من الماء فى وقت مبكر وقال صفوت: أنت ذاهبة إلى وكيل النيابة، وكفاك عذابًا وأنقذى نفسك.. ثم أضاف وقد بدت فى عينيه نظرة التهديد: طبعا أنت عارفة المطلوب منك.. وسنرى ماذا تقولين!!». وجذبنى بقسوة، فقلت: إن ثوبى ممزق.. أعطنى ثوبا أستتر به فقال مساومًا: أحضر لك جلبابا وتكتبين أن حسن الهضيبى وسيد قطب اتفقا على قتل عبد الناصر، والاستيلاء على الحكم؟!

فقلت: لا. لا. لا...

فقال: اذهبى عارية، ولينفعك إسلامك.. وليراك الإخوان هكذا.. فقلت: إن الله هو الحليم الستار.

ودخلت مبنى آخر من مبانى السجن الحربى: ثم إلى حجرة مفتوحة يتصدرها رجل يجلس إلى مكتب، وعرفت فيما بعد أن هذا الرجل يدعى جلال الديب.

نظر إلى نظرة تائهة تشعرك بأنه يحس أنه أصغر من المهمة المعهودة إليه.. وقال مشيرًا بطرف أصبعه: اجلسى. فجلست على كرسى أمام المكتب ثم بدأ حديثه معى مشيرا فى مشاعر معينة: أنت زينب الغزالى الجبيلى الزعيمة الإسلامية المشهورة.. لماذا وضعت نفسك فى هذا الموقف؟ هل يرضيك ما أنت فيه؟ إنى مسلم أحب لك الخير وجئت لأنقذك. أنا أسعد فخر الدين وكيل

النيابة. . أنا لا أستطيع أن أتصور أن زينب الغزالى هى الجالسة أمامى بهذه الحالة التى وصلت إليها. أرجو أن تساعدينى لأخلصك مما أنت فيه. .

فقلت: والله ما نقول إلا ما يرضى ربنا ولا نبغى إلا وجهه تعالى. فقطب حاجبيه وننكس رأسه وهو يسأل ما سنك الآن؟

فقلت: أنا من مواليد ٢ يناير سنة ١٩١٧.

فقال: مندهشا أو متصنعا الدهشة يا ساتر! كنت معتقدا أن سنك فوق التسعين. . لماذا فعلت كل هذا؟!

قلت: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

فقال: يبدو أنك غير قادرة على الكلام؟!

فلزمت الصمت!!

فسأل: على أى شيء اتفقت أنت والشيخ عبد الفتاح إسماعيل؟.

قلت: اتفقنا على أن نربى الشباب على الإسلام، ونفقهه فى أصول الكتاب والسنة؛ حتى ننقذ هذا المجتمع من هذا الضياع الذى يعيش فيه.

قال مقاطعا: لا، لا أنا لا أريد خطابة. . أنا أريد أن توضحى.

«إن الهضيبى قال لك أمرًا تنقلينه إلى عبد الفتاح عبده إسماعيل، وقال لك أمرا ثانيا تنقلينه إلى سيد قطب ما هو هذا الأمر؟! أظن واضح؟؟».

قلت: استأذنت فضيلة المرشد الأستاذ الهضيبى ليجتمع الشباب لدراسة تفسير القرآن والسنة مع الاستعانة ببعض كتب الفقه كالمحلى لابن حزم، وكتب التوحيد لابن عبد الوهاب، وابن تيمية، وكتب الأستاذ سيد قطب، ومن الشباب كان عبد الفتاح عبده إسماعيل.

فقال - وقد رسم على شفتيه ابتسامة حاول أن تكون ساخرة-: لا ياست زينب، الموضوع ليس كذلك.. الموضوع ظهر ووضح فأنقذى نفسك واذكرى الحقيقة، فقلت: كل الذى نريده أن ننشئ جيلا صالحا ونبنى أمة مسلمة. فقال فى إصرار: كلهم اعترفوا وقد ألقوا المصيبة عليك كلها، فقلت بهدوء: الله المطلع يحمينى ويحميهم - إن شاء الله - من أن ننزلق إلى باطل.. فقال فى عصبية وبدأ يظهر نواياه: لا. يبدو أنك مغرمة بإظهار عضلاتك الخطابية، ومغرورة.. حتى النيابة لا تستطيع أن تصل معك إلى قرار!

فقلت، وأنا لا أستطيع الكلام - فقد كنت فى قمة التعب والإجهاد ولكن شعور بالظلم دفعنى إلى أن أقول-: لو عرفت النيابة واجبها ما.. فقاطعنى ثائرا: «اخرسى! حتى النيابة تتطاولين عليها ولا تسلم من لسانك».. ثم نادى صفوت الذى كان واقفا بالباب.. لا فائدة منها يا صفوت.. إنها اعتدت على النيابة سأثبت فى المحضر أنها اعتدت على النيابة.

جذبنى صفوت بوحشية ونظر إلى وكيل النيابة وقال: إلى أين يا سعادة البيه..؟ فقال وكيل النيابة بسرعة - وكأنه يرد على سؤال مسبق -: إلى الماء طبعًا.. وعدت إلى الماء وسوط صفوت لا يكل ولا يضعف، زين له شيطانه الشر وهيأت له جاهليته الطغيان. وسولت له نفسه المريضة ذلك طمعًا فى رضا من فوقه، وأملا فى القرب من حضرتهم ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

السوط مع الرغيف!!

بعد العصر، فى اليوم العاشر، فتحت زنزانة الماء، وأخرجنى صفوت من الماء، وأسلمنى لاثنين من الزبانية وقال لهما: «إلى سجن ٣».. أدخلونى هناك

زنزانة، فارتميت على الأرض جثة هامدة مثخنة بالجـراح.. كان جسمى متورما كـالكرة المنفوخـة.. وأحس بأن قلبى يكاد ينخلع مـن مكانه.. انبطحت على الأرض لا أقوى على الأنين!!.. وأسلمت نفسى للذى بيده مقادير الأمور.

لا أدرى كم مرّ من الوقت وأنا على الأرض، حـينما سمعت جلـبة خارج الزنزانة. زحـفت على الأرض وبصـعوبة بـالغة أمـسكت بالبـاب ونظرت من الفتـحة. فرأيت جـماعة من الإخـوان، يقفون طابورا طويلا، بيـد كل واحد «قروانة» من الصفيح يتقدم بها إلى جندى، فيغرف هذا الأخير من «قزان» أمامه شيئا غـريبا ويصبه فى القروانة الصفيح.. وعندمـا يتناول الأخ نصيبه من هذا الطعام الغريب، يتناول أيضـا نصيبه من السياط!! كـان عدد من الجنود الزبانية يقفون فى صفين متقابلين، وعندمـا يمر الأخ بعد أن يتناول نصيبه من الطعام، يضربه كل جندى عند مروره عليـه بسوطه.. وهكذا لابد أن يدفع الأخ ضريبة إجبارية عددا من السياط بعدد الجنود! وينصرف الأخ.

شعر أحد الزبانيـة بى وأنا أختلس النظر إلى طابور تسليم الطعام الرهيب، فدخل زنزانتى كـالوحش الهائج وأخذ يضـربنى بحذائه ضربا مـؤلما، ثم ينهال بسوطه المجنون عـلى ما يصادفـه من جسمى، فـخارت قـواى،وغبت فى نوم عميق على أسفلت الزنزانة!!.

أيقظنى الملعون صـفوت ومعه أحـد الجنود بيده قروانة بها قليل مـن الحساء أسود اللون، تنبعث منه رائحة كريهة لا تطاق.. قال صفوت: اشربى هذا وإلا فسنضربك عشرة سياط.

فقلت: سأشربها!!

فقـال صفوت لمسـاعده: اتركهـا عشر دقـائق، ثم عد إليهـا. وانظر ماذا

فعلت، إن لم تكن قد شربت اضربها عشرة سياط ونادينى. . !!

خرجا وأغـلقا الباب، ولما بعد وقع أقـدامهما، واطمـأننت إلى أن أحدا لا يرانى، سكبت الحساء تحت البطانية التى رموا بها على أسفلت الزنزانة. . وعاد الجندى بعد المدة المحددة فوجد القروانة فارغة فأخذها وانصرف!!

قضيت ليلتى. . ويا لها من ليلة. . كنت علـى قمة الألم والمعاناة. . أنياب الآم تنهش جسمى كله.

وافترشت آلامى وقضيت ليلتى. . !!

إلى المستشفى

وفى ضحى اليوم الحادى عشر فتح صـفوت الزنزانة وقال: تفضل يا دكتور ماجد. ودخل الطـبيب ماجد فى زيه العـسكرى ومعه التمورجـى الجندى عبد المعبـود. . كانت قدماى تـنزفان دمًا وصديدًا، وأورام وانتـفاخات منتـشرة فى جسمى وآلام حادة تفرى عظامى.

قال الطبيب ماجد للتمورجى: اعصر لها رجليها ونظف الجروح وانقلها إلى المستشفى. . » ونقلت إلى المستشفى فى حراسة اثنين من الزبانية!!

مـــع شمـــس

مكثت يوما فى المستشـفى (أو الشفخانة كما يطلقون عليـها) وسعدت، لا لأننى بعـدت عن التعـذيب، فالتـعذيـب فى جسـمى ضارب أنيـابه، ولكننى سعدت من تغيير المكان. . نعم، كنت فى زنزانة فى المستشفى، ولكن شعورى بأننى فى مستشفى أدخل علىَّ بعض الراحة. . وحمدت الله.

تمنيت أن تمتد إقامتى فى المستشفى فترة تلتئم فيها جراحى، ويخف فيها زئير عظامى. . واستسلمت لهذا الحلم الجميل!!

ولكن، وآه من لكن! جاءتنى الزبانية وأخرجتنى من حلمى الجميل إلى واقعى المر الأليم!!

وأخذنى الزبانية إلى مكتب شمس بدران!!. . كنت أمشى على قدمى الممزقتين بصعوبة بالغة. . بل لم أكن أستطيع أن أحمل جسمى. . ولكن السوط فى يد الزبانية خلفى يتهددنى إن أبطأت، ويهوى علىَّ إن تلكأت أو وقفت!! ولم أكمل الطريق من المستشفى إلى مكتب شمس بدران، فسقطت على الأرض فى منتصف الطريق، فرفعنى الجند، وجرونى على الأرض جرا. . وأوصلونى على هذه الحال إلى مكتب شمس بدران؟!!

وما كاد السفاح الجاهلى شمس يرانى حتى نادى على صفوت الروبى، وفى حركة، كأنه أمام آلات التصوير- فقد ازداد احتقان وجهه وارتسمت عليه غضبة عارمة، وتحجرت عيناه فى مقلتيه حتى صار وجهه مثل وجه البومة - واستدار إلىَّ صفوت، وذراعه ممدودة إلى آخر مداها، وأصبعه تشير إلىَّ: علقها يا صفوت واجلدها خمسمائة جلدة!!. . وحشية ما بعدها وحشية؛ وقسوة غريبة لا يعرفها إلا شمس بدران!!.

وعلقونى وجهزونى للجلاد صفوت. .!! وشمر صفوت الروبى عن ساعده، ورفع سوطه وأخذ فى تنفيذ أمر مولاه شمس!! خمسمائة جلدة. . وأنا أستغيث ضارعة: «يا الله، يا الله» وشمس بدران يقول: «أين هو الله!» الذى تنادينه، فلينفعك إذا كان موجودا!. . لو استغثت بعبد الناصر لأغاثك فى الحال!. . ثم أخذ بلسانه يتطاول على جلال الله سبحانه، مما تأبى ألسنة

المؤمنين التلفظ به؛ ولو كان إعادةً لما قاله الفاجر الكافر.

وتم الجلد. وأنزلونى من التعليقة وأوقفوني والدم ينزف من قدمى.. وأمرنى شمس بدران أن أؤدى حركة «محلك سر» مدعيا أن هذا علاج لقدمى!!.

وبعد فترة أسندت ظهرى إلى الحائط، ثم جلست من شدة العناء، فجذبنى صفوت بغلظة، ولم أستطع الوقوف فهويت على الأرض.. وهنا جاء حمزة البسيونى وحش السجن الحربى، وقال: إنها تمثل يا باشا!!.. وأغمى علىّ، وتنبهت على الطبيب الذى أعطانى حقنة فى ذراعى وأمر لى بكوب من عصير الليمون وأسقونى إياه.. قال شمس بدران: هيه! لن ينفعك العناد.. نفذى ما نريد وإلا علقناك ثانيا. وثالثا. ورابعا. ومائة مرة.. لا يخطر على بالك أبدا أننا عاجزون عن انتزاع ما نريده منك.. إننا نعطيك الفرصة فقط. مفهوم؟!! من يمنعنا عن دفنك وأنت حية؟!!

فقلت: يفعل الله ما يشاء ويختار، وله الحمد حتى يرضى.

فقال فى غيظ وضيق: لا تكلمينى بهذه اللغة وهذا الأسلوب.

وقال حسن خليل محاولا أن يثنينى عن عزمى: يا بنت اعقلى، واشترى نفسك.. لن ينفعك أحد من الإخوان هنا.. كل منهم يريد نفسه فقط.. إنهم يفرون إلى النجاة!!

ثم أخرج ورقا وقلما واستأنف حديثه أو نصائحه: خذها يا صفوت إلى المستشفى ودعها تكتب كل ما تعرفه عن تنظيم الإخوان.. كيف عرفتهم؟! وكيف اتفقوا على قتل جمال عبد الناصر.. وتذكر كل أسماء الذين تعرفهم من الإخوان!! وفى الطريق إلى المستشفى كان صفوت يأمرنى بالمشى، وأنا

عاجزة كطفل يخطو خطواته الأولى!! وتستبد بصفوت وحشيته فكان يوقفنى بين وقت وآخر ويأمرنى أن أؤدى محلك سر!! محلك سر!! إن هذا علاج لقدميك يا بنت الـ . . . .

الله وحده يعلم كيف قطعت الطريق إلى المستشفى. . لقد كانت رحلة عذاب ووصلت إلى المستشفى ودخلت زنزانتى. أعطانى صفوت الورق والقلم وقال: طبعا عرفت المطلوب. . ولا داعى للفلسفة. . اكتبى كل ما تعلمونه يا إخوان يا كذابون. . وكيف كنتم ستقتلون جمال عبد الناصر. . واضح؟! هيا يا حلوة وأغلق الباب، وانصرف!

لم أستطع أن أمسك القلم، فقد كانت يداى متورمتين، ولم أستطع الكتابة فمضى اليوم الأول، ولم أفعل شيئًا. . لم أكتب حرفا واحدا. . وعاد صفوت ليأخذ ما كتبت. فوجد الورق أبيض لم يمر عليه القلم.

فقال: سأترك لك الورق لتنقذى نفسك يا بنت الـ. . وانصرف.

وأخذت أكتب بصعوبة. وفى اليوم الثالث جاء حمزة البسيونى، وجمع الأوراق وانصرف، وقضيت يومى بين صحوة وغفوة. لا أستطيع أن أستقر على موضع. . إن وقفت نبحت قدماى. وإن نمت صرخت عظامى!

وجاء صفوت، ومعه جنديان ليأخذانى إلى مكتب شمس بدران وبنفس الطريقة السابقة قطعت الطريق سيرا على قدمى مع الوقوف على فترات فى «محلك سر» بأمر صفوت الروبى!!

ودخلت مكتب شمس بدران فنظر إلىّ فى وحشية وقسوة وهو يمزق أوراقا ويلقيها فى سلة المهملات ثم قال: يا بنت الـ. . ألم يكفك كل هذا العذاب؟!! ماذا كتبت؟ كلام فارغ. . أجلدها مرة أخرى يا حمزة!

فقال حمزة البسيونى وحسن خليل: سنعيدها للكلاب أحسن يا باشا، فقال شمس بدران فى عصبية: أحضر الكلاب هنا يا صفوت!!

أسرع صفوت وعاد ومساعده نجم بكلبين كالوحشين من مجموعة الكلاب المدربة التى كانت لى معها سابقة فى اليوم الأول من أيام «باستيل مصر».. السجن الحربى.. وقال شمس بدران: أطلق عليها الكلاب يا صفوت!!

وهجم علىّ الوحشان، فأغمضت عينىّ. وأنا أقول: حسبى الله ونعم الوكيل، اللهم اكفنى السوء بما شئت وكيف شئت. وظل الكلبان ينهشان جسمى كله بأنيابهما ويشعلان فيه نارا موقدة.. وشمس بدران لا يكف عن سبابه يا بنت الـ.. اكتبى أنكم اتفقتم على قتل جمال عبد الناصر.. كيف كنتم ستقتلونه؟ اكتبى.. اكتبى يا بنت الـ..!!.. وصار عدد الكلاب ثلاثة.. اثنان ينهشانى وشمس بدران يسلقنى بلسانه القذر السليط!!

ويبدو أن شمس بدران قد شعر بأن لا جدوى من الكلاب فصرخ فى صفوت، وجسمه كله يهتز من الثورة: اصرف الكلاب يا صفوت، وجهز بنت الـ.. للجلد!!

واستدعوا الطبيب، فحضر ثم فحصنى وقال لشمس بدران: إذا سمح الباشا يؤجل جلدها اليوم فحالتها «لا تتحمل».

وقال شمس بدران لحمزة البسيونى: «خذها إلى ٢٤، وأريد يا حمزة أن تحمل إلىّ جثتها!».

وحملونى إلى رقم ٢٤.. بناء لم أدخله من قبل، ثم أوقفونى فاقشعر بدنى وتسمرت فى مكانى!!.. رقم ٢٤ هذا زنزانة فى وسطها نار موقدة، وعند كل

ركن من الأركان الأربعة يقف جندى بيده سوط كلسان الأفعى.. وتناولنى الجندى بسوطه وهو يأمرنى بأن أدخل فى دائرة النار، فإذا اقتربت منعنى الجندى القريب منها، فيتلقانى الثالث.. وهكذا، والنار المشتعلة قريبة منى، يلفحنى لهيبها.. ظللت ما يقرب من ساعتين وأنا بين لهيبين، لهيب النار المشتعلة التى أخشى الوقوع فيها، ولهيب سياط الزبانية وكلا اللهيبين مر.

ويدخل حمزة البسيونى، ونظرة بلهاء بلا معنى فى عينيه ويقول وأنا فى وسط هذا السعير: اكتبى أنكم ستقتلون جمال عبد الناصر وإلا قذفناك فى النار!!.

ونظرت إليه نظرة كلها صمود، وصرخت فى وجهه صرخة بدون صوت، وبكيت بدون دموع.. لقد كان العذاب فوق ما أحتمل، وأغمى علىّ ولم أفق إلا وأنا فى المستشفى!!

مشهد تمثيلى بالإكراه!!

فى صباح يوم، أخرجونى من زنزانة المستشفى، فرأيت مصورين وآلات التصوير معدة، وأجلسونى على مقعد، وأمرونى أن أضع ساقا على ساق، وأضع سيجارة فى فمى، ليصورونى على هذه الحالة فقلت: مستحيل أمسك سيجارة لا فى يدى، ولا فى فمى!! فوضعوا المسدس فى ظهرى وفى أم رأسى لأمسك السيجارة فرفضت ونطقت بالشهادتين وقلت: افعلوا ما تشاءون - لن أفعل!!

ضُربت بالسياط.. أعادوا المسدس إلى رأسى، وأعادوا الأمر بمسك السيجارة ووضعها فى فمى، فرفضت وأصررت على الرفض!!.. فلما يئسوا صورونى..

فى اليوم التالى، طلبوا منى أن أذهب لأتحدث فى التليفزيون على أن يملوا علىّ كلاما من زورهم وبهتانهم على «الإخوان المسلمين». فقلت: لن أقول إلا الآتى إذا ذهبت إلى التليفزيون.

«إن جمال عبد الناصر كافر يحارب الإسلام فى شخص جماعة الإخوان المسلمين.. ولذلك نحن نحاربه، لأنه قال إن الحكم بالقرآن رجعية وتأخر وتعصب مقيت، ولأنه يستورد مواد أحكامه وتشريعاته من الدب الأحمر الشيوعى ومذهبه الإلحادى الذى يقول لا إله والحياة مادة.. لهذا نحن نحاربه»..

فقال: ستتكلمين والمسدس فى ظهرك ونافوخك.. لابد أن تقولى ما نريده نحن..

قلت: بالأمس لم أرض أن أضع سيجارة فى يدى أو فى فمى، وأنتم تهددوننى بمسدسكم وتضعونه فى رأسى وفى ظهرى، ومصورو صحافتكم وإعلامكم يشهدون، فهل تظنون اليوم أن أقول غير الحقيقة؟! لا.. والله إننا لحملة رسالة.. وأمناء أمة وورثة كتاب.. فجلدت وأعدت إلى الزنزانة.

الحجرة ٣٢

كثيرًا ما تردد فى نفسى سؤال، وكثيرًا ما حيرنى..!!

المفروض أننى مقبوض علىّ لجريمة معينة، محددة.. فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا يطلبون منى أن أكتب إقرارًا بأننى اتفقت على قتل جمال عبد الناصر، بل ودبرت لهذه الجريمة.. إذا كانت كل أركان الجريمة متوافرة.. فلماذا يطلبون منى هذا الإقرار؟ لماذا يطلبون منى أن أقدم دليلاً على جريمة ليس لها واقع إلا

فى مخيلتهم؟! أليس هذا الاعتقال وهذا التعذيب الوحشى، لغرض آخر وهدف آخر هو محاربة الإسلام، وإبادة دعائمه؟!

وأعادونى إلى مكتب شمس بدران.. وما كاد يرانى حتى قال فى دهشة مصطنعة: إيه أما زالت على قيد الحياة يا بنت الـ..؟! أنا قلت يا حمزة هات لى جثتها..

فقال حمزة البسيونى فى رجاء: معذرة يا باشا.. قل لها تعليماتك وهى مستعدة لتنفيذها.

فقال شمس بدران: اكتبى يا بنت...!!

فقلت: لن أكتب إلا الحقيقة.. إذا أردتم فاقتلونى.. إنها شهادة تكتب عند الله إن شاء سبحانه.

فقال حسن خليل: لن نسمح لك بهذه الشهادة؟!!

فقلت: إن الشهادة من عند الله؛ إذا أرادها لأحد من خلقه أعطاها له.

فقال شمس بدران وقد أثاره إصرارى: علقها يا صفوت.. واجلدها خمسمائة جلدة!! لتعرف من ربها.

وعلقونى، وجلدنى الزبانية.. سخاء فى الوحشية وكرم فى القسوة!! خمسمائة جلدة على إنسان فى قمة الألم، وقمة المعاناة.. ماذا بعد؟! وأعادونى إلى الزنزانة.

ولم يمض وقت حتى أخذونى ثانية إلى مكتب شمس بدران الذى قال:

اجلسى هنا؟!! وأشار إلى كرسى أمام مكتبه.. ثم قال: هل أنت فاهمة أن قلوبنا جامدة لا تحس؟! أنا متأثر جدًا لحالتك.. أنا والدى شيخ فى الأزهر!!

نظرت إليه نظرة ذات مغزى كبير مليئة بالازدراء والاحتقار!

وعاد إلى طبعه الوحشى قائلاً فى عصبية مهددًا:

يا بنت الـ . . !!. اسحبها يا حمزة إلى ٣٢. .

ودخلت زنزانة وجدت بها عمودين من الخشب متصلين من أعلى بعمود أفقى تتدلى منه حلقتان. . أوقفونى على كرسى. وأمرونى بالسوط أن أمسك الحلقتين، عندئذ أزاحوا الكرسى من تحت قدمى فصرت معلقة فى الهواء. . !!

لم أستطع أن أستمر فى الحلقتين أكثر من عشر دقائق فهويت على الأرض وتلقفنى الزبانية بسياطهم المجنونة. وأعادونى مرة أخرى إلى الحلقتين. فسقطت، فعملت فىَّ السياط المجنونة ماشاء لها هوى الزبانية. . وظلت هذه العملية تتكرر ما يقرب من ثلاث ساعات!!

شموخ الإيمان وذلة الباطل

أعادونى إلى مكتب شمس بدران، فأشار بطرف أصبعه، فى حركة تمثيلية، إلى كرسى أمام مكتبه، فجلست ثم أخذ جلال الديب وحسن خليل يحاولان إقناعى بأن أكتب ما يريده الباشا. . ويكرران بأن ذلك فى مصلحتى!! قلت لهما: لن أكتب شيئًا لا أعرفه. . فقال لى: إننا عرفنا كل شىء، واعترف الإخوان بكل شىء، اقرأ لها الملفات!!

ملف عبد الفتاح إسماعيل وملف مجدى عبد العزيز، وأحمد عبد المجيد وملف سيد قطب، وملف محمد هواش، وصبرى عرفه، وعبد المجيد الشاذلى، وفاروق المنشاوى، ومرسى مصطفى مرسى، على حد زعمهم، ثم

قال شمس بدران: اقرأ لها أقوالهم، وقرأ جلال الديب أقوال على عشماوى!! أذهلني ما سمعت !!

ولما فرغ قال شـمس بدران - وهو يغمض إحدىٰ عينيه ويهـز رأسه -: ما رأيك فى هذه الأقوال؟!

فقلت على الفور: هذا كله كذب وافتراء.

فقـال شمس بدران: تريدين أن تنكرى أنك أسسـت تنظيم الإخوان؟ إليك كلام شيخكم يقطع بأنك أنت التى أسست التنظيم.. اقـرأ لها أقوال الهضيبى ياجلال. وبعد عدة دقائق قال له: انتظر.. اترك هذا الملف واقرأ لها أقوال عبد الفتـاح إسماعـيل، وأخذ جلال يقـرأ.. وبعد قليل سألنى شـمس بدران: ما رأيك!!.. لم أجب.. قال يا جلال.. اقـرأ لها أقوال مخطط الإخـوان سيد قطب..

فأخذ جلال يقرأ ثم ينتقل من ملف إلى ملف ولما فرغ قال شمس بدران:

ما رأيك فيما سمعت؟! هـل تكتبين ما نريد؟ فقلت: هذا باطل؟؟ فقال فى تهكم: وما هو الحق يا نابغة الزمان؟

قلت: كل ما سجل هنا لعلى عـشماوى، أعتقد أنه هو البـاطل.. أما بقية إخـوانى فهـم أهل الدعوة وأهل الحق.. والمـسطر هذا مزور علـيهم.. قـال شمس: علقها يا صفوت وأنت يا حمزة هات على عشماوى وحضر الكلاب.

وجاء على عـشمـاوى.. كان على عشـماوى يلبس «بيـجامـة» من الحرير المهفهف نظيفـة، أنيقة، شعره ممشط لا يبدو عليه أى أثر للتـعذيب، فلما رأيته واسـتعـرضت فى ذهنى حـالة الآخـرين، وحـالتى علمت بل تيـقنت أن هذا المخلوق خان أمـانة الله، وشهد على إخوانه زوراً فـهوى فى مهاوى الفـساق،

الفجار، الظالمين، وأصبح من رجال شمس بدران وذنبا من أذناب جمال عبد الناصر، الذين لا يعرفون قيما ولا أخلاقا ولا دينا.

قال له شمس بدران: يا على، ماذا أخذت من زينب الغزالى فى آخر يوم توجهت فيه إليها، وماذا قالت لك؟

قال على عشماوى: أعطتنى ألف جنيه، وقالت لى.. النقود ستكون عند غادة عمار لتسليمها إلى بيت الهضيبى أو بيت قطب، إذا قبضوا علىّ اتصل بغادة أو بحميدة ستعرف أين النقود إذا احتجتم إليها».

فقال شمس بدران: كم كانت النقود يا زينب الغزالى؟ ولماذا كنت خائفة عليها؟

فقلت: كانت النقود أربعة آلاف جنيه، وهى قيمة اشتراكات مجموعة من الإخوان فى السودان، والسعودية، لمساعدة أسر المسجونين، ومصاريف الطلبة فى المدارس والجامعات، وإيجار بيوت، صرفنا منها فى العيد الماضى ألف جنيه على العائلات.. وهذا الواقف أمامكم هو الذى أخذ الألف جنيه ليعطيها لعبد الفتاح إسماعيل لحساب الأسر.

وقال شمس بدران: أنت يا على، ماذا أكلت عند زينب الغزالى آخر مرة؟

فقال على عشماوى: أعطتنى طبق أرز بالكبدة وقالت لى: كل، ربنا يعينك..

ثم قال: كفاية!! اخرج يا على، فخرج على عشماوى مصحوبا بسلامة ورعاية شمس بدران!!

وقال شمس بدران: هات عبد الفتاح، يا حمزة.

وبعد لحظات عاد حمزة البسيونى بعبـد الفتاح إسماعيل.. كان يكسوه وقار الصـادقين، ونور الموحدين، يلبس حلة سـجن زرقاء، ممزقـة، وآثار التعـذيب تنطق بمدى ما لاقـاه هذا المجاهد الصـادق المؤمن الموحد.. وقال يوجـه القول إلىّ: «السلام عليكم».

قلت: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

وقال شمس بدران: ماذا كنت تعمل عند زينب الغـزالى يا عبد الفتاح؟ لماذا كنت تذهب إليها؟

ويرد عبد الفتاح بلسان صدق وحق غريب على الجاهلين: أختى فى الله.. كنا نتعـاون على أن نبنى الشبـاب المسلم على مبادئ القـرآن والسنة، وبطبيـعة الحـال كان ذلك سـيـفـضى إلى تغـييـر الدولة، من دولة جـاهليـة إلى دولة إسلامية..

ويقـول شـمس بدران فى غـلظة: أتخطب؟ أنت لست علـى المنبـر يا ابن الـ.... اخرج.. اخرج.. ويخرج عبد الفتـاح إسماعيل كما جاء.. بعد أن وجه القول إلىّ «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

فقلت: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

وأخذت شمس بدران ثورة عارمة فجـرت القذارة على لسانه فانساب بأبشع الألفاظ وأقذرها!!

واسترحت.. نعم اسـترحت لشموخ الرجـولة فى عبد الفتاح إسـماعيل، مأخوذة بذروة الإيمان فيه، وقلت فـى سرى «الحمد لله» أن لله رجالا.. اللهم

احفظهم لدعوتك يا الله. إن خان على العشماوى فهناك الموحدون الصابرون. . رواد الطريق وطلاب الحقيقة.

وتنبهت على صـوت شمس بدران وهو يصـرخ: خذوها بنت الـ. . وبكره يجى ومعها الورق مكتوب. وأعطى حسن خليل لصفوت ورقا وقلما وأعادونى إلى المستشفى وأمسـكت بالورق والقلم. ماذا أكتب؟ ماذا يريدون منا؟ أيريدون أن نغضب ربنا ونخـالف ديننا!!؟ لا والله لن نكتب إلا أننا فى سبـيل الله قمنا وتحت راية القرآن سرنا. . لا إله إلا الله. . محـمد رسول الله. لن نشرك بربنا أحداً ولا نعـبد إلا إياه. ربنا أفرغ علينا صـبرا وثبت أقدامنـا وتوفنا مسلمين. وأنتم يا فراعنة العـصر اقضوا ما أنتم قـاضون، إنما تقضون هذه الحـياة الدنيا. وغداً سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

وفى اليوم التـالى جاء حمزة البـسيونى ورياض وصفـوت وأخذوا الأوراق وانصرفوا، وعادوا بعد ساعة تقريبا، وحملونى فى عربة -لعجزى عن الحركة- إلى مكتب شمس بدران، الذى رأيته يمزق أوراقا يلقـيها فى سلة المهملات وهو يقول: هذه أوراقك أنا سـآخذ كوز دم من جـسدك وتكتـبين ما أريده بالدم. . وأعادونى إلى المستشفى. . !! تحت اللعنات وضرب السياط.

عبد الناصر أمر بإعدامى!!

مكثت بالمستشفى عدة أيام تحت العلاج. فقد كنت قاب قوسين أو أدنى من الموت!!

وذات يوم قـبيل الغـروب أخـذونى إلى مكتب شـمس بدران. . لكنهم لم يدخلونى، بل أمـرونى أن أقف ووجهـى إلى جهـاز كهـربائى، يخرج صـوتًا مزعجًا، وينبعث منه هواء ساخن. .

ظللت واقفة -ووجهى إلى هذا الجهاز اللعين- ليلة كاملة!! وفى الصباح أعادونى إلى المستشفى. دخل الدكتور ماجد ونظر إلى وجهى وقال لعبد المعبود التمورجى: وجهها شديد الاصفرار.. هل أخذوها مرة أخرى الليلة؟ فقال عبد المعبود: نعم!

وبعد نصف ساعة أحضر لى عبد المعبود نصف رغيف أفرنجى وبداخله بعض المربى، وقال: الدكتور أمر لك بهذا..

وعند الغروب أُخرجت من المستشفى لأوضع فى حجرة قريبة من مكتب شمس بدران، ثم حضر الزبانية حمزة وصفوت ورياض وصاروا يتداولون فيما بينهم هامسين. وانصرف الأولان وبقى الأخير الذى انقلب إلى مسخ مشوه يلطم وجهه ويشد شعره، ثم يفتعل حركات كما لو كان يريد تمزيق ملابسه ويصرخ عاويا متهما إياى بالجنون والغفلة، مهدداً بأنى إذا لم أطع شمس باشا اليوم فإن حياتى سوف تنتهى. ثم يتساءل إن كنت أعلم أين ذهب عواد ورفعت وإسماعيل الفيومى؟ ويضيف أنهم يدفنون كل يوم فى السجن عشرة كلاب من الإخوان، يدفنونهم فى جحيم عبد الناصر. فلما علّقت على هلوسته تلك بأن قتلانا شهداء فى الجنة، زاد من لطم وجهه وصاح مادام الكلاب والماء والنار والسياط وكل هذا العذاب لم ينفع معك.. فاليوم الباشا سيذبحك... أخذ الأمر من جمال عبدالناصر... ماذا ستفعلين..؟!

قلت: الذى يفعل هو الله.

فقال فى بله: أنت تريديننا أن نفعل مثلكم ونخيب خيبتكم؟ أنت تريديننا أن نترك روسيا التى تحكم نصف العالم وننصاع لكلام شخص مثل الهضيبى أو سيد قطب أو حسن البنا؟ أنتم مجانين.. إننا لسنا مثلكم.. ردى علىّ.

فقلت: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، وكانت هذه الآلهة هى الأصنام، والحكام سدنة الأصنام. وهم الذين رموا محمداً الرسول ﷺ سيد ولد آدم، رموه بالجنون. وهكذا يعيد التاريخ نفسه فتقولون لمن يدعونكم إلى الله أنهم مجانين، ويسيّركم الطاغوت الذى استخدمكم فى الباطل، وتسيرون خلفه أذلاء بثمن بخس: أرضيتم المخلوق وأغضبتم الخالق.

فجن جنونه وثارت ثائرته وهو يقول: أتريدون أن تعيدونا إلى الجمود والتأخر؟.

وفتح الباب واندفع جند كالوحوش يلهبون جسدى بالسياط. وهو يضحك فى بله ويقول: والله يا زينب أنا خايف عليك ومشفق عليك... وأنا أقول: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

قلت فى سخرية: شفقة وخوف؟! ما هذا!! أنت تخاف؟!

القضية كما تقولون وضحت كل عناصرها.. فماذا يهمكم اعترافى أو إقرارى؟! نعم وضح كل شيء.. وضح زوركم، وكذبكم، وإلصاق الجرائم بالأبرياء، لأغراض قد وضحت كذلك.

أخذ المجنون رياض يضرب صدره، ويشد شعره ويصرخ: بأى قوة تعيشين؟!!

كدنا نفقد عقولنا فيك... الأطباء يقولون: إذا لم يدخل لك طعام ستهلكين..

ودخل حمزة البسيونى وصفوت، وقال حمزة: خيراً يا رياض.. ماذا فعلت معها؟ أظن عقلت؟!

ملأت نظرة بكل السخرية وصوبتها إلى حمزة البسيونى وقلت: لا أدرى من المجنون؟

فنظر إلىَّ حمزة ولم يعقب، ثم استدار إلى صفوت وقال: هاتها يا صفوت إلى مكتب الباشا؟!!

فى مكتب الباشا

أجلسنى شمس على كرسى وقال: أعتقد أنه لا داعى للاستمرار فى العناد، أريدك أن تكتبى ما نريـد. فقلت: أتريد أن أكتب أننا كنا سنقتل عـبد الناصر؟ هذا أمر مستحيل، والله ما كنا لنجتمع إلا لدراسة القرآن والحديث لنبيّن للناس كيف يخـرجون من طاعـة الطواغيت البشـرية إلى طاعة الله فـيعبـدونه وحده ويقـيمـون دينه، لا يأتمرون إلا بما فى الكتاب والسنـة، لا يعصـون الله فيـما أمـرهم، ولكن يتحـرون دوماً، ويجـتهـدون ألا يعصـوه، وإن عصـوه تابوا، واستـغفروا. . ومع ذلك نحن نعـتقد أن الحكم القـائم حكم جاهلى يجب أن يزول، لا بالحديد والنار بل بوجـود قاعدة إسـلامية عريضـة فى الأمة، فكيف تقولون إننا كنا سنقتل عبد الـناصر؟!. . لابد أن نخرجكم أولاً من الجاهلية. . فعندما توجد هذه القاعـدة ستقوم الدولة الإسلامية حتـماً، انهالت السياط من مردة الإنس فـصرخت بأعلى مـا استطعت: لن أكـتب لن أكتب. فـاقتلونى. فالدنيا لا تساوى عندى شيئا. .

والتفت إلىّ شمس بدران يسأل: الورق الذى مزقته لم تذكرى فيه شيئا عن عبد العـزيز على. فسألت: ومن عبـد العزيز على؟ فقال شـمس بدران: عبد العزيز على باشـا الذى عينه عبد الناصر وزيراً ولم يـحفظ هذا المعروف وعض اليد التى أكرمته، وتنكر لعبد الناصر.

فقلت على الفور وقد طفا الاسم إلى ذاكرتى: عبد العزيز على، صاحب حركة اليد السوداء ضد الإنجليز؟ عبد العزيز على من كبار رجال الحزب الوطنى. لقد كان عبد الناصر وزملاؤه يجلسون على الأرض أمامه يستمعون منه دروساً فى الوطنية.. إننى أعرف أنه رجل عظيم، وهو صديق زوجى، وأخى فى الله. وزوجته من أعضاء المركز العام لجماعة السيدات المسلمات وصديقتى وأختى فى الله. فسأل فى تهكم: ألم تضميه إلى تنظيم الإخوان؟!!

أجبت: كان يشرفنا ذلك، إنه كما قالت الخنساء: «علم فى رأسه نار».

فصرخ شمس بدران فى عجرفة تخجل منها الجاهلية: وإيه كمان عندك من الكلام الفارغ؟!.. ونزلت السياط.

بعدها فترة راحة وتشاور هامس فيما بينهم، ثم قال حسن خليل:

نريد أن نعرف، لماذا عرّفت عبد العزيز بعبد الفتاح عبده إسماعيل، وأين تم هذا التعارف؟

أجبت: عندما كسرت رجلى بفعل رجال مخابراتكم، كان يزورنى فى المستشفى هو وزوجته. واستمرت زياراته فى البيت عندما تركت المستشفى. وتصادف يوماً أن جاء عبد الفتاح عبده إسماعيل لزيارتى وكان عبد العزيز على موجوداً فتعارفا.. هذا كل ما أتذكره بالنسبة لهذه الواقعة.

فقال حسن خليل: ياست زينب، سنسلّم معك أن تعارف عبد العزيز على وعبد الفتاح عبده إسماعيل كان مجرد لقاء عابر، فكيف تعرّف عبد العزيز على فى بيتك وبواسطتك بفريد عبد الخالق؟

فقلت: عندما جاءت الممرضة لإجراء العلاج الطبيعى لساقى المكسورة، خرج عبد العزيز على وجلس فى الصالون. وفى هذه الأثناء حضر فريد عبد

الخالق فجلس فى الصالون. وكان لايعرف عبد العزيز على بعد. وعندما انتهت جلسة العلاج، وانصرفت الحكيمة، دخل فـريد عبد الخالق ليرانى، ودخل عبد العزيز على ليستأذن فى الانصراف، فقـدمت كلا منهما للآخر، فصرخ شمس بدران وكان فى قمة الضيق: نادوا صفوت!!

ولم أفق إلا فى المسـتـشـفى، وقـدماى فى الـضمـادات وآلام حـادة تدق عظامى، وتفرى كل جسمى!!..

الوهم الكبير!

مكثت بضعة أيام فى المستشـفى تحت العلاج، ثم حُملت إلى مكتب شمس بدران!! ويصر شـمس بدران على وهمه الكبـير، ويلف ويدور حـوله، حتى يخيل إلىّ أنه من كثرة ترديده هذا الوهم قد وقر فى نفسه حقاً، وأصبح حقيقة واقعة فى عقله..

(الإخوان المسلمون دبروا واتفقوا على اغتيال جمال عبد الناصر!!)

وينظر إلىّ شمس بدران ودهـشة كبيـرة تملأ عينيه، وتملأ قـسمات وجـهه، ويقول مستنكراً: أأنت على قيد الحياة؟!.

ثم يقول متعجباً: «بعد كل ما جرى عليك ولك؟!!».

فأرد: قال الله تعالى ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ**﴾ [البروج: ٤]، والذين قتلوا أصحاب الأخدود كـانوا مجانين بالباطل والزور والبهتـان. أما الذين قُتلوا فى الأخدود -وبأيدى أصحـابه- فكانوا أصحاب رسالة، وحملة أمـانة.. مصرين على أن يؤدوا أمانتهم، ويبلغوا رسالتهم.

فقـال شمس بدران: إننا لانفـهم هذا الكلام ولايستهـوينا هذا الأسلوب يا مجنونة! أمازلت تعـتقدين فى وجود إله؟! أنتم مـهزومون من سنة ١٩٤٨ إلى الآن - انهزمتم لما قاومتم فاروق، وانهزمتم عندما قاومتم الثورة فى سنة ١٩٥٤ وانهزمتم عندما قاومتم الثورة فى سنة ١٩٦٥. فأين ربكم الذى تزعمون؟!!

فقلت: إننا انتصرنا فى سنة ١٩٤٨، وانتصرنا فى سنة ١٩٥٤ وانتصرنا فى سنة ١٩٦٥.

فقال: إننا نعلقك كالدجاجة.. نرميك فى النار.. نقذف بك إلى الكلاب، لماذا لم يمنعنا ربكم عنكم، إن كان موجوداً يا مهزومين يا أولاد الـ..؟!

وقلت: أما كونكم منتـصرين علينا بهذا الجلد، وبتلك الألوان من العـذاب فهذا أمر تتوهمونه، أنتم تخافون منا!!.

فقال غاضباً: اسكتى! أنتم مجرمون.

فقلت: كلا.. لسنا مجرمين، نحن حملة رسالة، وأمناء أمة، ودعاة حق، وعلامات على طريق النور.

فقال: أريد أن تشرحى لى كيف أنكم منتصرين علينا!

فقلت: نحن منتصرون عليكم، طالما نحن أغنيـاء بالله، أقوياء به سبحانه، متوكلون عليـه، مكافحون، مقـاتلون مجاهدون فى سبيـله. ولكن أمراً واحداً يثبت أننا منهزمـون، لو تخلينا عن اعتقادنا بوجوب الجهـاد لرفع راية التوحيد وإعلاء كلمة الإسلام.. إن الإسلام فى حقيـقته: دين ودولة، سياسة داخلية، سيـاسة خارجيـة، نظام أمة، نظام مجـتمع، سلامٌ يملأ الدنيا عـدلاً، وحرب تُخلّص العباد من عـبادة الفرد إلى عبادة الله الواحد القـهار، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.. إن العبـد الذى أسلم وجهه لله تعالى بصدق ويقين أصبح

متصلا بالله سبحانه رب كل شيء، فكيف يخاف خلقه من اتصلت روحه بعالم السماء وتعلق قلبه بالفردوس فهانت عليه الدنيا؟! أما أنتم أيها الضالون المكذبون ماذا تستطيعون؟ تمزقون أجسادنا، تقتلوننا، ترهبوننا، تمنعون عنا الماء والطعام.. السياط فى أيديكم، وسائل التعذيب رهن إشارتكم، كل ذلك فى ضمائرنا شيء هين، تفرقون منا خوفاً.. لماذا؟ لأننا حزب الله وأنتم حزب الشيطان ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠، ٢١].

أثارت لغة الإيمان وأثار منطق التوحيد، جاهلية شمس بدران وحيوانيته، فصرخ كالملدوغ: صفوت.. صفوت!! علقها واجلدها خمسمائة جلدة!! وجُلدت.. وأنزلت، وسئلت نفس الأسئلة، وأصررت على ما أجبت به.. فيعود شمس بدران إلى صراخه: علقها يا صفوت واجلدها مائتين وخمسين جلدة!! وعُلقت، وجُلدت.. وأفقت من غيبوبتى لأجدنى فى المستشفى محاطة بعدد من الأطباء يقومون بإسعافى وتضميد جروحى!!

مكثت فى المستشفى عدة أيام تحت العلاج، ثم حملونى إلى مكتب شمس بدران على نقالة!!..

رفعونى على كرسى أمام مكتب شمس بدران، وقال: يا بنت الـ.. لن ينفعك العناد.. انزلى عن عنادك حتى يمكن أن ننتهى من التحقيق معك ونرسلك للنيابة.

نظرت إليه بكل ما تبقى بى من رمق، قائلة فى استنكار: نيابة؟!! وأنت من؟

قال: إننا نجهزك للنيابة!!

فقلت: ماذا تريد منى؟

قال مهدداً: اعتدلى فى إجابتك.. فلم يعد بك قوة للجلد.. وصفوت كما تعلمين على أتم استعداد..!!

قلت: الله الفعال والمعين.

قال: محمد قطب، وشباب الإخوان كانوا يجتمعون فى بيتك. لماذا؟

قلت: اعتاد الأستاذ محمد قطب وشقيقتاه- أمينة وحميدة- زيارتى..

فقاطعنى شمس بدران- وقد كست ألفاظه ما تعودته من بذاءات وفحش-: أنا أقول، محمد قطب، وشباب الإخوان، أولاد الـ.. كانوا يجتمعون عندك، لماذا؟

أجبت على بذاءته: الشباب الفاضل، المسلم العامل، اعتاد بعضه أن يزورنى، وقد يلتقون بالأستاذ محمد قطب صدفة.

فيصرخ: يا بنت الـ..أنا أقول، كان الشباب يطلبون منك أن تهيئ لهم الاجتماع بمحمد قطب، فكان يحضر عندك للغداء هو وهؤلاء الشباب. وبعد الغداء يتم اللقاء وينعقد الاجتماع.. لماذا؟

فأرد بكل ثبات وطمأنينة: لما أصدر الأستاذ محمد قطب كتابيه «جاهلية القرن العشرين» و«التطور والثبات» طلب بعض أبنائى، وإخوانى من شباب الدعوة أن يجتمعوا بالأستاذ محمد قطب ليسألوه عن بعض الأشياء فى الكتابين استغلقت على فهمهم، واستجاب الأستاذ لدعوتهم عدة مرات.

ثم يسأل: ولماذا كان يحضر عبد الفتاح عبده إسماعيل هذه الاجتماعات؟

فأرد: لأنه من خيرة شباب الإخوان المسلمين، ومن صفوة رجالها.

فيجيب فى سخريـة جاهلة: والله عال، من الصفوة يابنت الـ. . ثم يزيد: فى أى اجتـماع من هذه الاجتـماعات اتفق هو ومحـمد قطب على قتل عـبد الناصر؟

قلت: قصة قتل عبد الناصر هذه أنتم اخترعتموها.

قال شمس بدران: لماذا لم تشتغلى بالمحاماة وتكفينا قرفك هذا!

فقلت: الحمد لله الذى أقامنى فى خير مـا يقيم فيه عباده. . داعية إلى الله وسأظل بفـضله إن شاء الله. . فقام مـسرعا يركلنى وهو يقـول: نهايتك على إيدى اليوم. . يا بنت الـ . . ! ثم سـأل بعد فترة: إيه التنظيم الذى أقمـتيه مع محمد قطب؟ اتفقتم على قتل جمال عبد الناصر. . عبد الفتاح عبده إسماعيل أو الولد الفيومى؟

فقلت: الفيومى قتلوه خلاص.

فضحك ضحكاً عالياً وقال: ما أنت عارفه كويس! يا صفوت. . يا صفوت وديها للفيومى! . .

فأخذ صفوت يصب علىّ نار سوطه المجنون!! . . فأسقط فى إغماءة وأنقل إلى المستشفى لمعاودة إعدادى وتجهيزى لسماع مهاترات شمس بدران وعصابته، ولمزيد من التعذيب والتنكيل وإهدار الإنسانية على مذبح شهوة السلطان! .

إصرار شمس بدران على وهمه

مرة أخرى نقلونى إلى مكتب شمس بدران!! . . لقد عاد إلىّ الوعى بعد أن فقدته تحت سياط الزبانية. . فلا بأس من العودة إلى مكتب التعذيب. . مكتب شمس بدران!! . . نعم. حملونى على نقالة إلى مكتب شمس بدران!!

كان شـمس بين عصبة مـن أعوانه، وبادرنى عندما أجلسـونى على كرسى

أمام مكتبه: يا بنت الـ . . لم يعد بك أدنى احـتمال لأدنى قدر من التعذيب، فارحمى نفسك، وإلاّ قسماً برأس عبد الناصر أدفنك مع الفيومى وغيره.

وأضاف واحـد من الأذناب: اسمعى يا زيـنب، ردى على سعادة البـاشا، وفكرى فى مصلحتك، لننتهى معك إلى حل . .

واسترسل شـمس بدران: تذكرى جيدا، جاء إلـيك شخص من طرف فؤاد سراج الدين، وطلب منك أن تتـفقى مع الإخوان المسلمين ليتـعاونوا مع الوفد لإزالة حكم عبـد الناصر، وقال لك هذا الشـخص بأن هناك رجالاً فى مكتب المشير عامر سيتعاونون معكم ومع الوفد.

فـقلت- وأنا أضـغط على الكلمـات من فـرط دهشـتى على قـدرة هؤلاء الشياطين على التلفيق والتـزوير-: هذا محض كذب، إن فؤاد سراج الدين لم يرسل إلى أحـداً فى مثل هذا الأمـر ولا فى غيـره. ولم ألتق بفؤاد باشـا من حوالى اثنتى عشـرة سنة. . ولكى أكون دقيقة فى شهـادتى، فإن زوجى الحاج محـمد سالم سالم كـان فى مزاد، والتقى-مصـادفة- بمعالى فؤاد باشـا سراج الدين، فسأل زوجى عن صحتى وأحوالى، وكلفه أن يبلغنى سلامه وتمنياته.

وهوت السيـاط الملعونة، كـأنها ألسنة لأفـاعى جائعة تصب زعـافهـا أينما حطت، أو كـألسنة اللهب تشـوى ما يصـادفـها. . وكـانت قدمـاى لا تزالان ملفوفتين بالضمادات، وجروحى لم تلتئم.

ويتساءل الزبانية وسياطهم تتـصارع على قدمى وجسدى: فؤاد سراج الدين أرسل إليك أم لا؟

وأرد: لم يرسل إلىّ!

فيأمرشمس بدران بزيادة وطأة التعذيب، فيغمى علىّ، ويوقف الجلد وأنقل على نقالة إلى المستشفى!! .. ثم تبدأ الدائرة من جديد، وأعود إلى مكتب شمس بدران مرة ثالثة..!! ويقول شمس بدران، وقد أخذته العزة بالإثم: افهمى أنه لايقف أمامنا أى شيء.. إننا ندفن منكم كل يوم عشرين كلباً، وصحراء السجن الحربى بطنها مستعدة لبلع مئات الألوف.. وقسماً برأس عبد الناصر إن لم تسلكى كما نريد، لأدفنك مثل الكلاب التى أدفنها كل يوم.

ولم أنظر إليه، ولم يبد علىّ أى أثر أو تأثير من سفاهته وجاهليته، فاستشاط غضباً وقال: ردى علىّ وإلا قتلتك وجعلت نهايتك تحت السياط.

فقلت: لا إله إلا الله الفعال، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين.

فقال شمس بدران: هات الكلاب يا صفوت؟!!

ويحضر صفوت كلبين من الكلاب المدربة، ويطلقهما علىّ، فيهجمان علىّ كما يهجم الوحش الجائع على فريسته..!!

وأستعيذ من أذى الوحشين بقولى: اللهم إنى أعوذ برضاك من غضبك، اللهم فادفع السوء عنى بما شئت وكيف شئت.

فقال حمزة البسيونى: يا باشا وجهها أصفر وأشرفت على الموت.

وقال شمس بدران فى غطرسة: أخرج الكلاب يا صفوت، وخذوها.. ارموها تموت فى المستشفى.

وعدت إلى المستشفى على نقالة!!

وفى منتصف الليل.. فى جنح الظلام، ومرة رابعة إلى مكتب شمس بدران!! إنها الحقيقة.. الحقيقة المرة المؤلمة التى تجرّع كأسها فريق من المواطنين

إشباعـاً لشهوة الانتقـام، وتخطيطا لهدم الدين الإسلامى بإبادة دعـاته، وحتى تنطوى، فى زعمهم، مظلة لا إله إلا الله.. محـمد رسول الله، وتنتشر مظلة الكفر وليعم تيار الإلحاد.

وما كـادوا ينزلوننى من النقـالة إلى مقعـد فى مكتب شمـس بدران، حتى أغمى علىّ فأحضـروا عصير ليمون وأسقـونى إياه، وحقنونى فى ذراعى فارتد إلىّ الوعى..!

وقال شمس بدران: يا بنت اتعدلى، يا زينب أنـت صعبانة علينا، إننا لسنا وحوشا كمـا تقولين.. والرئيس جمال عبد الـناصر قلبه كبير وسـيغفر لك إذا قلت الحقيـقة.. اعملى لمصلحتك فـقط.. قولى الحقيقـة يا زينب.. فقلت: الحقيقة.. قولوا لعبد الناصر إنكم المغتصبون المعتدون علي سلطان الله.. توبوا إليه وارجعوا.. اخـرجوا من باطلكم إلى الحق، من ظلمكم إلى العدل، ومن ظلامكم إلى النور..

إن الذين يؤيدونكم فـى باطلكم وتسـتعـملونهم مـخـالب باطل وعـدوان وجريمة، قلوبهم مريضة، وأنتم مرضى.

وتساءلوا فى دهشة مشوبة بثورة أو فى ثورة مشوبة بدهشة:

هىّ دى الرسالة اللى عايزانا ننقلها لعبد الناصر؟!!

فقلت بإصرار وبغيظ: إننى لم أقلها إلا لتنقلوها إليه!!

وكان الجواب عـلى «تطاولى» هذا إلهاب جسدى بالسـوط.. ثم يردد عدد منهم فى استنكار وارتعاد: دى بكل تأكيد مجنونة.. مجنونة.. مجنونة.. فى حاجة إلى علاج بالجلسات الكهربائية!..

وما إن ينتهي المرتعـدون الذين قلوبهم هواء من استنكارهم (لتطاولي) على سيدهم، حتى يعلو صوت المسخ المسمى شمس بدران: الكلاب اللى مجوعينها من إمبارح.. فين يا حمزة؟!

ويردف حسن خليل بصـوت تمثيلي: يا زينب حرام عليك، إنت قـريبة من الموت .. أنقـذى نفسك، مـحـدش من الإخوان راح ينفـعك، كلهم عـملوا لمصلحتهم وأنقـذوا أنفسهم.. أرجو أن يسـمح الباشا بإحضار على عـشماوى ليذكرها بالشخص الذى جاء إليها من طرف فؤاد سراج الدين.

وقال شمس بدران: تذكرى يا بنت الـ.. وإلا واجهناك بعلى عشماوى..

فقلت: على عـشماوى باع نفسـه لطواغيت الباطل والجـريمة بثمن بخس، فخـسرالدنيـا والآخرة.. وقصـة سراج الدين قـصة مدبرة المراد بـها أن تذلوا الرجال.. رجالاً ذوى قلوب، وضمائر، ورؤوس مرفوعة..

ودخل حجرة التحقيق ضابط يدعى سعيد عبد الكريم اشترك معهم ثم قال: يا زينب، سأفكرك بشيء قـد يساعدك فى موضوع سـراج الدين.. ألا تعرفين الحسينى عبد الغفار، كان فى الإخوان المسلمين ثم انشق عنهم مع شباب سيدنا محمد، وتفـاهمت أنت معه عدة مرات ليعود إلـى صفوف الإخوان المسلمين، لأنك حريصة على أن يبذل جهده داخل صفوف الجماعة؟

فقلت: حـسبنا الله ونعم الوكيل، الحـسينى عبد الغـفار هو أخى فى الله، وكان فى الإخوان المسلمين كـما كان فى شبـاب سيدنا محمـد، وتكلمت معه فعلاً ليـعود إلى صفوف الإخوان المسلمين، ولكنـه اعتذر عن ذلك، وليس له علاقة بسراج الدين ولا بالوفد.. وكان رئيس شباب الأحرار الدستوريين يوما، وذلك يجعله مناوئا للوفد لا متفقا معه.

فقال حسن خليل: هذا صحيح، لكن عندما تكون المسألة اتفاق الدستوريين والسعديين والوفديين والإخوان المسلمين تكون المسألة فى طريقها الطبيعى!!

فقلت: ليس هذا حقاً، وهناك مسافة بين الإخوان وغيرهم الذين لم يدرسوا النظرية الإسلامية بتكتيكها الإلهى، وأيدلوجيتها الربانية. وأشار شمس ونزلت علىّ السياط، وقال عبد الكريم: نرجوك يا باشا.. خليها تكمل.. قال عبد الكريم: كملى يا زينب. قلت:

أما الإخوان المسلمون فيأخذون الإسلام عقيدة يبحثون فى منابعها ويدققون فى مصادرها، تلقوها من الله تعالى على يد رسوله ﷺ.. بمعايشتهم للكتاب والسنة، والأرض عند الإخوان لها وزنها وقدرها ما دامت أرضا للإسلام، فى سبيلها يُستشهدون، وعن حياضها يذودون، يحررون الأرض لله كما يحررون البشر لله، يعبدون الأرض لله كما يعبدون البشر لله.

وعلى الأرض المعبدة لله وبالبشر المعبد لله تكون الأمة ويكون المجتمع المسلم.

لم يحرر محمد ﷺ عند بعثته الأرض ثم يدعو الناس إلى التوحيد، ولم يدع ولم يناد بالإصلاح الاجتماعى ثم يدعو الناس إلى التوحيد، ولم يدع إلى تقسيم المال بالسوية ثم يدعو الناس للتوحيد، لم يدع لإصلاح جزئى، ولكن محمداً ﷺ، دعا إلى التوحيد فأسلم رجال وآمنوا بأنه لا معبود إلا الله ولا حاكم إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا ضار ولا نافع إلا الله، وهو المحيى والمميت، ولا مدبر ولا مشرع إلا الله ثم كانت الهجرة إلى المدينة بالسابقين الأولين من المؤمنين.

ثم كانت بدر الأولى نداء لقيام الأمة، وتوالى نزول القرآن على محمد ﷺ

بالتشريعات وبالحدود، وبالحلال والحرام، وقامت الأمة فعلا، وملأت الأرض عدلاً ونوراً وحقاً. .

قال شمس: بعد الدوشة دى هاتحكى حكاية سراج الدين! قلت: أمر لفقتموه. . إن الذين قالوا ذلك مأجورون مزورون، ليس عندى ما أحكيه عن فؤاد سراج الدين إلا أنه كان رجلا وطنيا يخدم بلاده وأعتقد أنه الآن معتزل أى نشاط. .

قال شمس: هات الكلاب يا صفوت!!

قفزت علىّ الكلاب والوحوش البشرية تشبعنى ضرباً ونهشاً والدماء تسيل هنا وهناك. . سارع الطبيب الواقف معهم بوقف جلدى ولكن هيهات. . هيهات. . انطلق أذان الفجر ينير سكون الليل فأحسست ببرد وسلام مع هذه السياط التى لا تلين ولا تكف فتذكرت أمر الله: ﴿**يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الأنبياء: ٦٩].

تباركت يارب وتعاليت، فأنا حفيدة إبراهيم أول الموحدين وجد النبى ﷺ، أن رحمتنى من أبالسة يسؤوهم أن أقول: ربى الله لا أشرك به أحداً. . ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون: ١، ٢].

أفقت لأجدنى فى المستشفى ولا أدرى للمرة الكم، وإن كنت واعية تمامًا لما ينتظرنى.

تسلط الأقزام وتحكم الهوى

عندما تصير الأمور إلى الأقزام. . عندما يكون الحل فى أيدى الجهلة الغافلين، تنقلب السلطة تسلطاً، ويكون الرأى وبالاً، والحكم غبناً. لأنه يصدر عن هوى، ويشبع ميلاً، ويقيم زيفاً. .!!

وهكذا، كانت الأقزام متسلحة بالسلطة تتسلط على الرجال، فتحطم «الكرامة»، وتمزق الكبرياء، وتذل الإباء والشمم، فى أيام كان القانون فيها فى سبات عميق.. والإنسانية فى إجازة طويلة.. والرحمة رحلت عن ديارنا..!!

وسألنى شمس، وسألنى أعوانه، عندما حملونى إلى مكتبه: قولى يابنت يا زينب، ما رأى الحسينى عبد الغفار فى الكلام الذى بلغك من فؤاد سراج الدين. ومن الذين كانوا سيتعاونون مع فؤاد سراج الدين من مكتب المشير عامر؟ وماذا طلب من الإخوان للقيام بالانقلاب؟.

فأجبت: الحسينى عبد الغفار أخى فى الله، ولا أعلم شيئاً عما أسمع من إفك وكذب.

فتساءل حسن خليل وسعد عبد الكريم: اسمعى يا زينب، ألم يقابل الحسينى عبد الفتاح إسماعيل فى بيتك؟. ألم تكلمى الحسينى لينتظم فى صفوف الإخوان المسلمين؟.

قلت: أنا تكلمت مع الحسينى ليعود إلى صفوف دعوته وليس هذا جريمة، الحسينى رجل مؤمن بدعوة الإخوان، وإن لم يكن منتظماً فيها، فإنه يتمنى أن تتحقق مقاصدها، وأن تهتدى الناس إلى مقاصد الكتاب وغاياته، وإلى مراد السنة وأهدافها، وقد تقابل الحسينى مع عبد الفتاح إسماعيل فى بيتى وأخذا يتحدثان عن الإسلام وما أصاب المسلمين من انحطاط وتأخر، ثم انصرف الحسينى عبد الغفار، وقد تقابل الحسينى مع عبد الفتاح إسماعيل فى بيتى مصادفة ثم قال لى عبد الفتاح عبده إسماعيل: الحسينى رجل صالح وطيب وعالم مخلص. وله مع الصوفية استغراقات وتجولات.

فقال أحدهم: الحسينى قال كل شيء. لكن أنت تريدين أن تكون الفداء لكل الإخوان المسلمين، وحتى الحسينى وفؤاد سراج الدين، وتبعديهم عن

المسئولية. . إننا نمنحك فرصة أخيرة لتراجعى فيها نفسك بخصوص رجال الوفد، وبعض رجال مكتب المشير عامر. . ما رأيك فى هذه الفرصة؟ وسنواجهك بالحسينى وفؤاد سراج الدين ولكن بعد أن نخرج عينيك وتصيرين عمياء.

فقلت: الحمد لله نرى بقلوبنا ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦].

وصرخ شمس بدران كمن لدغته أفعى: «هات الكلاب يا صفوت»!!

فتدخل أحد الأعوان يهدئه: لا عليك يا باشا. إنها لاتدرى أين مصلحتها ولا تقدر النهاية!!

فقلت: النهاية بيد الله وليست بأيديكم، والله الفعال ذو القوة المتين.

وقال آخر من شلة الضباط المحيطين بشمس بدران: يأمر الباشا بإحضار الحسينى عبد الغفار. ثم نادوا صفوت لإحضاره، وقال شمس بدران فى كبرياء الجاهلية: خذوها إلى المستشفى الآن!!

إنهم كالخفافيش يعشقون الظلام، ولا ينشطون إلا فيه. . ففى الليل حملونى وأجلسونى على مقعد فى مكتب شمس بدران، وبعد لحظات دخل الحسينى عبد الغفار. . كانت ذراعه مكسورة ملفوفة فى جبيرة ومعلقة إلى صدره. . وكانت قدماه فى ضمادات سميكة. . وكانت آثار التعذيب الوحشى -بل الجاهلى - بارزة على كل جزء من جسده.

وقال الحسينى عبد الغفار عندما دخل: السلام عليكم.

قلت: وعليكم السلام.

ونظر إليه شمس بدران فى سخرية وسأل فى تهكم: يا حسينى، ما هى قصتك مع زينب؟

وقال الحسينى: الورق مكتوب فيه كل شىء.

فأخرج شمس بدران أوراقاً وأعطاها للحسينى وأمره بقراءتها.

لم أكن مشغولة بالأوراق التى بين يدى الحسينى، بل كنت أفكر كيف أجيب على هذا الشيطان بما يخفف عن الحسينى أو يرفع عنه العذاب، ويقينى أن الحسينى عُذّب حتى يكتب ما يريدون. وأخذ الحسينى يقرأ فى الأوراق التى أعطاها له شمس بدران.. أشياء كثيرة لم أحس يوماً أن الحسينى يعتقدها أو يدعو لها أو يتكلم بها. كل ما قرأه لم يكن صحيحا ولا واقعاً وإنما خيال مريض.. سألنى شمس: ما رأيك! قلت: إنه الإكراه للإخوان والبطش والعذاب حتى يقولوا ما تريدون!

فقال شمس: وهل ما سمعته كذب؟

أجبت: الحسينى لايكذب. ولكنى على يقين أنه قد عُذّب حتى.. فصرخ شمس مقاطعاً غاضباً. ماذا تقصدين؟ الكلام الذى قرأه الحسينى ألم يقله لك؟!

وقال حسن خليل: إننا نريدك أن تقولى هل ما سمعته من الحسينى حصل أم لا؟

وقال آخر: هل ستحرقين نفسك بالنار من أجل الحسينى كما حرقتها من أجل الإخوان؟

فأجبت: أنا لا أحرق نفسى ولكن أحييها.

قـال شمس بدران: أنت يا حسـينى بلغت زينب رسـالة من فؤاد سـراج الدين!

فقلت وأنا أوجه الكلام إلى الحسينى: أنت يا حسينى بلغتنى رسالة من فؤاد باشا سراج الدين؟

فقال الحسينى: فؤاد سراج الدين الصغير وليس معالى الباشا؟

فقلت: أنا لا أعرف إلا فـؤاد باشا سراج الدين.. من هو فؤاد الصـغير يا حسينى؟!

فقال الحسينى: ابن عم فؤاد باشا.

فقلت للحسينى: وما تلك المسألة يا حسينى؟

فقال: أنا قلت إن المسألة كانت عـبارة عن نكتة رواها لى على سليمان وأنا ذكرت هذه النكتة أمام الحاجة زينب!!

فقال شمس بدران للحسينى: اخرج يا حسينى.

فـقلت لشمس بدران: حـسبنا الله ونعم الـوكيل!.. النكتـة صنعتم منهـا مؤامرة!..

وفؤاد باشا سراج الدين لم يسلم منكم يا ظلمة.

ثم نادى شمس على صفوت وعادت السياط لتنهال من جديد.

ثم قال شمس: خذها يا حمزة للمستشفى.

عذاب..!! وفى المستشفى

فى اليوم التـالى دخل زنزانتى فى المستـشفى حـمزة البسـيونى ومـعه رجل يرتدى الملابس العسكرية برتبة لواء ومعهما التمورجى عبد المعبود. وقال حمزة البسيونى لعبد المعبود: اذهب وأحضر كرسياً ومنضدة صغيرة، وفى لحظات عاد عبد المعبود بالكرسى والمنضدة.

وضع حمزة البسـيونى ورقاً أبيض على المنضدة وقال لعـبد المعبود: اجلس إلى هذه المنضدة واكتب كل ما ستمليه عليك.

وجاء صفوت الروبى يحـمل ملفات متضخمـة. أخرج حمزة من كل ملف ورقة وقـال لى: كل هذا الكلام تدونيه فى أوراقك، هو من كـلام الهضـيبى، وسيد قطب، وعبـد الفتاح إسماعيل، وهواش، وأحمد عـبد المجيد، ومرسى مصطفى مرسى، وصبرى عرفة، وفـاروق المنشاوى، وعبد العزيز على، فقلت لهم: سأكـتب ما أعـرفه، ليس لى عـلاقة بهذا الكـلام.. إننى لا أصدق ولا أعتقد أنها للإخوان الذين تدعون أنها لهم..

قال حمزة البسيونى: ردى كـما ينبغى، سنرسلك إلى مكتب شمس باشا، وتذوقين العذاب ألواناً كما تعرفين.

وما أمليت على عبد المعبود إلا ما يرضى الله ربنا هو ولينا ونعم النصير.

وفى صباح اليـوم التالى أخذونى إلى مكتب شمس بـدران ووضعونى على مقعـد، أخذ شمس بدران أوراقا وأخـذ يمزقها ويرمى بها فى سلـة المهملات، وقال فى أسلوب يترفع أى مخلوق فى أدنى درجات الإنسانية ويتمتع بأقل قسط من الأخـلاق أن يـنحـدر إليـه: أنت يـا بنت الـ .. تريدين أن تهـدمى كل التحقـيقات وتبطلى كل أقـوال الإخوان؟ الكلام الذى قاله الإخوان مـضبوط.

إجابـات الإخوان أنت ملزمـة بتأييـدها فى أقوالك. أنت ملزمـة بكل ما قـاله الإخوان.

فقلـت: أنا ملزمة بالحق الذى أعـتقده، إنـنى لست ملزمة أن أقـول إلا ما أعتقده. وغير ملزمة بأن أصدق أن هذه الإجابات من أقوال إخوانى. واجهونى بهم جميعا، إن سياطكم وتعذيبكم قد انتزعتها منهم.. انتزاعاً.

فـصرخ شـمس بدران: خـذها يا حـمزة،أنـا أريدها جثـة أوقع تصـريح دفنها!..

أخذونى إلى حجرة وأغلقوها علىّ، وبعد ساعة أخرجونى منها، وأوقفونى تحت سيـاط الكرابيج ووجهى إلى الحـائط أمام جهـاز تكييف. وظللت واقـفة مايقرب من الست ساعات وكأننى كنت واقفة على مسـامير محماة. فقد كانت آلام حادة تفرى قاع قدمى من نوبات الجلد المستمرة.

وفى منتـصف الليل - ودائمـا الليل - أعـادونى إلى مكتب شـمس بدران الذى قال لى: يا زينب. اسْـلكى معنا.. الرئيس جمـال عبد الناصـر سيغـفر لك.. وأكثر الإخوان اعترفوا.. إن سلكت ستقابلين جمال عبد الناصر صباح غد، وتعودين إلى بيـتك فوراً، وبعدها سيلغى قرار حل المركز العـام للسيدات المسلمات، وسيتقرر إعطاؤك خمسين ألف جنيه كإعانة للجماعة، وكدفعة أولى لبناء أرض الجماعة فى مصر الجديدة، وعشرة آلاف جنيه لإعادة صدور المجلة.

وسأل رجل من الجالسين بالمكتب: هل جماعة السيدات المسلمات لها أرض فى مصر الجديدة يا زينب؟

فأجبت: نعم، عندها ستة آلاف متر.

فقال نفس الرجل - والذى عرفت أنه صلاح نصر فيما بعد - وماذا كانت ستفعل الجمعية بهذه المساحة الكبيرة من الأرض؟

فقلت: كانت الجمعية ستبنى داراً لتربية الفتاة المسلمة، ودار ضيافة للمسلمات وقاعة محاضرات، وداراً للمركز العام، ومسجداً، وجمعية لتحفيظ القرآن الكريم، ومدرسة إعدادية وأخرى ابتدائية ومعهدا للواعظات.

فتساءل: ومن أين لكم بالأموال؟

فأجبت: من التبرعات - والعمل على مراحل.

فقال: إذن، إنها فرصة جميلة يمنحها لك الرئيس جمال.. تعودين إلى بيتك وتعود الجماعة.. وثقة الرئيس نتائجها كبيرة!!

فقلت: ثقتنا فى الله أكبر.. الله أكبر فى نفوسنا من الأرض، ومن المال، ومن كل طواغيت الأرض المعتدين على حق الله وحق عباده، أنا لا أريد أى شىء منكم، ولن أقبل أبداً أن أقابل عبد الناصر ولا أصافح اليد التى غمست فى دم إسماعيل الفيومى ورفعت بكر ومحمد عواد وغيرهم كثير وعبد القادر عودة وزملائه، لن أصافح اليد التىْ غمست فى هذا الدم المبارك، إن هذا الدم سيقود على مدى السنين أجيال المسلمين الذين سيعودون إلى ماضيهم الزاهر المجيد. إلى مقعد المسئولية فى هذا العالم.. وتنهال اللكمات والركلات والضربات فأقع هامدة على الأرض، ويقول شمس بدران: ياحمزة خذها إلى رقم ٣٤.

وأدخلت رقم ٣٤!! .. زنزانة ضيقة مظلمة كالقبر الموحش..!!

وأدخلوا معى كلبين، وأغلقوا الزنزانة.

تيممت وأخذت أصلى، وأنا لا أدرى أين القبلة.. وأنتهى من صلاة وأدخل فى أخرى، انشغالاً بالله لعله يصرف عنى ما أرادوه. وتسلق الكلبان ظهرى فى ركوعى وسجودى، وأخذا يخمشان رأسى، ووجهى.. وأنا أصلى وأستغرق وأسبح فى عالم الدعوات والتضرعات.

وبعد ساعة فتحت الزنزانة وسحبوا الكلبين وحملونى إلى المستشفى.

بعد العشاء أعادونى إلى مكتب شمس بدران.

قال شمس بدران: يا زينب، انعقد فى بيتك اجتماع كان يضم أكثر من خمسين رجلاً من الإخوان المسلمين من جميع أنحاء الجمهورية - هذا الاجتماع كان منذ ثلاث سنوات. ماذا جرى فى هذا الاجتماع؟

فقلت: صلينا المغرب جماعة، وصلينا العشاء، ثم التراويح.

فقال: أنا أسألك، ما الغرض من هذا الاجتماع؟

فقلت: لا أتذكر.

سأل: تناولوا الإفطار عندك!

فقلت: عدد منهم.

فسأل: ولماذا كان الاجتماع؟

فقلت: كنا ندرس الإسلام، وكيف نُقَاوم تيارات الإلحاد التى تغذيها وتنفخ فيها أجهزة الجاهلية وإعلامها.

قال: ولماذا عندك بالذات؟

أجبت: لأننى من المسلمين إن شاء الله.

سأل: وأى جاهلية، وأى إسلام، وأى إلحاد؟!

فقلت: لو قمت بجولة فى البلد لرأيت على أرصفة الشوارع أكوام الجرائد، ومجلات الإلحـاد ونشرات الانحلال التى توزع بأثمـان رمزية لنشر الشيـوعية، والإلحاد والانحلال والتسيب فى كل شيء.

فقـاطعنى في شبه صـراخ: كفى، كفى.. دا كـلام فارغ، ما هى أسـماء المجتمعين عندك؟

فقلت: لا أتذكر أسماءهم.

سأل: أحد المجتمعين ترك الاجتماع وقابل الهضيبى ثم رجع مرة أخرى بعد اتصالك تليفونيا بمنزل الهضيبى، من هذا الرجل؟

فقلت: لا أتذكـر. وكل ما يعلق بذاكرتى فى هذا الخصـوص أنه سألنى أن أستأذن الهضيبى لمقابلته.. فماذا فى هذا؟

سأل: كنتم مـجتمعين لماذا؟ أنا أسـهل لك الإجابة! الرجل الذى ذهب إلى الهضيبى اسمه عبد الفتاح الشريف أليس كذلك؟

ثم أردف: سأعلقك إن لم تجيبنى ثم أكمل..

اتفقتم على قلب نظام الحكم وقتل جمال عبد الناصر.

فقلت: اتفقنا على محاربة الجاهلية، والتسيب والانحلال والإلحاد. والعمل على نشر تعاليم القرآن وإقناع المسلمين بوجوب حكم القرآن والسنة.

فسأل مستنكرا: وماذا يعمل الأزهر؟ انطقى ما هى وظيفة الأزهر؟

علقها يا صفوت واجلدها.

وأنا تحت السيـاط أقول يا الله، يا الله، وأخذت أكـرر الاسم الأعظم حتى أغمى علىّ.

الباب الخامس

وسمع فرعون

أفقت . . يا إلهى . . إننى ما زلت على الأرض أمامهم جثة هامدة . . إنهم أسعفونى . . وبصعوبة شديدة حاولت النظر فى الحاضرين . . فإذا بجمال عبد الناصر يتكئ على كتف عبد الحكيم عامر ويمسك فى يده نظارة سوداء .

عندما رأيت جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، نسيت ألمى، ودبت فى جسدى يقظة غريبة، وانتابنى نشاط غريب!!

أعطونى كوباً من عصير الليمون فشربته، رفعونى من فوق الأرض على مقعد، ثم أحضروا لى فنجان قهوة فلم أتردد فى تناوله .

كان إحساسى بأن هناك شيئاً خطيراً سيحدث، فكل ما يدور حولى يقوى عندى هذا الإحساس .

وقال شمس بدران وهو ينفخ : يا بنت يا زينب، أريد أن تجيبى على كل سؤال أوجهه إليك بصراحة وإلا . . !!

افترضى يازينب أن الإخوان المسلمين هم الذين يحكمون البلد، وأننا نقف أمامكم تحاكموننا، فماذا كنتم تفعلون بنا؟

فأجبت فى قوة وشجاعة : نحن لا نسكن فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم

ولا نلوث أيدينا بما لوث به الظالمون أيديهم، نحن لانـغمس أيدينا فى الدم. . نحن لا نجلس فى مقاعد طواغيت الأرض.

فقال: اخرسى! أنا باسألك، إن كنت جالسة على هذا الكرسى مكانى ماذا كنت تفعلين معى؟

فقلت: نحن طلاب حـقيقة، ورواد طريق، ليس فى حـسابنا أن نصل إلى الحكم، إننا حملة لواء «لا إله إلا الله» نفتديه بالأموال والأرواح.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

فقال شمس بدران: اخرسى يا بنت الـ. . . أنا أكرر لك السؤال.

ماذا كنتم تفعلون لو وصلتم إلى الحكم؟

فقلت: إننا لسنا طلاب حكم!. . ولا يـعنينا أن نكون فى قمة المسئـولية أو عند السفح حراساً للطريق المؤدى إلى الرجل الذى حمل الأمانة وبايعته الأمة، عبداً لله حاكماً بما أنزل الله ولتكن هذه الدار دار البعث . . البعث الإسلامى.

فصرخ شمس بدران متشنجاً: اخرسى. . اخرسى. . اخرسى؟!

أريد إجابة واحـدة: افترضى أنك جلست على الكـرسى الذى أجلس عليه الآن ماذا تفعلين معى وأنا متهم أمامك. . ؟

فقلت: ربما تنـتهى أجيـال وأجيال حـتى يحكم الإسلام، نحن لا نتـعجل الخطى، ويوم يحكم الإسلام ستكون مـواقع المرأة المسلمة فى مملكتها الطبيـعية لتربى رجال الأمة.

فقـال شمس بدران كـتائه يضـرب فى الصحراء فى يوم عـاصف: يا بنت الـ. . . أنا أقول افترضى جدلاً أنك جالسة مكانى ماذا تفعلين معى؟

فقلت: الإسلام عـدل ونور ورحمة، فلا سيـاط ولا قتل، ولا تعذيب ولا سجون، ولا نفى، ولا دفن للأحياء، ولا تمزيق لأجـساد الشهداء: رفعت بكر ومحـمد عواد وإسـماعيل الفـيومى.. لا تشريد أطفـال، ولا ترمل نساء، لا فراعنة ولا وثنيـة.. ولكن الحق والعدل.. الكلمـة تواجهـها الكلمة والحـجة تواجهها الحجة..

صرخ شمس كالصريع: اخرسى.. اخرسى.. علقها يا صفوت اجلدها.

وعلقنى صفوت، وعلى لفائف الشاس، أخذت السياط المجنونة تهوى على كل جـزء فى جسـمى، والدم ينزف.. ولا أدرى.. فـقد رأى الطبـيب إنزالى وقال: إن حالتها خطيرة.. إنها تموت يا معالى الباشا!!

قال شمس: فى ستين داهية.

قال أحد الضباط: إننا نريد أن تكون حية حتى تقف أمام المحكمة!!

فقال شمس بدران: نعم، نعم نريدها تعيش لتذهب إلى المحكمة!! ويتفرج عليها الشعب وتكون عبرة.

وقال الطبيب: إننا فى حاجة إلى أدوية وعقاقير غير موجودة!!

فقال شمس بدران: اطلبها من صيدلية المشير عامر!!

ونقلت إلى المسـتشفى ولم أدر مـاذا حدث فى تلك الليلة، فـقد رحت فى غيبوبة أفقدتنى الإحساس بالألم، كما أفـقدتنى الاستمتاع باسترجاع الحوار مع شمس بدران على مسمع من جمال عبـد الناصر وعبد الحكيم عامر، لقد قلت ما أردت أن يعرفه.. وقد عرفه!!

أسعـفت بالعلاج، لأنهم كانوا يحـرصون على حيـاتى. . فأنا متهـمة من وجهة نظر من ينسجـون القضيـة ويؤلفون فصـولها ويصنعون أبطالهـا. . فلا غرابة إذن، أن يصرف لى دواء لأستطيع حضـور المحاكمة!! أمضيت ثلاثة أيام فى غيبوبة. .

وفى مساء يوم سـمعت صوت مراد وصفوت يخـرج من زنزانة الأخ أحمد كمال ويسألانه عن عنوان سيف الإسلام . . وأعطاهما العنوان، وبعد ما يقرب من ثلاث ساعات عـادا إلى زنزانة الأخ أحمد كمـال وسألاه عن عنوان مكتب سيف البنا. . !!

وسيـف البنـا هـو نجـل الإمـام الشهيـد حسن البنـا، أخـذت أدعـو لسيـف وأمه وإخوته، فأمه مريضة بالقلب، وسيف هو العائل الوحيد للبيت والأسرة.

أخذت أضرع إلى الله سبحانه أن يصرف عنهم كيدهم.

رفعونى على نقالة إلى مكتب شـمس بدران. . وسألنى شمس بدران سؤالاً تأكد لى منه أن سـيف الإسلام البنا نجل الإمام الشـهيد حـسن البنا فى السجن الحربى!! وشغلنى جداً أمر وجود سيف البنا فى السجن الحربى.

وقال شمـس بدران لحمزة البسـيونى: ألم أقل لك إن هذه البنت لا تدخل مكتبى وهى حية؟ لماذا أحضرتهـا وفيها نفس يتردد؟! ثم وجه الكلام إلىّ وكل عضلات وجهه تهتز فى عصبية: أما زلت على قيد الحياة؟ لماذا. . لماذا؟ فقلت: ليس بإرادتك، ولا بإرادتى أن أعـيش أو أموت، ولكنهـا إرادة الله وهو المحيى المميت.

فصرخ قائلا: اخرسى، اخـرسى.. ردى على سؤالى فقط: من الذى كان سيغتال جمال عبد الناصر فى طريق الإسكندرية من رجال الجيش؟

فقال حسن خليل: قـرب لها المسألة قليلا ياباشا، أو اسمح لى أن أفـهمها الموضوع.

ثم أردف -بعد أن أومـأ إليه شمس بدران برأسـه- هناك شخص حكى لك عن جمـاعة تربصوا لجمـال عبد الناصر فى الطريق الصـحراوى وكان مسـافرا بالسـيارة إلى الإسكنـدرية. من حكى لك هذه الرواية؟ ومن كـان فى السيـارة الجيب لاغتيال عبد الناصر؟

فقال شمس بدران: ردى بسرعة!!

فقلت: ما أتفه مـا تعذبون الناس من أجله! ويلكم من الله! ثم ويلكم من التـاريخ! ثم ويلكم من الناس جمـيعـا وهم ينزلون عليكم لعناتهـم!.. وكان جزائى على ذلك قاسيا: دم يسيل وعظام تكسر!.

وكان شمس يقول:

إن علقناك الآن سـتمـوتين، ولكننا سنسامـحك إن أخبـرت عن الحكاية!! احكـى لنا الحكايـة من أولها.. يا بنت الـ... الحكاية اللى قـالها لك سـيف البنا.

فقلت: آه.. النكتة التى قالها سيف، فقام شمس مسرعاً يركلنى ويصفعنى وهو يقول: أيوه يا أختى النكتة!

وقلت: كنت فى بيت الشـهيـد البنا وقال سـيف الإسلام.. يقـولون كان جمال عبد الناصر مسافرا فى الطريق الصحراوى بالسيارة إلى الإسكندرية وكمن

له جماعة من الجيش فى سيارة جيب ليغتالوه. وفى اللحظة الأخيرة تغير نظام سفر عبد الناصر، وسافر بالقطار، والغريب فى الموضوع أن السيارة الجيب هربت فلم يستطيعوا القبض عليها ولا على من فيها.

فقلت لسيف: حقا إنها نكتة.. لكن ليس هو الفراغ الذى جعل الناس يقولون ذلك كما تقول يا سيف... أنا لا أعتقد أن هناك سيارة جيب، والأمر كله من صنع جهاز المخابرات.. هناك كل يوم مؤامرة مزعومة لاغتيال عبد الناصر، مرة من الجيش ومرة من الشعب، وهلم جرا ونسمع عن ذلك.. ويقبض على آلاف الناس.

وقال سيف: لا .. لا.. دى مجرد نكت الناس بتعملها وخلاص.

فقلت: الناس لايفكرون فى قتله.. قتل الحاكم الظالم لاينهى المشكلة.. القضية أكبر من قتل عبد الناصر، القضية تخليص البلد من حكم جاهل، عات متجبر.

وأجابنى سيف: من الأفضل للناس أن يشغلوا أنفسهم بمصالحهم الشخصية وتربية أنفسهم.

فقلت: على أى حال لم يقتل هذا البلد غير النكت.. لم يستطع الناس أن ينفسوا عما فى صدورهم إلا بالنكتة.. وبها قتلت الرجولة وقتلت المسئولية.

وانتهى الحديث مع سيف الإسلام البنا.

فقال شمس بدران: هذه الحكاية - حكاية اغتيال عبد الناصر فى طريق الإسكندرية الصحراوى- دار حديث فيها بينك وبين عبد الفتاح إسماعيل

وعلى العشماوى فى بيتك ودرستم تخطيطها، والأخطاء التى وقعت فيها. لماذا؟

فقلت: ما حصل غير ذلك، أنا نقلت النكتة لعبد الفتاح عبده إسماعيل عن سيف الإسلام.. لم ندرس الحكاية.. دى نكتة فقذفت بركلات وشتائم!

قال شمس بدران: أنت حكيت هذه الحكاية لحسن الهضيبى. لماذا؟ نكت الناس بتقولها وحكايات بترويها.

قلت: جائز.. وإحنا من الناس فيها حاجة دى؟!.

وعملت السياط عملها.

قال شمس: جميل، نترك موضوع سيف الآن، وننتقل إلى موضوع آخر: كان عبد العزيز على هو المسئول عن تنظيم الإخوان حتى خروج سيد قطب من السجن، قولى لنا كيف أتى هذا؟ قلت: لم يحصل. فقال: كيف؟ عبد العزيز على كانت يجتمع مع على عشماوى وعبد الفتاح إسماعيل وضياء الضوبجى، ويحيى حسين، وعبد المجيد الشاذلى، ومجدى عبد العزيز، واجتمع مع سيد قطب عدة مرات بعد خروجه من السجن.

قلت: لا أدرى شيئا عن هذه الاجتماعات.

فقال شمس بدران: ومن يدرى بها غيرك؟! أنت تعرفين جيداً أنهم كانوا يجتمعون.

فقلت: هذا محض افتراء.

وقال شمس بدران: من الذى حمل أمر الهضيبى بزعامة عبد العزيز للتنظيم غيرك؟

فقلت: هذا محض افتراء.

فقال شمس بدران مهدداً: يبدو أننا حنشوف شغلنا معك، لا بتعقلى ولا بتشوفى مصلحتك.

وقال أحد الجالسين على طريقة الساسمرة. .واحد يشد وواحد يرخى: لحظة واحدة يا باشا. أنا سأحاول مع زينب ثم اتجه إلىَّ وقال: يا زينب. . الهضيبى اعترف ، وعبد العزيز على اعترف، أنا سأحاول أفكرك بحكاية يمكن تجعلك تتداركين الأمر، كلهم اعترفوا ولا داعى للإنكار. . ما هو السم الذى أعده عبد العزيز على ليستعمله إسماعيل الفيومى فى قتل جمال عبد الناصر؟ ما هى حكاية السم وكيف دار الاتفاق عليها؟

فصرخت: يا عالم أنتم مجانين بأمر اسمه قتل عبد الناصر!؟ إن كنتم تريدون قتله فاقتلوه وأريحونا، وعلى كلٍ واجهونى بعبد العزيز على، واجهونى بالأستاذ حسن الهضيبى!

فقالوا: لا، سنواجهك أولا بعلى العشماوى!!

فقلت: على العشماوى كذاب أشر، وسأبصق فى وجهه لأنه كذاب مأجور. .

فقال شمس بدران: أليس على العشماوى واحدا منكم؟ قلت: واجهونى بالرجال الأفاضل. . عبد العزيز على، وحسن الهضيبى.

فقال حسن خليل: لا مانع، سنواجهك بهما!!

وقال شمس بدران: اسمعى! متى استشرت الهضيبي ليتولى عبد العزيز على زعامة الإخوان المسلمين نيابة عنه؟

فقلت: لم يحصل!

فقال شمس بدران: **ياصفوت هات على العشماوى!**

ودخل على العشماوى يرتدى الحرير الهفهاف ممشط الشعر، تبدو عليه آثار المعاملة الحسنة..!!

وقال له شمس بدران **فى رقة: ماذا حصل يا على**، عندما ذهبتم إلى الهضيبى وكانت رجلها مكسورة، **ولم** تنزل من العربة، وذهبت أنت لبنت الهضيبى لتعرف رأى أبيها!

وقال على العشماوى: **نعم حصل**، لقد قلت لبنت الهضيبى أن تسأل أباها عن ثقته فى عبد العزيز على، وما إذا كان المرشد يرشحه لتولى الأمر نيابة عنه.. وعادت وهى تحمل موافقة الهضيبى على ترشيح عبد العزيز على.

فقال شمس: إيه رأيك يابنت الـ...؟

فقلت لعلى العشماوى: أنت كذاب، والحقيقة أنك قلت لى بأن هناك واحدًا من الإخوان تقدم لخطبة حفيدة عبد العزيز بك على، وهذا الأخ يريد أن يعرف رأى الهضيبى وأنا كنت خارجة من منزلى دون اتفاق مسبق، فركب على العشماوى معى، وقلت له اننى لا أستطيع الصعود إلى بيت الهضيبى نظراً لكسر رجلى، والأفضل أن تذهب معى، وكان رد الأستاذ الهضيبى إن أسرة عبد العزيز على لا يسأل عنها، فهى أسرة مسلمة طيبة، وعلى بركة الله.

فقال شمس بدران: هل هذه هى الحقيقة يا على؟

فقال على العشماوى: إن هذه اصطلاحات ياباشا، والحاجة تعرف هذا جيداً.

فقلت لعلى العشماوى: أنت كذاب أشر، وهيئتك تفضحك . . الإخوان على الأعواد تقطع السياط أجسادهم، وتنهشهم الكلاب، ويتقلبون فى ألوان من العذاب وأنت على هذه الهيئة . . أنت مأجور رخيص . . أنت عميل كاذب، ولذلك يسمع لك.

فقال شمس بدران: اخرج أنت يا على! . . ثم اتجه إلىَّ وصوته يحمل التهديد: يازينب إننا نمنحك فرصة أخيرة، اشرحى لنا صلة عبد العزيز على بالتنظيم، وما هى الرسائل المتبادلة بين الهضيبى وعبد العزيز على بواسطتك؟

فقلت: أنا مصرة على مواجهة عبد العزيز على والهضيبى!!

قال شمس بدران: خذها ياصفوت، إلى أن نحضر عبد العزيز على والهضيبى.

وخرجت مع صفوت من مكتب شمس بدران، وأوقفنى صفوت ووجهى إلى الحائط ثم أدخلونى مرة أخرى مكتب شمس بدران. غير أنى لم أجد الهضيبى أو عبد العزيز على.

فقلت: أين الهضيبى، وأين عبد العزيز على؟

فقال شمس بدران فى حدة: هل نعمل على هواك يابنت الـ . . ؟ سنحضر من نريد . . ووقت ما نحب . . يبدو أننا سنرجعك إلى أول التعذيب . .

فقلت: ما دمتم لاتستحون من الله، فهل تستحون من الخلق؟!

وقال حسن خليل: يابنت اعقلى. الباشا يريد أن يحولك إلى النيابة. فاعقلى، واعملى لمصلحتك . .

فقلت: نيابة؟! أية نيابة؟ وأنتم من تكونون؟

فقال شمس بدران: إننا نجهزك للنيابة..

نعم التجهيز للنيابة!!.. السياط، الكلاب، النار، زنزانة الماء، التعليق على الأعواد كالذبائح، إيلام النفس بأقذر الألفاظ وأفحشها، التجويع، العطش، الحرمان من استعمال دورة المياه فترات طويلة، الذهاب إلى مكاتب التحقيق صباحاً ومساءً مع استمرار أنواع التعذيب، تحطيم الأعصاب بآلات التعذيب.. كل هذه وسائل التجهيز والإعداد للمثول أمام حضرة صاحبة الجلالة النيابة!!

محمد قطب

وفى مكتب شمس قال حسن خليل: إننا نريد يا باشا قبل النيابة أن ننتهى من موضوع تنظيم محمد قطب. ونرى موضوع الولد المدعو الدكتور مسعود!!

فقال شمس بدران كمن عثر على شيء كان قد فقد منه: نعم. نعم تنظيم محمد قطب يازينب.

فقلت: أنا أجبت عن هذا الموضوع من قبل.. لقد قلت إن محمد قطب لم يؤسس تنظيما، وإنه كاتب إسلامى وكل عمله أن يبين للناس الطريق الصواب، وأين الدائرة التى يقف فيها المسلمون، وللناس بعد ذلك أن يتصرفوا حسب ما يرون وحسب ما يعتقدون.

فقال شس بدران: خذها ياحمزة، يبدو أنها تريد أن تعود إلى المياه، والكلاب، والنار والجلد..و..و.

وأخذنى حمزة البسيونى إلى حجرة تبعد عن حجرة شمس بدران قليلاً، وأغلقها علىَّ ثم انصرف.

وبعد نصف ساعة جاءنى حسن خليل قال: اسمعى يازينب، أنا حضرت إليك لأنصحك، أنا مندهش لأننى أراك تلفين الحبل حول عنقك، كل الإخوان عملوا لأنفسهم، وعرفوا طريق السلامة، لقد ألقينا القبض على مائة ألف، الباقى عندنا الآن عشرون ألفاً. كل واحد من هؤلاء اعترف بالحقيقة، ومن يعترف، يخلى سبيله فورا، ونصف العشرين ألفا اعترفوا بكل شىء واعتذروا عما فعلوه وقبلنا عذرهم وأخلى سبيلهم.. حتى المرشد حسن الهضيبى، وعبد الفتاح إسماعيل، وسيد قطب، كل هؤلاء اعترفوا واعتذروا.. أنت تعملين لحماية المرشد وهو ألصق بك كل شىء، وعبد الفتاح اسماعيل وسيد قطب كذلك.. أنت تحرقين نفسك من أجل أشخاص كلهم تنكروا لك. أنت لازم تغيرى موقفك.. الرجال عرفوا السلامة وعملوا لها وألقوا المسئولية كلها عليك.. الهضيبى شتمك، سيد قطب شتمك.. عبد الفتاح إسماعيل شتمك، محمد قطب شتمك، سيد قطب شتمك، كل الإخوان شتموك.. إن موقفك محل تقديرنا وإعجابنا، ونحتقر موقفهم، ودعك من سباب الباشا، ومن حمزة البسيونى والولد صفوت.

إننا احتقرنا الإخوان عندما سبوك وازداد احترامنا لك وإعجابنا بك.. خسارة هذه الشخصية القوية تنتهى بهذا الشكل.. شمس باشا مصر على أن يعيدوا التعذيب من جديد من نمرة واحد.. أنا أخذت على عاتقى التفاهم معك لأعود إلى الباشا برأى يخرجك من هذه الورطة.. استرسل متسائلاً:

كنت تتناولين الغداء مع الهضيبى يومين فى الأسبوع أو يوماً على الأقل بانتظام، وهذا باعتراف الهضيبى فى التحقيق، وكنت تحملين الأوامر والتعليمات إلى عبد الفتاح إسماعيل، أرجو أن تعطينا نموذجاً من هذه الأوامر. الهضيبى وعبد الفتاح إسماعيل اعترفا بهذا. سيد قطب عندما خرج من السجن

كنت حلقة الاتصال بينه وبين الهضيبي.. إننا لانتكلم من فراغ ياست زينب. كانت في يده ورقة ينظر فيها ثم يتكلم.. ألقى نظرة إليها ثم استطرد: مثلا أموال الجماعة كانت عندك فى البيت فنقلتيها إلى بيت الهضيبى. ثم عادت مرة أخرى إلى بيتك. ثم نقلت إلى بيت الهضيبى ثانية وعادت إليك أخيراً. كل هذا ذكره الهضيبى فما معنى إنكارك له؟!

كل الأمور ياست زينب تكشف سرها والناقص هو أن تضعى النقط فوق الحروف. وطبعاً ستكتبين فى كل هذا وعن أشياء أخرى، وسنرفع إلى عبد الناصر ونوضح له أنك تغيرت ثم نحولك إلى النيابة وينتهى التحقيق عند هذا الحد، وسيفرج عنك بعد يومين، ثم يتم تعيينك وزيرة للشئون الاجتماعية. حكمت أبو زيد مغضوب عليها الآن، ما رأيك ياست زينب؟! وضغط على زر جرس صغير فحضر جندى فورا ووقف أمامه منتصب القامة. فقال له: هات كوب عصير ليمون، وأخذ يشرح ويفتح أمامى موضوعات، موعزاً إلى بالكتابة فيها.

وعاد الجندى بكوبى ليمون فقال: اتفضلى كوب الليمون، ثم أمر الجندى أن يحضر فنجانى قهوة.. واستأنف الكلام وأنا صامتة.. يبدو أنه اطمأن لما قال، والتفت إلى الجندى قائلاً: إنت تحت أمر الست زينب، ثم قال لى: سنطلبك عند الباشا بعد ساعة وشوفى مصلحتك بقه..

وجلست إلى المكتب وجرى قلمى على الورق بالآتى: بسم الله الرحمن الرحيم وأصلى وأسلم على محمد وآله وصحبه، أما بعد فأحمد الله تعالى وأشكره وأعجز عن إحصاء الثناء الواجب لجلاله سبحانه وتعالى فقد اختارنى- بغير استحقاق منى- لأكون علي الطريق الذي اختاره لعباده.. طريق القرآن والسنة، طريق الحق الذى دعا إليه البشرية كلها بقوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ**

جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، وبقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] الحمد لله الذى أوقفنى تحت مظلة قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣] الحمد الله الذى أوقفنى تحت مظلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١. والحمد لله الذى اختارنى من بين رجال مؤمنين ونساء مؤمنات واجتبانى بصحبة رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لنكون شهداء أن رسالة الله التى أوقفنا حياتنا على نظرها والدعوة إليها والجهاد فى سبيلها بكل مرتخص وغال تحقيقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١] وتحقيقا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾

[آل عمران: ١١٠].

بذلك كله أكرر وأؤكد أننا لازلنا على طريق شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبد الله ورسوله.. ملتزمين بشطرى الشهادة حفظة لكتاب الله حافظين لأحكامه وحدوده.. داعين لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١٠٥]حافظين متفقهين فى قوله تعالى لمحمد بن عبد الله ﷺ ثم لورثته من بعده: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ فنحن أمناء رسول، وأمناء دين..

اللهم اشهد أننا ثابتون على الطريق لا مغيرين ولا مبدلين. فانصرنا على كل ظالم أشرك بك، وعطل كتابك وعادى دينك، وحارب أهل دينك حماة كتابك وحماة سنة رسولك.

اللهم بذلك أحيا وعلى ذلك ألقاك إن شاء الله . فتقبلنى سبحانك فى أهل التوحيد، أهل الكلمة الصادقة، أهل خشيتك والحياء منك.

اللهم ارزقنى الحب فيك والبغض فيك والجهاد فى سبيلك.

هذا هو طريقى أيها الناس فافعلوا ما تريدون وكما تشاءون.

سأعود إليه على بصيرة فلاتجهدوا أنفسكم لترمونا فى نقائصكم وتغمسونا فى ظلمات فجوركم وشرككم بالله، ومحاربتكم للإسلام وأهله. إنا برءاء منكم ومما تعملون.. إنا مقاومون لباطلكم حتى نلقى الله».

إمضاء (زينب الغزالى الجبيلى)

ودخل حمزة البسيونى وقال: أيوه يازينب!! إن شاء الله يكون ربنا هداك وعرفت مصلحتك!! زوجك رجل طيب.. الحاج سالم صديقى.. إنه رجل على خلق.. أنا لا أعرف كيف وقعت فى براثن الإخوان المسلمين.. على فكرة! هل انتهيت من الكتابة؟ فناولته الأوراق.

فقال: تعالى معى عند الباشا.. وذهبنا إلى مكتب الباشا شمس بدران!! قال شمس بدران: اجلسى يازينب، اطلبوا ليموناً وقهوة لزينب!! أخذ الورق وشرع يقرأ، وأخذت قسمات وجهه تترجم إحساسه وشعرت أنه يكاد ينفجر!!

وخرجت سهام نارية من عينى شمس بدران إلى حمزة البسيونى ومن معه. وقال وهو يضغط على الألفاظ: ما هذا؟ ألف سوط ياصفوت. البنت سخرت منا كلنا .. أين كنت ياحمزة أين كنتم جميعاً؟.. فانهالت السياط كالعادة وألقى الأوراق إلى الأرض واستطرد: البنت سخرت منا. لعبت بعقولنا كلنا ياحمزة.. إنها أكثر من خطيبة على منبر.. يابنت الـ..!!

جمع أحد الضباط الأوراق المبعثرة فى الحجرة وقرأ منها سطوراً وقال: إيه

القرف ده هو أنت إيه. . افعل معها ماشئت ياباشا. أوقفوا السياط وحكموا عليّ بقراءة الأوراق. وقال أحد الجالسين: انظر بنت الـ. . خطيبة وكاتبة وضيعت نفسها ومستقبلها. . يابنت الـ. . إنها تستحق أكثر مما وقع لها، وأمر شمس بدران بتعليقي وجلدي!!

قدماي ممزقتان ملفوفتان بضمادات. . وكل موضع في جسمي استوفى نصيبه- وفوق نصيبه- من السياط ومن ألوان العذاب الأخرى. ورغم ذلك رفعني الزبانية على التعليقة كالذبيحة، وانهالت السياط المجنونة تنفذ أمر الباشا المحموم!!

وانبثق الدم من الضمادات فأمر الطبيب بإنزالي. . رموني أمام حجرة شمس بدران مايقرب من الساعة، ثم حملوني على نقالة إلى المستشفى. .

جاء مراد وحمزة البسيوني وقالا في جاهلية الجاهلين: قرر الأطباء أن الموت قاب قوسين منك أو أدنى، ولكن لابد أن تذهبي إلى المحكمة لتسمعي حكم الإعدام بأذنيك وتجني ثمرة مـا زرعت. إننا سنرسلك إلى النيابة غدًا، واعلمي أنك إن لم تستجيبي لكل ما تقرره النيابة، ستعودين لنا مرة أخرى. ثم نادى حمزة. . صفوت وقال له: باكر خدها النيابة الساعة ٩!! وانصرفوا. .

النيابة!!

لقد مررت بكل درجات التعذيب درجة درجة، من الجلد بالسياط المجنونة كألسنة اللهب إلى نهش الكلاب المدربة، إلى زنزانة الماء، إلى زنزانة النار، ثم تكررت عملية الجلد والصلب والتعليق على الأعواد كالذبائح، إلى عذاب يحطم الأعصاب والأرواح.

وجاءت النيابة، لتستكمل المهزلة فصولها، ويعاقب المظلومون في ظل العدل وسيادة القانون. . !!

دخلت خيام المحققين من رجال النيابة!!

وإنهم جميعاً لمخطط واحد ينفذون!! فى خيام التحقيق كان التهديد مستمرا من المحقق الذى يطلب من المتهم أن يوقع على ما يسجل من زور وبهتان فى أوراق التحقيق تحت نظر وسمع كبار القضاة والمستشارين المنتدبين للإشراف على التحقيقات.

والحق أن كل شىء فى هذه الأمة يمتهن ويمسخ، كل ما فيها ومن فيها. حتى رجال القانون ورجال القضاء الذين روى التاريخ نزاهتهم فى كل عصر وكانت شجاعتهم فى الحق مضرب الأمثال، رأينا بعضهم فى السجن الحربى مسخاً مشوهاً وباطلاً مزوراً، يكذبون فى شجاعة ويسجلون الباطل ويدافعون عنه بجرأة. يهددون المتهم إذا لم يوقع على مايسجلونه ويقر بكل ما يكتبونه، بالعودة إلى مكاتب التحقيق بالسجن الحربى!! نظر وكيل النيابة إلىَّ وضمادات الشاش تغلف قدمى ويغلف نفسى إعياء وضعف.. لايكاد صوتى يخرج من بين شفتى.. ووكيل النيابة يجلس خلف جبل من الدوسيهات.. أمامه أوراق مكتوبة. سكرتير النيابة جالس إلى مكتب صغير وأمامه كومة من الأوراق البيضاء وبيده قلم مستعد لتنفيذ الأمر.. أملى عليه وكيل النيابة اسمى، وسنى ومكان مولدى وسكنى.

والتفت إلىَّ وكيل النيابة بوجه جامد ثم قال: يازينب، فى هذه الملفات والدوسيهات أقوال الإخوان المسلمين كلها، وواضح فيها موقفك جيداً، سأترك أقوالك فى المكاتب، وأريد الحقيقة منك أنت وهذه حقيقة قالها حسن الهضيبى، وقالها سيد قطب، وقالها عبد الفتاح إسماعيل وقالها جميع الإخوان.. أريد يازينب أن تتخلى عن عنادك وألا تضيعى وقتنا فيما لايفيد.. والأمر بسيط جداً إعادتك إلى المكاتب مرة أخرى!!

وأخذ يوجه إلى الأسئلة وأنا أجيب لكننى لاحظت عجباً!! كنت إذا أجبت على سؤال ببضع كلمات أجده يملأ صفحة كاملة على أنها إجابة منى!!

أثارنى ملاحظته فقلت لوكيل النيابة المحقق: ماذا تكتب يا أستاذ قناوى؟ إننى أجبت عن سؤال واحد فى كلمات قليلة..

فقال: إننى أساعدك لأن كل كلمة منك ستعرض على سيادة رئيس الجمهورية، كلامك أنت بالذات طلب أن يعرض عليه يومياً!! فقلت: هذا أمر لايهمنى فى قليل أو كثير، إنما ما أهتم به، ألا يكتب باسمى إلا ما أقول.

فقال: سأقرأ عليك فيما بعد كل شيء.

وقلت فى هدوء: وما الداعى ما دمت تكتب من عندك، لا داعى لأن أتكلم وليكتب كاتب النيابة ما تريد؛ على أن يكون فى علمك أننى لن أعترف إذا كان هناك محاكمة، إلا بالذى أقوله أنا لك..!!

وعاد إلى سؤالى، قال: أنت قلت: عبد الناصر كافر وحكومته كافرة والمجتمع كافر أيضاً.

قلت: نحن لا نكفر أهل القبلة.

قال: ومن هم أهل القبلة؟

قلت: الذين يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم يلتزمون بما جاء به رسول الله ﷺ من عند ربه.

قال: أريد أن تشرحى صفات أهل القبلة.

قلت: «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلاً، ويلتزمون بأحكام الكتاب والسنة، ولا يشرعون

من عند أنفسهم ولايحكمون بغير ما أنزل الله».

قال: هل تعتبرين جمال عبد الناصر وحكومته والمجتمع من أهل القبلة؟

قلت: عبد الناصر نفسه لا؛ لأنه حاكم يستطيع أن يحكم بكتاب الله لو أراد إلا أنه عمل على تعطيله فهو يشرع للناس من عنده، ويعطل كتاب الله. وقد قال عبد الناصر صراحة: إنه لايقيم حكومة دينية.

قال: أنا أريد أن تقولى لى بصراحة: عبد الناصر والحكومة كافرين ولا رأيك إيه؟!

قلت: لقد أجبت ومن شاء أن يعلم حقيقته مع الله فليعرض نفسه على كتاب الله.

وكان المحقق قد كتب حوالى خمس صفحات فولسكاب، ثم عاد يسألنى سؤالاً آخر قال: أنتم كنتم تريدون قتل أم كلثوم وعبد الحليم حافظ؟!

قلت: إن المشغولين بالدعوة لدين الله وعودة الأمة الإسلامية إلى حياة الناس لاينشغلون بهذه الأمور السخيفة. يوم يعود المسلمون لدينهم عودة يقظة وعودة حقيقة، فستنتهى كل هذه الرذائل وستتخلص الأمة من هذا التسيب المقيت. ومن عبادة الشيطان فى هذه الصور المختلفة التى فتنت الأمة وانهارت بها هذا الانهيار الذى جعلها غثاء كغثاء السيل.

كان وكيل النيابة محمد القناوى يسمع منى كلاماً ويكتب غيره، أو يحرفه، أو ينقل كلاماً آخر من الملفات المرصوصة أمامه. وهكذا كانت خيمة النيابة على هذا النمط الغريب العجيب عشرة أيام. وكان المستشار محمد عبد السلام يتردد على الخيمة ويسأل القناوى عن الوضع ويقول له: ابذل جهدك.. وينصرف.. وفى الخيمة قلت للقناوى: إنى أرى شيئاً عجبا؛ أرى رجال القانون والقضاء فى

غابة يتعايشون مع وحوشها، يلقـون عن أنفسهم ثياب القضاء ويرمون من فوق أكتافهم أردية القانون والعدل.

قـال: نحن نحرص على تخليـصك وإنقـاذك من الإخوان، ليس لك بعـد أقوال الهضيـبى وسيد قطب وعبد الفتاح إسمـاعيل إلا شىء واحد هو الإعدام وما رأيك فى كلام الهضيبى وسيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل؟

قلت: أنتم تختلقون عليهم الكذب وهؤلاء هم طليعة الجماعة المسلمة.

قال: أنت لا تقولين الحقيقة.. وتكذبين.

قلت: أكذب على من؟

قال: على الحكومة وعلينا نحن رجال النيابة.

قلت: أنت مصدق أنك من رجال النيابة ومن رجال القانون؟

قال: سأقفل التحقيق وأعـيدك إلى مكاتب التعذيب.. وبعد ذلك تحضرين لنا مرة أخرى.

وطلب قهوة وبعدما شربها قال: إيه يا زينب؟ أتريدين الرجوع إلى المكتب؟ إن عبد الناصر مستعجل أوراقك ليطلع عليها..

أمرنى بالتوقيع على ما كتب، فرفضت، فأعادنى إلى المكاتب، وجُلدت من جديد وأعادونى ثانية إلى التحقيق.. وانتهت مهزلة التحقيق ولكن..

الجولة الثانية مع النيابة

بعد يومين طُلبت للنيابة مرة أخرى. وهناك وجدت عدداً من الشباب أفناهم التعذيب وكساهم ثوب عذاب.

فسألنى قناوى: متى التقيت بهم، ومـتى تعرفت إليهم، وماهى أسماؤهم؟ وأنظر إلى الشـباب وأقـول سائلة: مـتى رأيتكم؟ هل التـقيـتم بى حقـاً؟ هل تعرفوننى قبل اليوم؟ ما أسماؤكم؟

ويصرخ وكيل النيابة معترضاً مدعياً أننى أواجههم بأسئلتى، فأرد عليه طالبة منه أن يسألهم متى التقوا بى لا أن يسألنى متى التقيت بهم؟

ويسألهم الواحد بعد الآخر وتكون الإجابة واحدة: لم نلتق بها.

فيقول القناوى: ولكنكم قلتم فى التحقيقات إنكم التقيتم بها.

يجيبون: تحت سياط التعذيب كنا نقول أى شىء.

ثم نعاد جميعاً إلى المكاتب!! مكاتب التعذيب!!

عشـرات وعشرات المرات عـرض علىّ الشباب الصـابر ما بين خيـام النيابة ومكاتب الألم والعذاب والقهر..

عودة إلى المكاتب

لقاءات جديدة فى مكاتب شمس بدران وأعوانه.

كانوا يأخـذوننى ليلاً إلى مكتب شـمس بدران أو أحد زبانيتـه، يهددوننى أولاً بإعادة التعذيب، ثم يعرضون على شـباباً فى سن الزهور ورجالاً وشيوخاً ويسألوننى متى التقيت بهم؟

ويكون الجـواب: مَن هؤلاء الذين تـسألـوننى أين التـقـيت بهم، ومـتى؟ اسألوهم هم إن كانوا قد التقوا بى! اسألوهم إن كانوا يعرفوننى!

وتنتهى المـواجهة بصـورة جديدة من التـعذيب: كالوقـوف فى مكان مظلم وأحد العـساكـر خلفى يضرب بالكرباج على الأرض ويأمـرنى أن أستـمر فى خطوة «مكانك سـر»، فـإذا بلغت الإعيـاء ولم أسـتطع الاسـتمـرار فى تلك الحركة، وأقدامى ممزقة ومربطة بأربطة الشاش، ضُربت عشرة أو عشرين سوطاً على جسدى كيفما اتُفق.. ثم إلى زنزانة المستشفى!

وسأضرب أمـثلة للتعذيب بعد انتهاء النـيابة من التحقيق لتعـرفوا مـاذا كان عبد الناصر وماذا كان أنصاره وأعوانه.

١- التعــذيب

أخذونى فـى منتصف ليلة من ليـاليهم السـوداء إلى مكتب مجـاور لمكتب شـمس بدران، كـان يجلس فيـه أحـد شـياطينه «جـلال الديب» الذى أخـذ يسألنى..

قال: اشـرحى يازينب ياغزالى اتصـالاتك بخالدة الهضـيبى وأحـمد ثابت زوجها وما دورهما فى التنظيم؟

قلت: نشـاط خالدة الهـضيـبى مـعى كان مـحصـوراً فى مسـاعدة أسـر المسجونين.

قال: أى نوع من المساعدات؟

قلت: مساعدات مالية أو عينية، وشـرحت له نوعية العينية - بعد سؤاله - أنها كالأقمشة والدقيق والقمح والأرز والسمن والفاصوليا.

وعاد يسألـنى عن زوجها أحمـد ثابت. ولما أوضحت له أنه لم يكن له من عمل إلا الحـضور إلى المركـز العام للسـيدات المسلمـات ليوصل الأشـياء التى أرسلها الخـالدة لتسلمـها للأسـر - دون أن ينزل من العربية - رفـض تصديقى

وأسلمنى إلى صفـوت فأوقفنى ليتصـرف، وتصرف صفوت فـأوقفنى ووجهى للحائط مكرراً السؤال عن صلة خالدة وزوجها بالتنظيم. ولما مضت ساعة دون أن أغيـر من موقـفى بدأ يهددنى بالكلاب وبـالضرب وأصررت علـى أقوالى. ودخل حمزة البسيونى فطلب منه جلال الديب أخذى إلى الكلاب.

وأخذونى إلى حجـرة مظلمة وأدخلوا كلباً معى وتركونى أكثـر من ساعتين مع الكلب ثم أعادونى إلى المستشفى.

وفى الليلة الثـانية أعادوا اسـتجـوابى عن علاقـة خالدة وزوجهـا بالتنظيم وأصررت على موقفى السابق، وتركنى جلال الديب فى الغرفة، وخرج ليرسل لى صفوت فيضربنى بقدميه وبيـديه حيثما اتفق، ثم يغلق على الحجرة ويخرج ليعود بعد ساعتين فيعيدنى إلى المستشفى!

٢- المـــال

ومرة أخرى طلبونى لمكتب شمس بدران وقال شمس:

لقد أتينا بالزينى من غزة. وقد تعرف عليه المرشـد ومأمون الهضيبى. وهو الذى أتاك بالمال وإذا لم تتعرفى عليه سنرجـعك للتحقيق من الألف للياء! إنتِ فاهمة؟ والمهم يا بنت يا زينب أن الزينى قد اعترف.

وأخذونى إلى حجرة وجدت فيها رجـلاً فى صورة لا يمكن معها أن يتعرف عليه أحد، وأخرجونى وأعادونى إلى شمس.

وقال شمس: من هذا؟ قلت: لا أعرفه.

قال: لقد تعرف الكل عليه.. إنه صادق الزينى، يا بنت الـ...

وتدخل جلال الديب ليطلب من شمس أن يسألنى عن المال لأى غرض هو؟ وسألنى شمس وأجبته بأنه للأسر: للأكل، للكساء، للتعليم، للعلاج. لأسر الأسود خلف قضبان سجونكم.

وجن جنون شمس فصاح بحمزة: خذها وألقها للثعابين لا للكلاب.

وخرجت مع حمزة وصفوت، وأخذونى إلى المستشفى وطلب حمزة كرسياً فجلس عليه ثم قال:

إنت صعبانة على يا زينب، لن آخذك إلى الثعابين، قولى لى لأى غرض كان المال؟

قلت: لقد حققتم معى بخصوص هذا الموضوع.

وكان جلال الديب قد وصل ليسأل: هل اعتدلت أم لا؟

وكان جواب حمزة: اتركها لى يا جلال يبدو أنها اشتاقت للكلاب.

الكلاب! لقد كانت فى نظرى أرق منهم شعوراً وأسمى وأكثر إدراكاً. كنت كلما حبسونى مع الكلاب أحسست عمق بشاعتهم ويزداد احتقارى، وأصبح الأمر لايشغلنى كثيرا. بل أصبحت أفضل أن أظل مع الكلاب على أن أبقى ثوانى مع شمس أو حمزة أو جلال..

وذات ليلة أخذونى إلى مكتب شمس بدران بعد العشاء وجلدونى لا أدرى كم، ولكنى أغمى على، فأسعفونى بالحقن وأعادونى إلى المستشفى وبعد ثلاثة أيام أخذونى ثانية إلى مكتب شمس بدران الذى أقسم برأس عبد الناصر إنه سيعيد تعذيبى من رقم ١ إلى رقم ٣٤ إن لم أجب بصراحة على ما يوجه إلىَّ من أسئلة.

وكانت هذه الأرقـام قد مرت على بصنوف من التـعذيب مختلفـة الصور، متعددة الألوان.

وابتدأ حديثه بقوله: يابنت يا زينب، أنا سأذكر لك حادثتين حصلوا معك: حادثة فيها مـحمد قطب وزوجة الهضيبى وأخوات محمـد قطب، وحادثة فيها على عشماوى ومأمون الهضيبى.

وبنقول لك إن هذه الحاجـات اعترف بها حسن الهـضيبى وزوجته ومـحمد قطب.. راح تكدبينا لكن من أين كـنا سنعرفـها؟.. الحادثة الـتى فيهـا على عشماوى ستقولين: إن على كذاب.. لكن الثانية ليس فيها على..

قـال شـمس بدران: فى يوم كلمـت محـمـد قطـب ونزل لك من حلوان بالليل، فأعطيته مصاغك وخمسمائة جنيه، وقلت له: الخمسمائة جنيه سلمهم للوالدة «تقصـد حرم الهضيـبى» ومصاغى هذا أنا مـتبرعة به لأسـر الإخوان، خذهم يا محمد.. أعطهم للست الوالدة فى الوقت المناسب.

قلت: نعم، هذه الحادثة حصلت وما الذى يصيبنى فـيها؟ مصاغى أتبرع به كما أشاء، وقـد تبرعت إلى أكرم وجه للخير، لجمـاعة الإخوان المسلمين إعانة للأسر. أمـا المال فقـد كان للإخـوان وكان على أن أرده لأصله عندمـا أخشى عليه.

قال شمس: الخمسمائة جنيه كانوا للتنظيم لا للأسر.

قلت: لا، للأسر.

قال: على عشماوى قال: إنها للتنظيم.

قلت: على عشماوى كذاب.

قال: محمد قطب قال إنه لا يعرف الغرض من الخمسمائة جنيه. لكن أنت بعثت بها مع المصاغ وقلت له: أعطها لحرم الهضيبى.

قلت: واجهونى بمحمد قطب. لقد قلت له: إن الخمسمائة جنيه مساعدة للأسر.

قال: طيب، وكيف جاءت هذه الخمسمائة جنيه؟

قلت: فى يوم جاءنى على عشماوى يطلب منى ورقة لأخ من السعودية ليتمكن من مقابلة المرشد أو مأمون، وأفهمته أن الأخ مأمون لايحتاج إلى واسطة وأن المرشد فى الإسكندرية، إلا أن مأمون موجود وبإمكانه أن يقابله. وعاد إلى عشماوى بعد ذلك وقال لى: إن هذا الأخ قابل مأمون وتبرع بهذا المبلغ وإن مأمون طلب منه إعطاء المبلغ للحاجة زينب الغزالى، فكلف الأخ الذى من السعودية - حسب رواية على عشماوى - أن يوصل على عشماوى المبلغ إلىّ وأن المبلغ مساعدة للأسر.

قال شمس بدران: المبلغ لم يكن للأسر، لأن محمد قطب قال ذلك.

فقلت مؤكدة: إننى وحدى القادرة على تقرير الحقيقة، وإنه لابد أن يكون الأمر قد التبس على الأستاذ محمد قطب إن كان قد قال ذلك.

قالوا: سنعيدك للتعذيب.. هتتكلمى ولا ياخدك صفوت؟!

قلت: واجهونى بمحمد قطب.

ولما واجهونى بالأستاذ محمد قطب، قال: إننى سلمته المال والمصاغ ليوصله إلى الوالدة، وحاولت أن أذكر حضرته بما قلته له من أن المبلغ كان للأسر وكان عندى أمانة، لم يستطع أن يتذكر، إلا أنه قال: ما دامت الحاجة متأكدة أنها

قالت لى هذا فإن قولها صحيح.

وأوقفونى إلى الصباح ووجهى للحائط ثم أعادونى للمستشفى.

وبعـد يومين أخذونى إلى مكتب شـمس بدران الذى بادرنى بقـوله: نحن نريدك يا زينب أن تعترفى بالتنظيم الذى كان محمد قطب قد أسسه.

وأجبت: لقد سـئلت من قبل فى هذا وأجبت بأن محـمد قطب لم يؤسس تنظيماً.

فقال لصفوت: علقها ياصفوت!

وعلقنى صفوت وجلدونى على قدمى!..

ثم أخذت لمكتب مجـاور لمكتب شمس بدران، وقـال لى رجـل من رجاله - لا أعرف اسمه - كان يجلس بجانب حسن خليل دائماً:

يابنت يا زينب: إنت عـبـيطة! أنت لا تعرفى تـخلصى نفسك؟! الإخـوان كذبوا عليك كثيـراً، فلماذا لاتتفاهى معنا وتعطينا بعض المعلومـات عن محمد قطب؟ ونحن سنحفظ لك هذا الجميل ونبدأ نتفاهم معاك!

قلت: كـيف أتفاهـم معكم؟ أنا أحـتـقر طرقكم وباطـلكم! أنتم عمـلاء للشيطان، لن تسـتطيعـوا أن توقـعوا بينـنـا نحن عبـاد الرحـمـن! نحـن لايصدق الأخ منا فى أخـيه شيئاً مـهما حاولتم الوقـيعة والدسيـسة.. أريحوا أنفسكم.

قال: سنعيد التعذيب من جديد. وستحقق النيابة معك مرة أخرى.

قلت: النيابة منكم وأنتم منها.. أنتم جمـيعاً لاتعرفون طريق الله. أنتم من الضالين المغضوب عليهم..

ودخل حمزة البسيونى وفى يده ورقة وضعها أمامه وسأله: هى لسه مغلباك يا باشا؟

وخرج حمزة وابتدأ هو يتكلم فى موضوع محمد قطب ثانية.

وخرج وجاء صفوت وضربنى بالسوط حيثما اتفق ثم خرج ووجهى للحائط.. بعد ساعة تقريباً دخل شيطان آخر يشرح لى ما سيترتب على تعاونى معهم بإعطائهم معلومات عن التنظيم الخاص بمحمد قطب من نتائج فى صالح زوجى وأشقائى وصالحى شخصياً.

ولما لم يتغير موقفى أخذونى إلى حجرة الكلاب.

وفى هذه المرة كان مع الكلب فى الزنزانة رجل قال له حمزة البسيونى: إن لم يأكلها الكلب فكلها أنت يا ولد! وأغلقت الزنزانة لساعتين لم أكف فيهما عن قول «**حسبنا الله ونعم الوكيل**» أما الرجل والكلب فكأن خرساً لحق بهما حتى فُتح الباب وأُخذت إلى المستشفى.

وفى اليوم التالى أُخذت إلى مكتب رياض إبراهيم الذى سألنى عمن قابلت من كرداسة.

أجبت: أنا لا أعرف شيئاً عن كرداسة هذه.

قال: ألم يقابلك أحد منها أبداً؟

أجبت: لا.. فذكر أن أحمد عبد المجيد من كرداسة.

ثم قال مهدداً بأنه ذاهب إلى الباشا ليرسل لى من يتفاهم معى وخرج. ودخل عسكرى أمرنى بالوقوف وأن أدير وجهى إلى الحائط وضربنى على ظهرى بالسوط!

وبعد مرور وقت طويل أخذونى إلى المستشفى.

كل هذا أيها القارئ العزيز بعد تحقيق النيابة.

وبعد أيام طلبونى لمكتب رياض - ثانية - وواجهنى بسيدات لم أرهن من قبل، وسألنى عمن تكون زوجة السيسى من بينهن قلت لا أعرفها، وإذا بهم يدخلون شاباً صغير السن والعسكرى خلفه بالسوط ويسألون: أين هى زينب الغزالى؟ فنظر الشاب وقال: لا أعرف. ولما سألوه ثانية عن زوجة عباس السيسى أجاب ثانية: لا أعرف. فسألوه عمن قابلته من السيدات الموجودات فأجاب: لم يقابلنى أحد، فأخرجوه كما أدخلوه بالسوط يلسع ظهره.

ثم فوجئت بحميدة قطب تدخل وخلفها صفوت. وسألوها عن زوجة السيسى قالت: «لا أعرفها».

ثم أخرجوا السيدات الأربع وأخرجوا حميدة وبقيت مع رياض.

قال: اسمعى يا بنت يا زينب.. ألا تعرفين واحداً من الإخوان متزوجا من أربعة؟

قلت: لا..

قال: هل تعتقدين أنى أقول لك فزورة؟! هناك واحد من الإخوان متزوج أربعة. إن لم تقولى من هو ستُضرَبين.

قلت: افعل ما تشاء.

أمروا أن أضع وجهى فى الحائط وقام وضربنى عدة كرابيج وتركنى فى الحجرة وخرج.. وبعد ساعتين عاد ومعه صفوت الروبى الذى أخذنى إلى المستشفى.

علبة اللحم المفروم!

قرر الأطباء أن حالتى الصحية متدهورة، وإن لم يسمحوا لى بأكل من المنزل فإن حياتى يخشى عليها، ولا أستطيع الذهاب إلى المحكمة. فسمحوا لى بدخول الأكل وكان عبارة عن فاكهة ولبن زبادى فقط.

وفى يوم احتالت أختى لتدخل لى لحماً، فأفرغت علبة لبن جافة وملأتها لحماً مفروماً وأدخلتها على أنها لبن جاف. ولم يكشفها أحد حتى أنا. وكان معها بعض الزبادى والبرتقال. وأخذت نصيبى وأخذ عبد المعبود التمرجى يوزع الباقى على الإخوان المرضى فى المستشفى. وكان معنا الأستاذ عبد العزيز على - وزير البلديات السابق - وكنا نتقاسم كل واحد برتقالة وكل اثنين سلطانية زبادى. وبعد التوزيع ناديت الممرض ورجوته أن يوزع هذه العلبة على الإخوان، كل واحد كوب لبن، فخرج بها ثم عاد إلى مرة ثانية وهو يقول: هذا ينفعك أنت يا حاجة، دى فيها لحم مفروم، فرجوته أن يوزعها: كل واحد يأخذ ملعقة.

ففعل وعاد وفى العلبة اللحم المفروم، ورجوته أن يوصله إلى الأستاذ عبد العزيز ومعه علبة زبادى، وسأل عبد المعبود لم أختص بهذا؟ فأجبت من زنزانتى:

الحمد لله الذى يرزق عباده! فأجابنى: الحمد لله، إنه هو الرزاق ذو القوة. ولما انصرف الممرض سألنى: كيف صرح بدخول الطعام؟ وأوضحت له ما فعله الطبيب ونصحته أن يطلب من الطبيب أن يدخل له طعام. وطلب فعلاً من الطبيب.

وكان الإخـوان يدخرون مـن ضروراتهم القليلة مـا يعاونون به إخـوة لهم تمزقت أجسامهم من التعذيب، فهم يحـتاجون إلى غذاء خاص وعناية خاصة، مما جعلنا نفرح لأى شيء يصلنا من الخارج؛ ولو كان ذلك شيئاً عادياً فى حياة الناس.

التجويع حتى فى المستشفى!

مر ما يقرب من عام على اعتقالى ولم يسمح لى بالأكل من الخارج إلا قبل المحاكـمة بـثلاثة أشـهر؛ خـوفاً من أن أمـوت قبل أن يحـاكمـونى بأباطيلهم وزورهم. وتلك كانت طريقتهم فى الحياة: الخداع والزور والبهتان.

أبشع من هذا ما عرفته بعد ذلك عندمـا زارتنى أختى ووالدتى قبل المحاكمة بأيام وقالت لى: إن صفوت الروبى كان يطلب منهم فى الأيام الأولى لاعتقالى أكوامـاً من الطلبـات من الأدوية والفاكـهة والملابس. وكـان يشتـرط أن تكون الملابس جديدة.

لقد كـانت خطة مدبرة لاسـتنزاف قدراتنا - مـعاشر المجـاهدين - بإرهاق أسرنا فى الخارج.

أرادوا أن يقولوا للناس الذين سيسمح لهم بدخـول محكمتهم: إن معاملتنا للمتهمين على أحسن ما يرام بدليل أنهم بصحة جيدة وأن الأكل دخل لهم من الخارج وهكذا من مفترياتهم التى لاتنتهى..

أما التعذيب والتـنكيل والتهديد فحدث ولاحرج، وإن لم يكن فـيما ذكرته الكفاية مما لقيت فإنى سأضرب لك - أيها القارئ - بعض الأمثلة على ما كان يعانيه المسجونون من الجوع وخاصة المرضى.

ذات يوم دخل شاب من الإخوان، جسمــه ممزق من التعذيب، وحضروا به إلى المستشفى لعلاجه وأخذ الطبيب يبحث عن قطعة سكر. ولكنه لم يجد فى المستشفى وسمــعت الهرج والسؤال عن قطعة السكر. فطرقت باب زنزانتى ولما فتحوا رجوتهم أن يأخذوا برطماناً صــغيراً كان به عسل نحل جاءنى مع الطعام من الخارج، أخــذ الممرض العسل وأمــره الطبيب أن يعطى ملعقــة للمريض.. وهذا يحدث بطبيعة الحال بعيداً عن أعين الزبانية؛ فمثل هذا من الممنوعات فى المستشفى!!.

ومرت الأيام. ووصلت بهم الحال إلى تعــذيبنا بمنع الماء عن المريض. فيظل طوال الليل لايشــرب نقطة مــاء - ونحن فى أشــهــر الصيف - حــتى أصــبح الحصــول على نصف كــوب ماء من المعــجزات، وكنت مــريضة جداً وحــالتى الصحيــة سيئة، فســمحوا لى بدخول بعض الماء، وكــان بجوارى أخ كريم فى الزنزانة المجاورة فكنت أقسم معــه هذا القليل من الماء، ولن تصدق أيها القارئ إذا ذكرت لك الــطريقة التى كنت أوصل بهــا الماء إليه، لن تصــدق أننى كنت أضع الماء فى كــيس نظارتى وأناوله إياه من فــرجــة بين الحائط الورقى وجــدار الزنزانة، ليطفئ ظمأه ولو قليلاً!

كان جسمه ممزقاً من سياطهم وكان أحوج ما يكون إلى هذا القليل!..

لقد تفنن الظالمون فى وسائل التعــذيب.. لم تبق طريقة قديمة أو حديثة إلا استعملوها وأضافوا إليها..

.. وتاب الوحش

وسأقص عليك، أخى القارئ، قــصة حدثت وأنا بالمستــشفى تجعلك تزداد يقيناً بأن فى هذا الشعب خامات طيبة وقلوباً طاهرة؛ لو وجدت التوجيه السليم

لآتت ثمارها وعبدت ربها، ودافعت عن عقيدتها بكل ما تملك من جهد ومال..

كان معنا فى المستشفى عسكرى ممرض اسمه: صلاح وكان مكلفاً بإعطاء الحقن للمرضى ومراقبة الزنزانات. وذات يوم كنت ذاهبة إلى دورة المياه وإذا بالهواء يرفع بطانية كانوا يستعملوتها باباً لزنزانة الأستاذ الإمام الشهيد سيد قطب، لأنها كانت بغير باب خشبى، وتصادف مع رفع البطانية مرورى أمام الزنزانة، وقامت الدنيا فى المستشفى، كيف تحدث هذه الجريمة البشعة، وترى زينب الغزالى سيد قطب وهو جالس فى زنزانته! وقام المدعو صلاح يشتم ويسب. ومما زاد الموضوع بشاعة أن صفوت الروبى كان داخلاً إلى المستشفى فى هذه اللحظة فأراد العساكر أن يثبتوا له أنهم حريصون على تنفيذ الأوامر، ولايسمحون لأحد أن يرى أخاه؛ ولو كان ذلك صدفة بسبب بطانية رفعها الهواء!

كان صلاح أشبه بوحش كاسر لا إنسانية ولا عقل ولادين، وكان الأستاذ سيد قطب يلاطفه ويخبره بأنه لا دخل له ولا ذنب فى رفع البطانية، وظل يكلمه بكلام هادئ حلو حتى جعل هذا الوحش يلين ويستحى ويسكت.. ثم يأتينى بعد أيام نادماً يقول: إنه يريد أن يسلم من جديد، ويسألنى ماذا عليه أن يعمل حتى يكون مسلماً صحيحاً..

وسألته: هل تستطيع أن تحتمل مثل ما ترى مع الإخوان؟

قال: إذا أسلمت إسلامهم فسيصبرنى الله إن شاء ويقوينى.

سألته تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله؟

قال: نعم، ثم رددها أمامى..

فقلت: إذن، لاتفعل إلا ما يأمرك الله به ولاتطع أمر الطواغيت من البشر؛ مادام ذلك فى معصية الله.

قال: أنا أريد أن أفهم الإسلام الحقيقى، الإسلام الذى جعلكم تتحملون كل هذا العذاب بصبر لايستطيعه بشر.

فطلبت منه أن يرجو الأستاذ سيد قطب أن يفهمه الإسلام حين يذهب إليه ليعطيه الحقن وأرسلت معه تحية للأخ العزيز..

وقرب موعد المحاكمة

وانقضت أيام، وجاءت عريضة الاتهام بموعد المحاكمة، وكانت مهزلة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، ولقد أخبرونا أن الأحكام فى درج شمس. وقد حرمونا حق الدفاع ومقابلة المحامين، فحين طلبت انتداب الأستاذ أحمد الخواجة قيل لى: إنه ممنوع من الدفاع فى هذه القضية.

فقلت: إذن لا أريد محامياً، سأدافع أنا عن نفسى.

فانتدبوا لى محامياً مسيحياً ليتولى الدفاع عنى وصرحوا لأهلى بزيارتى قبل المحاكمة. فجاءت والدتى وأختاى اللائى كدن يغمى عليهن لما رأين من تغير صورتى وضعفى الشديد، وشجعتهن وجلست معهن، ومعنا صفوت وحمزة البسيونى مشرفين على الزيارة. وطلبت من أهلى ألا يوكلوا محاميا عنى، ولكنى علمت منهم أنهم وكلوا الأستاذ حسين أبو زيد واتفقوا معه على ألف جنيه نصفها قبل المحاكمة.

فأوصيتهم بعدم إنفاذ الاتفاق، إلا أنى فوجئت يوم المحاكمة بالمحامى حسين أبو زيد يدافع عنى. وفى مساء اليوم السابق للمحاكمة أخذت إلى مكتب

شمس بدران الذى قال لى: المطلوب منك ألا تعـترضى على أى شىء جاء فى التحقيقـات، وأن تصدقى على كل كلمة وردت فى الأوراق، وإذا اعتذرت إلى المحكمة بـأن الإخوان خدعـوك وأظهرت ندمك على مـا فعلت فـإن المحكمة ستخفف عنك الحكم. .

إياك أن تعـترضى على أى كلمـة جاءت فى التـحقـيقـات، نحن نريد أن نخدمك. فـإذا قررت أنك تتبـرئين من الإخوان المسلمين وأنهم خدعـوك فإننا سنخدمك خدمة عظيمة.

قلت له: «يفعل الله ما يشاء ويختار. ما كان لهم الخيرة من أمرهم».

قال: كلمينى بالعربى. . مـا «ترطنيش». . أنا لا أفهم ما تقولين. . الظاهر أنك لاتنوين الخير، نحن نريد أن نخدمك.

قلت له: «وعنده مفاتح الغـيب لايعلمها إلا هو ويعلم ما فى البـر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولايابس إلا فى كتاب مبين».

قال: خذها ياحمزة وهى حرة تفكر فى مصلحتها أولا تفكر.

قال حمزة: اتركها يابيه، أنا سأتفاهم معها.

وخـرجت من مكتب شـمس بدران إلى مكتب مجـاور له، وأخـذ حمـزة البسيـونى يقنعنى بأن يكون موقفى فى المحكمة البـراءة من الإخوان المسلمين، ويعيـد على مسمعى مـا سبق أن كرروه مرات ومـرات من أن الهضيبى وسـيد قطب وعبد الفتاح إسماعـيل قد غرروا بى. وبذل لى الوعود بأنهم سيسلمونى النقـود التى صـودرت منى كـهدية بسـيطة أولى لى. وعلى قـدر كـلامى فى المحكمة عن تغرير الإخوان بى ستكون هدية جـمال عبد الناصر لى! ونصحنى أن أتعقل وأعود معه إلى شمس باشا لأعده بتنفيذ رغباته ويكفينى ما حدث.

سمعت كل ما قاله ولم أجب ، لم أملك حين كرر أنه يريد تخليصى من الحكم بالإعدام إلا أن قلت له: أنت لاتستطيع أن تستخرج من جسمك البول إذا انحبس منك يامسكين!.. أرجعنى إلى الزنزانة.. وأخذت أفكر فى أمر هؤلاء الطواغيت وفى استعداد المحكمة لتنفيذ كل ما يريدون!!

ولم أستطع أن أفهم - والأمر بيدهم والمحكمة بيدهم - هذا الحرص على ألا نتكلم فى المحكمة أو نغير أقوالنا! يبدو لى - ياعزيزى القارئ - أن التمثيلية لا تتم إلا بهذا الفصل الأخير وهو مهزلة المحكمة التى يريدون عرضها أمام الشعب المكبل بالقيود. وكأنهم يريدون أن يقولوا له: انظر، ها هم الإخوان يريدون قتل الرئيس وقد شهدوا على أنفسهم بذلك، ولكن خيب الله ظنهم فجاءت النتيجة عكس ما يتوقعون.. لقد كانت مهزلة.

وأى مهزلة أكبر من أن يأتوا بأمثال الفريق الدجوى ليجلس فى منصة القضاء؟!

بشـــرى

وفى غمرة تلك الأحداث رأيت - فيما يرى النائم - أنى أقف فى ساحة قيل إنها المحكمة التى سنحاكم فيها، وبينما أنا واقفة إذا بالحوائط تزول وإذا بى وسط ساحة كبيرة مساحتها الأرض كلها، وإذا بالسماء تظلل الأرض وتنطبق عليها كأنها خيمة أطبقت على الأرض، وإذا بالنور يغمر الأرض كلها، نور يصل ما بين السماء والأرض، وإذا بى أرى رسول الله ﷺ يقف أمامى متجهاً إلى القبلة، وأنا خلفه وأسمعه يقول : استمعى يا زينب لصوت الحق، وسمعت صوتاً يخترق أقطار السموات والأرض يقول: ستنعقد هنا محاكم الباطل وستصدر أحكام الطواغيت وسيحكم عليكم ظلماً وعدواناً أنتم حملة

الأمانة وروّاد الطريق ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

كانت هذه بعض الكلمات التى سمعتها تخترق أقطار السموات والأرض ببلاغة لم أستطع أن أعيها لقوتها وشدة تأثيرها وأخذها بالنفس والقلب والجوارح.

وعندما انتهى هذا الصوت، التفت إلىّ حضرة النبى ﷺ وأشار إلى جهة اليمين، نظرت فإذا بجبل تقارب قمته عنان السماء، غير أنه كالبساط الأخضر تكسوه أرض خضراء.

فقال لى حضرة النبى ﷺ: يا زينب! اصعدى هذا الجبل فستجدين عند القمة حسن الهضيبى، بلغيه هذه الكلمات. ونظر إلىّ نظرة عميقة أخذت بكل كيانى غير أنه ﷺ لم يتحدث بكلمات منطوقة، ولكنى أحسست أنى حملت الكلمات فعلاً، وفهمت ما يريده منى، ورفع الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يده إلى الجبل، فوجدت نفسى أصعده، وأنا صاعدة التقيت فى طريقى بخالدة الهضيبى وعلية الهضيبى فسألتهما: هل أنتم معنا فى الطريق؟ أجابتا: نعم. وتركتهما وواصلت السير وعلى بعد أمتار التقيت بأمينة قطب وحميدة قطب وفاطمة عيسى فسألتهن: أأنتم معنا على الطريق؟ قلن: نعم. وأخذت طريقى فى الصعود حتى وصلت إلى القمة. فوجدت أرضًا مبسوطة فوق قمة الجبل وفى وسطها ساحة مفروشة بالبسط وعليها الأرائك والمساند والهضيبى يجلس فى الوسط. فلما رآنى وقف وأقبل على يحيينى وهو فرح بقدومى عليه، فلما صافحته قلت له: أنا مكلفة من حضرة الرسول أن أبلغك

كلمات أمانة من الرسول. أمانة منه عليه الصلاة والسلام. قال لى: إنها بلغتنى والحمد لله. وجلسنا وكأن هذه الكلمات تنقل عن طريق الأرواح لا عن طريق لفظ مصور فى كلمة منطوقة. ولما جلست إلى الهضيبى رأيت على الأرض فى سفح الجبل قطاراً فيه امرأتان عاريتان، فنبهت الهضيبى، فنظر إلى ما فى القطار. وكنت متألمة جداً لما أرى فقال لى: أتعترضين عليهما؟ قلت: نعم. قال: هل تعتقدين أن الذى وصلنا إليه بأيدينا وبأنفسنا. إنه بفضل الله علينا فلا تشغلى نفسك بهما.

قلت: علينا أن نقاوم حتى نقومهما!

قال: هل بنفسك تستطيعين؟ قلت: بالله.

قال: فلنحمد الله على ما أعطانا.

ورفع يديه وكأنه يحمد الله، ورفعت يدى وحمدت الله معه.

ونحن نكرر الحمد لله استيقظت من النوم.

ولم يعد هناك ما أخشاه. وأكاد أحس ببرد وسلام وراحة واطمئنان، وغسلت تلك الرؤية ما بى من ألم وأذهبت ما بقلبى من حزن ﴿ **فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) ..... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٩٥ - ٢٠٠].

. القضية الأولى من سبع قضايا قدمت للمحاكمة

استيقظنا يوم المحاكمة وأخرجونا إلى المكاتب فى انتظار العربات التى ستقلنا إلى المحكمة. وفى حوالى الثامنة امتلأت ساحة السجن الحربى برجال البوليس ضباطاً وجنوداً وكأنهم ذاهبون إلى ساحة القتال، وجاءت عربة وصعدنا فيها وتكدس حولنا الحراس من ضباط وجنود وذهبنا إلى المحكمة وهناك أدخلونا القفص: كنا (٤٣) ثلاثة وأربعين:

١ - سيد قطب إبراهيم.

٢ - محمد يوسف هواش.

٣ - عبدالفتاح عبده إسماعيل.

٤ - أحمد عبدالمجيد عبدالسميع.

٥ - صبرى عرفة إبراهيم الكومى.

٦ - مجدى عبدالعزيز متولى.

٧ - عبدالمجيد يوسف عبدالمجيد الشاذلى.

٨ - عباس سعيد السيسى.

٩ - مبارك عبدالعظيم محمود عياد.

١٠ - فاروق أحمد على المنشاوى.

١١ - فايز محمد إسماعيل يوسف.

١٢ - ممدوح درويش مصطفى الديرى.

١٣ - محمد أحمد محمد عبدالرحمن.

١٤ - جلال الدين بكرى ديساوى.

١٥ - محمد عبدالمعطى إبراهيم الجزار.

١٦ - محمد المأمون يحيى زكريا.

١٧ - أحمد عبدالحليم السروجى.

١٨ - صلاح محمد محمد خليفة.

١٩ - السيد سعد الدين السيد شريف.

٢٠ - محمد عبدالمعطى عبدالرحيم.

٢١ - إمام عبداللطيف عبدالفتاح غيث.

٢٢ - كمال عبدالعزيز العرفى سلام.

٢٣ - فؤاد حسن على متولى.

٢٤ - محمد أحمد البحيرى.

٢٥ - حمدى حسن صالح.

٢٦ - مصطفى عبدالعزيز الخضيرى.

٢٧ - السيد نزيلى محمد عويضة.

٢٨ - مرسى مصطفى مرسى.

٢٩ - محمد بديع عبدالمجيد محمد سامى.

٣٠ - محمد عبدالمنعم شاهين.

٣١ - محمود أحمد فخرى.

٣٢ - محمود عزت إبراهيم.

٣٣ - صلاح محمد عبد الحق.

٣٤ - حلمى محمد صادق حتحوت.

٣٥ - إلهام يحيى عبدالمجيد بدوى.

٣٦ - عبدالمنعم عبدالرءوف يوسف عرفات.

٣٧ - محمد عبدالفتاح رزق شريف.

٣٨ - زينب الغزالى الجبيلى.

٣٩ - حميدة قطب إبراهيم.

٤٠ - محيى الدين هلال.

٤١ - عشماوى سليمان.

٤٢ - مصطفى العالم.

وليعلم القارئ أن المكمل للعدد هو «على عشماوى» الذى اعتبر شاهد ملك ببيعه دينه بحياة ذليلة.

فلما دخلنا القفص وحضر من يسمونهم القضاة، نادى الدجوى أسماءنا واحدًا واحدًا سائلاً كلا منا: هل لك اعتراض على المحكمة؟.

ويجيب الأخ: ليس لى اعتراض على الأشخاص، ولكنى أعترض على القانون الذى نحاكم به لأنه قانون جاهلى، ونحن لا نحتكم إلا لشرع الله.

ولما فرغ من سؤالنا جـميعاً، قال: قررت المحكمـة أن تحاكم زينب الغزالى وحميدة قطب محاكمة خاصـة فأخرجونا من القفص، فأشرنا إلى بعض أهالينا الموجودين بالقاعة بالتحية، ثم أدخلونا حجرة أغلقوها علينا حتى انتهت الجلسة فأخرجونا إلى العربة ومنها إلى السجن الحربى.

كـــان ذلـك يوم ١٠/٤/١٩٦٦. ومكـثنا فـى الزنـزانات حـــتـى يوم ١٧/٥/١٩٦٦، لتعـاد مسـرحيـة المحكمة. كـما سبق أن ذكـرت من أن تلك «المحاكمة» هى الفصل الأخير الذى يريدون عرضه أمام الشعب..

الباب السادس

محكمة!!

في يوم ١٩٦٦/٥/١٧ أخـذونا إلى المحكمـة، وأدخلونا القـفص. هيـئـة المحكمة يتـقدمهـا الفريق الدجوى منتـفخ الأوداج، وجلس أعضـاء النيابة فى مكان عن يمينه. تلى منصة النيابـة منضدة عليها عدد من الصحـفيين، كانوا قد حضـروا قبل هيئة المحـكمة، وأخذوا يصوروننا. وكـان معهم صـحفى يدعى عـبدالعظيم؛ طالمـا جاء ليلتـقط بعض الصـور لنشاط المركـز العـام للسيـدات المسلمات فقلت له: يا عبـدالعظيم احتفظ بهذه الصور لعلنا نحتاجـها يومًا ما، ولعله أن يكون قريبـا. قال: حاضـر. وكانت هذه شجـاعة منه ولكنه ارتعش واصفر وجـهه وتغير لونه وهو يجـيب. وبعد دقائق لم أره فى القـاعة والتفتُ إلى الصحفيين أسألهم: ماذا تفعلون؟

وابتدأ الدجوى المحاكمـة بأن نادى اسمى فخرجت من القفص كى أرد على أسئلته، وكـانت كل الأسئلة التى وجهها لا تمت بصلة لكلامى فى التـحقيق. فكنت أقول له: هذا الكلام لم أقله فى التحقيق..

وأكتفى هنا بسؤالين أجبته عنهما:

قال لى: إن حسن الهـضيبى قال: إن الأربعة آلاف جنيـه التى أعطيته إياها

سرقتها من زوجك.

قلت: الأربعة آلاف جنيه اشتراكات وتبرعات من الإخوان المسلمين؛ لحساب أسر المسجونين لإطعامهم وكسوتهم وتعليمهم. آلاف الأسر التى شردها جمال عبدالناصر بعد محاكمات ١٩٥٤ وهو ما قلته فى التحقيق.

فارتبك وارتعد وكأن عقربًا لدغه وسأل: عندما كسرت رجلك كنت خائفة على هذا المبلغ فلماذا؟! ولما جاءك عبدالفتاح إسماعيل فى المستشفى أرسلته ليأخذ المبلغ من الخزنة فى منزلك ويسلمه للهضيبى فلماذا؟

قلت: لأنها أموال الدعوة الإسلامية، حق المسجونين المجاهدين الذين شردتم أسرهم وهى فى خزانتى ولو مُت سيأخذها الورثة وهى ليست ملكى، لكنها ملك الدعوة.

قال: هى ملك التنظيم حتى تشتروا بها سلاحاً. والهضيبى قال إنه لا يعرف مصدر هذه الأموال، إلا أنك أخذتها من زوجك.

وتدخلت النيابة وقال: سيد قطب يقول إنه قال لحميدة: بأن الضربة تكون شاملة وعلى أوسع مدى.

أجبت: هذا لم يحدث.

قال وكيل النيابة: وهل يكذب سيد قطب؟

قلت: حاشا الله أن يكذب.

فانفتح وكيل النيابة كالمجرور القذر، وأخذتنى الدهشة فلم أكن أتوقع أن أسمع هذه الألفاظ القذرة من النيابة فى قاعة المحكمة. أهكذا استطاع الطاغوت أن يقضى على الكرامة والأخلاق فى مصر؟!

انتهى الدجوى من سؤالى ومناقشتى فعدت إلى القفص، وخرجت حميدة لتجيب على أسئلته. ولما فرغت من الأجوبة وعادت إلى القفص. ابتدأت مرافعة النيابة ولست أدرى إذا كان يجوز أن أسميها مرافعة. فقد هبطت فيها النيابة إلى درك أسفل من انحطاط اللفظ وقبحه، وشنيع ما نطقت به من عبارات القذف فى الأعراض والسباب للأبرياء. وكانت ظلمة تخيم على وجه المتكلم باسم النيابة وتمتد لتطمس المحكمة كلها..

وضاق صدرى بالباطل المجسم فى النيابة والمحكمة، فرفعت يدى أطلب الكلمة. فظن الدجوى المدعى أنه قاض، أنى سأعتذر خوفا من باطلهم وتهديدهم وما طلبته النيابة من إعدامى لأن الأشغال الشاقة المؤبدة لا تكافئ جريمتى.. ونظر الدجوى نحوى والجهل يغطى وجهه وقال: تكلمى.

وقفت وقلت:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. نحن أمناء أمة وورثة كتاب وحماة شريعة، ولنا فى رسول الله أسوة حسنة. وإننا لثابتون على الطريق حتى نرفع راية لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وحتى تلتزم بها الأمة. وحسبنا الله ونعم الوكيل فيما افترى الظالمون. وأشرت إلى النيابة والمحكمة معًا وأنا أردد: حسبنا الله ونعم الوكيل فى هذا الباطل والبهتان والإثم المبين».

وأخذت الدجوى نوبة هستيرية فصار يصرخ: «اسكتى اسكتى هى بتقول إيه؟ يعنى إيه (أسوة). إيه معناها الكلمة دى؟! ويكرر هذا.. وهنا ضجت القاعة بالضحك على ذلك الذى حكموا عليه أن يكون قاضيًا وهو لا يفهم معنى كلمة «أسوة» وهكذا كان عبد الناصر ينتقى رجاله!! وهل يكون أعوانه الخاسرون إلا خاسرين؟!! جلست وأنا أقول: ما الجهل إلا مفسدة ولكل سوء مجلبة. ليشهد التاريخ على من يحاكموننا ويحكموننا..

وانتهت الجلسة وعدنا إلى السجن وعاد كل منا إلى زنزانته بعد أن حاسبونى على ما قلت فى المحكمة . .

أجهل من الجاهلية..

واعتقدت أنه بمحـاكمتى انتهت المتاعب بالنسبـة لى، ولكنى فوجئت بأنهم يستدعـوننى للتحقيق مـرة أخرى فى المكاتب، ويسألوننى عن أشـخاص، فإذا أجـبت بأنى لا أعرفـهم بدأوا مـعى التعـذيب من جـديد والوقوف ووجـهى للحائط. وهـكذا استمـر التعذيـب رغم انتهاء المحـاكمة، فـهل وقع هذا من محـاكم التفتيش أو أى مـحاكم أخرى فى التـاريخ؟ هل وقع فى بداية الدعوة وفى ظلام جاهلية قريش؟

اللهم لا!! والتاريخ يشهد.

النطق بالأحكام

جاء اليوم الموعـود للنطق بالأحكام، أخرجونا أنا وحمـيدة فى عربة خلف عربة الرجال ومعنا الحرس، وذهبنا لنستمع إلى الأحكام.

أجلســونا فى حجـرة وانتظرنا إلى أن انتـهى الحكم على الرجال فـأدخلونا القاعة وكان أحد الضباط يجلس فيها، نادى اسمى ثم قال:

زينب الغزالى الجبيلى أشغال شاقة مؤبدة ٢٥ عامًا مع مصادرة المضبوطات.

قلت: الله أكبـر ولله الحمد، فى سبـيل الله وفى سبيل دعـوة الحق، دعوة الإسلام، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران: ١٣٩].

ثم نادى حميدة قطب وقال: عشر سنوات أشغال شاقة، فضممتها إلى صدرى وأنا أردد: الله أكبر ولله الحمد، فى سبيل دولة القرآن، الحاكمة بالقرآن والسنة إن شاء الله.

وصرنا نردد هذا حتى وصلنا إلى حوش المحكمة، فوجدنا الإخوان فى العربات، وكنا قلقين نريد أن نطمئن على أحكامهم، فلما رأونا صاحوا سائلين: إيه يا أخت زينب؟!

قلت: ٢٥ سنة أشغال شاقة مؤبدة فى سبيل دولة الإسلام الحاكمة بالقرآن والسنة إن شاء الله.

عادوا يسألون: والأخت حميدة؟ قلت: عشر سنوات أشغال فى سبيل الله ودعوة الإسلام.

وسألتهم عن أحكام الأخ سيد قطب والأخ عبد الفتاح إسماعيل ويوسف هواش وبقية الإخوة.

فقالوا: شهداء فى سبيل الله! ففهمت أنه إعدام وقلت: اللهم تقبل فى سبيل دولة الإسلام الحاكمة بالقرآن والسنة إن شاء الله.

وجاء صفوت الروبى ومعه عساكر من السجن الحربى وعساكر من البوليس فأخذونى وحميدة بالقوة إلى عربة صغيرة وجاء الصحفيون ليصورونا، وهجمت على آلة تصوير أحدهم أريد تكسيرها.. صائحة فيهم: يا مصفقون لكل ظالم، يا آكلى السحت على موائد الطواغيت، ماذا تفعلون؟

وعدنا إلى السجن وجرت المحاسبة على ما صدر.

ومنذ هذا التاريخ بعد صدور الأحكام جمعونا أنا وحميدة قطب فى زنزانة واحدة.

وبعد الحكم بخمسة أيام طرق باب الزنزانة وفتح ودخل علينا الأخ سيد قطب ومعه الضابط أركان حرب السجن - ويدعى إبراهيم - وصفوت الروبى.

وانصرف الضابط وبقى صفوت والأخ سيد قطب.

قلت: مرحبا يا أخ سيد، هذه مفاجأة سارة وغالية علينا جدا، إنها لحظات من رضوان الله أن تجلس إلينا.

وجلس يتحدث إلينا عن الآجال ومواعيدها وأنها بيد الله ولا أحد يتحكم فيها إلا الله، وأمرنا بالرضا والتسليم، وكان الحديث عن الرضاء بقضاء الله، وأسر إلى حميدة ببعض كلمات، كما أسر إلىّ ببعض كلمات أيضا.

وهنا غضب صفوت وزمجر وأنهى المقابلة.

وهكذا الطغاة لا يستطيعون ممارسة الخير فى أى لحظة من حياتهم. ونظر إلينا الإمام الشهيد وقال: ما علينا.. فلنوطن أنفسنا على الصبر.. وسلم علينا وانصرف..

المساومة الأخيرة قبل الإعدام

طلب الطغاة حميدة ليلة تنفيذ الحكم بالإعدام. وسأتركها تقص علينا ما جرى. قالت:

استدعانى حمزة البسيونى إلى مكتبه، وأرانى حكم الإعدام، والتصديق عليه. ثم قال لى: إن الحكومة مستعدة أن تخفف هذا الحكم إذا كان شقيقى يجيبهم إلى ما يطلبون، ثم أردف قائلا:

إن شقيقك خسارة لمصر كلها وليس لك وحدك، إننى غير متصور أن نفقد هذا الشخص بعد ساعات، إننا نريد أن ننقذه من الإعدام بأى شكل وبأى وسيلة. إن بضع كلمات يقولها ستخلصه من حكم الإعدام. ولا أحد يستطيع أن يؤثر عليه إلا أنت، أنت وحدك مكلفة بأن تقولى له هذا.. أنا مكلف بأن أبلغه هذا ولكن لا أحد أفضل منك فى تبليغه هذا الأمر. بضع كلمات يقولها وينتهى كل شيء!

نريد أن يقول: إن هذه الحركات كانت على صلة بجهة ما، وبعد ذلك تنتهى القضية بالنسبة لك، أما هو فسيفرج عنه بعفو صحى.

قلت له: ولكنك تعلم - كما يعلم عبد الناصر - أن هذه الحركة ليست على صلة بأى جهة من الجهات.

قال حمزة البسيونى: أنا عارف وكلنا عارفون أنكم الجهة الوحيدة فى مصر التى تعمل من أجل العقيدة، نحن عارفون أنكم أحسن ناس فى البلد، ولكننا نريد أن نخلص سيد قطب من الإعدام.

قلت له: إذا كان سيادتك عاوز تبلغه هذا فلا مانع!

فنظر إلى صفوت وقال: خذها يا صفوت إلى أخيها.

وذهبت إلى شقيقى وسلمت عليه وبلغته ما يريدون منه، فنظر إلى ليرى أثر ذلك على وجهى، وكأنه يقول: أأنت التى تطلبين أم هم؟ واستطعت أن أفهمه بالإشارة أنهم هم الذين يقولون ذلك.

وهنا نظر إلىّ وقال:

«والله لو كان هذا الكلام صحيحًا لقلته ولما استطاعت قوة على وجه

الأرض أن تمنعنى من قوله. ولكنه لم يحدث وأنا لا أقول كذبًا أبدًا».

سأل صفوت: يعنى ده رأيك؟

أجاب بقوله: نعم.

فتركنا صفوت وقال: على العموم تقدروا تقعدوا مع بعض شويه..

وانصرف وأفهمت أخى الحكاية من أولها، وقلت له: إن حمزة استدعانى وأرانى تنفيذ حكم الإعدام. وطلب منى أن أطلب منك هذا الطلب.

سأل: وأنت ترضين ذلك؟ قلت: لا. قال: إنهم لا يستطيعون ضراً ولا نفعاً. إن الأعمار بيد بالله، وهم لا يستطيعون التحكم فى حياتى ولا يستطيعون إطالة الأعمار ولا تقصيرها، كل ذلك بيد الله. والله من ورائهم محيط.

ونفذ الطاغوت أحكامه

وبعد أيام سمعنا عن تنفيذ الأحكام بالإعدام فى الإمام الشهيد سيد قطب والشهيد عبد الفتاح إسماعيل، والشهيد محمد هواش.

ووقع علينا إعدام سيد قطب وأخويه موقع الصاعقة، فالكل كريم عزيز مجاهد، وشقيقة سيد تقيم معى فى الزنزانة، كيف أواسيها؟ كيف أخفف عنها؟ ما الذى أستطيع أن أفعله؟ بل كيف أخفف عن نفسى؟ وبماذا أواسى نفسى فى هذا المصاب؟ إن الحادث جلل، والمصاب فادح، فإعدام سيد قطب وأخويه فى الله والجهاد ليس بالأمر الهين!..

سيد قطب مفسر القرآن، الداعية الإسلامى، الحكيم فى فهمه وبيانه وصفاء منهجه، وقوة حجته، المتمسك بدينه، الواثق بنصر الله!

أليس هو صاحب التفسير العظيم «فى ظلال القرآن» الذى فتح باباً جديداً للتفكير فى كتاب الله والوقوف عند أحكامه، وبيّن كيف يكون الالتزام؟!

سيد قطب الذى وضح فى مقدمة سورة الأنعام: أين الطريق؟

سيد قطب.. صاحب: هذا الدين، والعدالة الاجتماعية، والمستقبل لهذا الدين، والتصوير الفنى فى القرآن، ومشاهد القيامة، وما يربو على العشرين كتاباً فى كل معرفة من علوم القرآن!

إن الكلمات لاتسعف فى المواساة فى مثل هذا الحادث.

اقرأوا «المعالم» لتعرفوا لماذا حكم عليه بالإعدام!

إن البعث الإسلامى فى القوتين العظميين هو ما يركز عليه الشهيد سيد قطب. ومعنى ذلك أن تنتهى دولة القوتين العظميين وأن تحكم الشريعة العالم، لا تلك الهمجية الجاهلية.

نعم. إن بعث الإسلام معناه إنهاء قوة الأمريكان والروس وأن تقوم القوة الشرعية صاحبة الحق الشرعى فى حكم هذا العالم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وستقوم بإذن الله ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

الأيام الأخيرة بعد الأحكام فى السجن الحربى

يوم تنفيذ الأحكام رأيت سيد قطب فى سنة خفيفة بعد صلاة الفجر. فقال لى: اعلمى أنى لم أكن معهم، أنا كنت فى المدينة مع حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وتنبهت فحكيت لحميدة.

وفى صبيحة اليوم الثانى لتنفيذ أحكام الإعدام، أخذتنى سنة من النوم كذلك بعد صلاة الفجر، وأنا أتلو أذكار ختم الصلاة، فسمعت صوتاً يقول لى: سيد فى الفردوس الأعلى ورفقته فى عليين.

تنبهت وحكيت لحميدة فانهمرت دموعها وقالت: أنا على ثقة من فضل الله علينا وبأنه إن شاء الله فى الفردوس الأعلى. قلت لها: وهذه الرؤى تثبيت من الله سبحانه وتعالى ومواساة.

نعم ونفذ أمر الله وعشنا فى شدة قلّ أن يحتملها بشر، وظننا أننا سنعيش فى صمت نضمد الجراح لا تلاحقنا فيه قسوة الاستجوابات والتحقيقات. فقد انتهت المعركة الفاجرة بعد الأحكام وتنفيذها.

ولكن كيف!! فمازال الفجار يطلبوننى للمكاتب وأترك حميدة نهباً للألم والقلق والانتظار الخائف القلق حتى أعود إليها فتسألنى، فأحكى لها أن الطغاة قبضوا على مسلمين جدد وأنهم يسألوننى عن أسماء لا أعرفها، ويريدون أن يلفقوا لى قضية أخرى فحكم المؤبد لايكفيهم.

نعم عشنا بعد الأحكام وتنفيذها فى السجن الحربى مهددين، لم ترتفع عن حياتنا ظلال التهديد والتعذيب. لكنا وجدنا فى القرآن خير سكن فعشنا معه وصدق الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وطلبنا أن يصرحوا لنا بقراءة الجرائد، ووعد حمزة بإحضارها لنا على حساب أماناتنا فى السجن، وجاءتنا الجرائد فخففت من قسوة الانقطاع ووصلتنا بأخبار الأحياء خارج الأسوار!.

عشنا فى السجن الحربى نلوك شدة قسوة الأيام وتهديدات المكاتب، فلم تنقطع المؤامرات على حكم عبد الناصر، وكلما وجدوا مشتركا فى مؤامرة

عسكرية سألـوا زينب الغزالى هل تعرفه، وتكررت صـور الإرهاب والتهديد، فلم تكن تمر أيام إلا ومؤامـرة عسكرية جديدة، والويل لزينب الغـزالى إذا كان بالمؤامرة مدنى!!.

(.. ومات زوجى)

عقب رجـوعى من سمـاع الأحكام طلبت من حمـزة البسيـونى أن يرسل لزوجى لأننى أريد مقـابلته، ولما لم يحضر كـررت طلبى، فطلبونى فى المكتب وسألونى عن سبب إلحاحى فـقلت: لقد حكم على بالسجن ٢٥ سنة وأنا أريد أن أبلغـه أننى أعفـيه من التـمسك بـرباط الزوجيـة ليكون حرا بعـد ذلك فى تصرفه.

أجاب حمزة فى غلظة: سيعملها جـمال عبد الناصر، ما أعدمكيشى. لكن حايموتك بالتدريج!...

قلت: الله الفعال، وعبـد الناصر وأنتم والدنيا كلها مجتـمعة لا تستطيع أن تسقط ورقة من شجرة إلا بإذن الله.

قال: نحن سنأتى لك قريباً بورقة الطلاق.

خرجت وأنا أقول: أنتم وحوش.

وعدت إلى الزنزانة، ومرت أيام قاسـية، وفى يوم كنت أصلى الفجر وأتلو القرآن فأخذتنى سنة من النوم، فرأيت فيما يرى النائم صورة زوجى فى صفحة الوفيـات وأنا أقرأ نعيه، انتـبهت وأنا أردد: اللهم لا أسألك رد القـضاء ولكن أسألك اللطف فيه!.

ووجدت حميدة تردد نفس الدعاء، دهشت لكنى كتمت عنها ما رأيت، وتكررت الرؤيا.

ووصلتنا الجرائد صباح يوم جمعة فأخذت أتصفحها، وإذا بى أجد نعى زوجى. قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إنا لله وإنا إليه راجعون. فى الجنة إن شاء الله يا حاج محمد!.

توفى زوجى.. ولقى ربه، يحمل بين يديه سجلاً حافلاً بفجور الطغاة، يعرضه عليه سبحانه، الحى القيوم، الديان، مالك السموات والأرض.

لقد حمله الطغاة، وهو على فراش المرض، مصاباً بالذبحة الصدرية، إلى السجن، وقد ساوموه على حريته نظير أن يدلى بأقوال معينة ضدى.. أنا زوجته!! فلما رفض نقلوه إلى سجن انفرادى، فيا للعار!! لقد آثر أن يُلْقى سالم محمد سالم فوق أسفلت الزنزانة، وأن يظل كذلك حتى تهددت حياته بالخطر، وطلب طبيب السجن الحربى «دكتور ماجد» ضرورة الإفراج عنه لخطورة الحالة.

وقد شاء الله له أن يفرج عنه، وأن يعيش، حتى يسمع الأحكام التى تصم العهد بالوحشية والظلم والبربرية.. فعاوده المرض ولقى ربه، يشكو إليه فى أعلى سماواته ظلم الطغاة وفجورهم على أرضه.

ومرت أيام وجاءت الأسرة لزيارتى، ومنها علمت أن جمال عبد الناصر وجنده خيّروا الرجل الطيب الإنسان الفاضل زوجى المرحوم الحاج محمد سالم سالم بين أمرين لا ثالث لهما: إما أن يطلق زينب الغزالى الجبيلى أو أن ينقل إلى السجن الحربى، وطلب منهم مهلة أسبوعين يفكر. فأصروا على الاختيار فوراً، وكان معهم المدعو أبو الوفا دنقل يهدد الحاج محمد بتنفيذ أمر عبد

الناصر، بل إن الفجور بلغ برجال المباحث أنهم أحـضروا المأذون معهم ليجرى الطلاق.

وقّع زوجى على ما كتبوا له وهو يقـول: اللهم اشهد أننى لم أطلق زوجتى زينب الغزالى الجبيلى.

كما قال لهم: أنا سأموت، اتركونى أموت بكرامتى، أنا سأموت وهى على عصـمتـى، حصل ذلك وزوجى مـريض، أصيب بعـد سمـاع الأحكام بشلل نصفى، وكان من قـبل مصاباً بذبحة نتيجـة استيلاء عبد الناصـر على شركاته وأمواله وأرضه وبيته. . فحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولم يطل به الأمر، فقد توفى رحمه الله بعد توقيعه على الطلاق. وسمعت الأسرة وقالت شقيقتى: إنها لما سمعت بما حدث غضبت ورفعت صورة للحاج كانت فى حجرة الصالون.

وغضبت منهـا وطلبت أن تعاد الصورة. فزوجى كـان أخى فى الله قبل أن يكون زوجى، وبيتى سـيبقى بيتـه مادمت على قيـد الحياة. لقد جـمعت بيننا العقيدة قبل أن يجمع الزواج، والزواج عرض من أعراض الحياة، ولكن الأخوة فى الله باقيـة خالدة لاتزول ولا تقاس بها الدنيـا وما فيها، وعـرفت أيضاً من الأسرة أنها قد حضرت منذ اللحظة الأولى لـلوفاة واشتركت فى تشييع الجنازة والعزاء، وقامت بما عليها من واجب وأحسست بشىء من الراحة لذلك.

وحـين خلوت إلى نفسى تذكـرت رؤيا منّ الله علىّ بهـا إذ رأيت حضـرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأرخت لها بين سطور المصحف الذى كنت أقرأ فيه، وعدت إلى التاريخ فوجدته مطابقاً لتاريخ حادث الطلاق.

نعم رأيت حضرة النبى عـليه الصلاة والسلام يمشى بملابس بيـضاء وخلفه مبـاشرة حسن الهـضيـبى بملابس بيضاء وعلى رأسـه طاقيـة. وأنا أقف ومعى السيدة عائشـة ومعها عدد من النساء، وقع فى نفسى أنهن وصيـفاتها، وكانت السيدة توصيـنى بكلمات، فلما أصبح الرسول عليه السـلام فى محاذاتنا نادى عائشة، وقال لها: صـبراً يا عائشة، صبراً يا عائشة، صـبراً يا عائشة، وكانت حقا عائشة رضى الله عنها تشد يدى كل مرة وتوصينى بالصبر!.

قمت من نومى وحكيت الرؤيا لحميدة، وأخذت أسأل الله أن يرزقنى الرضا والاحتمال، وتيقنت أن اختبـاراً جديداً فى طريقه إلىّ، فأخذت أضرع إلى الله أن يمنحنى عونه وصبره وثباتاً منه سبحانه وتعالى، إنه مجيب الدعوات.

وانضم إلينا جيران جدد

وفى ليلة من ليالى الشتـاء الباردة سمعنا ضجـة وجلبة فى الزنزانة المقابلة. وفُتـحت زنزانتنا ودخل صـلاح التمرجى وطـلب منا دواء ضد القىء كـان قد أدخله لنا فى الصباح، وأعطيناه الدواء.

وعلمنا منه فى اليـوم التـالى أن المسجـون فى الزنزانة المقـابلة رئيس وزراء اليمن ومعـه عشرون آخرون من رجـال الحكم هناك، وأن الشيخ الإيريانى فى الزنزانة المجاورة، لم ندهش لـذلك، فليس ثمة شىء يدهش، وكمـا يقال من يعش رجَباً يرى عجباً!!

هل حرر عبد الناصر اليمن بما فعل كما قالت أبواق دعايته؟

هل سمعتم أن إنجلتـرا عندما استعمرت مصر، أخذت عـشرات من رجالها إلى سجون لندن؟ هـل حملت بوارج بونابرت إلى سجون باريس رجـال مصر بعد حملتها عليها؟

يجب أن يحاكم عبد الناصر

هل لى أن أتساءل لمَ لمْ يحاكم عبد الناصر على ما ارتكب من جرائم لتستطيع مصر أن تواجه التاريخ وتقف ورأسها مرفوع؟.

إن الأمر لجد خطير إن لم تبرأ مصر من جرائم وقعت فى عهد عبد الناصر. وإلى أن يأتى ذلك اليوم فستظل مصر كلها مسئولة عن جرائمه؛ اللهم إلا الجماعة الإسلامية- جماعة الإخوان المسلمين - التى برئت إلى الله ورفعت صوتها عالياً باستنكار جرائمه، لقد خدعها فى أيام الحركة الأولى فأيدته، ولما علمت من هو، ولمن عمالته قررت فى عزمة الإيمان أن تقاومه، وكانت معركة الشرف بين الحق والباطل سنة ١٩٥٤، ثم معركة المجد سنة ١٩٦٥، نعم كانت معركة ٦٥ معركة مجد وشرف، لبعث الإسلام شامخاً قوياً، بعد أن خُيِّل للطاغوت أن دعوة الإخوان أصبحت تاريخاً يروى وعملاً سُدلت عليه الأستار، وقصصا تلوكها الألسنة وبعض رجال خلف قضبان السجون.

كانت معركة ١٩٦٥ وثبة الأشبال ونهضة الشباب من الجيل الذى ولد فى أيام انقلاب عبد الناصر وصَبَّ به كل ما يملك من سموم إعلامه وصناع حكمه. نعم ذلك الجيل الذى استوعبناه وبنينا به بعثنا للدعوة ونظمنا به صفوفنا من جديد، فجن جنون عبد الناصر؛ فقد سلبته امرأة ورجل جيله كما كان يصيح فيمن حوله، كانت المرأة أنا وكان الرجل عبد الفتاح عبده إسماعيل.

نعم أخذنا من جيله ذلك الفخار من شبابنا فبنيناه للإسلام، وكانت معركة دفعنا فيها أغلى رجال الدعوة: سيد قطب الإمام الفقيه، وعبد الفتاح إسماعيل رجل فى أمة وأمة فى رجل، ومحمد هواش ذلك العملاق فى الدعوة وفقهها.

وانتهت أيام السجن الحربى، والإخوان المسلمون كالطود الشامخ شرفاً ورجولة ومجداً. أما عبد الناصر فسجل خزيه يوم حملتنا عرباته وعساكره فى الخامس من يونيه من السجون الحربية إلى السجون المدنية لتفسح المجال لمن امتلأت بهم السجون من طغمته، يستر بهم عاره ويخفى بهم عمالته، ليستطيع أن يكمل المشوار إلى حيث يتم تنفيذ خطة الأسياد.

نعم جاء الخامس من يونيو بخزيه وعاره اللذين سيكبلان فرعون القرن العشرين ذلك «الذى طغى فى البلاد. فأكثر فيها الفساد» سيكلله بخزيه وعاره يوم يبعث للحساب.

الباب السابع

الانتقال إلى سجن القناطر

٥ يونيو

قبل هذا اليوم لن ينساه أحد. فى يومى ٣،٤ يونيو تكرر فتح الزنزانة علينا بغير سبب وبدون مناسبة. وليوجه إلينا سؤال إن كنا نريد شيئاً.. ثم تدور أحاديث موجهة عن الحرب والحديث عن عظمة المنادى بتحرير فلسطين والعرب!!

وكنا نظل فى صمتنا وسكوتنا.. وذات مرة كان المتحدث هو الطبيب. فتساءلت: هل سنحرر فلسطين؟! فاحمر وجهه غضباً لغير الله وسأل: يعنى إيه؟ قلت: ما دامت الصهيونية العالمية توجه أساليب الحكم للقوتين العظميين فلن يكون على الحاكمين بأمر هاتين القوتين إلا التنفيذ.. ولن تحرر فلسطين إلا بالإسلام، يوم يحكم بالإسلام ستحرر فلسطين!.

وجاء صباح الخامس من يونيو ولم تفتح الزنزانات.. وفجأة فتح باب الزنزانة مارد أسود من العساكر وصاح: لقد انتصر عبد الناصر يا ولاد الـ..

وخرج كما دخل ليأتى غيره بعد مهلة يشتمنا وينقل إلينا أخبار الانتصار وإسقاط الطائرات بأعدادها، ويخرج ليدخل ثالث بعد فترة فيروى أخبار الزعيم

الهمام وانتصاراته.. ورابع.. وخامس.. ونحن فى صمت لا نجيب.

ومع أذان العصر فتحت الزنزانة ودخل صفوت الروبى فى وحشية وأخذ يضربنى بحذاء غليظ فقد كان بملابس الميدان، كان يأخذنى بيديه ويرمينى إلى الحائط ثم ينزل بحذائه الغليظ على جسدى ركلا وهو يقول : احنا انتصرنا يا بنت الـ . . . ووقفت حميدة وهى تقول : ليه . .؟! والمجرم لا يكف عن ضربى حتى الإغماء فتركنى وأخذ يأمر العساكر المصاحبين له برمى حاجياتنا خارج الزنزانة، ثم عاد إلى ضربى. بعد ذلك أخرجنا من الزنزانة وساقنا وهو يكيل لى السباب قائلاً: انتصرنا . انتصرنا غصب عنك وموتك حل دلوقت (كان ذلك عصر ٥ يونيو سنة ١٩٦٧) وأصعدونى وحميدة عربة جيش مصفحة مملوءة بالحرس من ضباط وعسكر. وخرجت السيارة من السجن الحربى، وكان أركان حرب السجن بجانب سائق السيارة، وصرت فى غير وعى ومن غير تفكير من قسوة الضرب أردد: حسبنا الله ونعم الوكيل، كنت أرددها بصوت مرتفع جدا. وأحسست أن السماء والأرض وكل الكون ينطق معى ويشكو إلى الله . وكنت كلما نبهتنى حميدة لأصمت أخذتنى غيبوبة وصرت أردد: حسبنا الله ونعم الوكيل. وكنت أحس وأسمع الكون ينطق بها معى..

كنت على يقين من أننى مسوقة إلى الإعدام كما ذكر صفوت وهو يضربنى فى الزنزانة، فانصرفت الى الله بكل مشاعرى وأنا أتلو ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ [التوبة ١١١]، وقولة تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٤]

وأتمثل قول القائل :

ولست أبالى حـــين أقـتل مـــسلمـا

على أى جنب كـان فى الله مصـرعى

وقول القائل:

أقـول لهـــا وقـد طارت شـعـــاعـاً

مـن الأبـطـال ويحـك لـن تـراعـى

فــــإنـك إن طلبـت بقـــــاء يوم

علـى الأجل الـذى لك لـم تطـاعى

فـصـبـراً فى مـجـال الموت صـبـراً

فـــمــــا نـيل الخلـود بمســـتـطاع

وفجأة وقفت العـربة وأخذت حميدة تهزنى وفتـحت عينى، فإذا نحن أمام سجن القناطر للنساء.

ليلة عذاب نفسى

وابتلعـتنا بوابة السجن وأدخلنا حـجرة المأمـور. وفُتشت حـقائبنا تفـتيـشاً دقيقا. كان الوقت ليلا. وأخذتنا امرأة يقال لها (باش سجانة) تدعى عنايات إلى حجرة بجوار حجرة المأمور، وهناك فتـشونا مرة أخرى وألبسونا ملابس السجن وأدخلنا حجرة ليس لها باب غير أعمدة حديدية متفرقة، بها سرير من طابقين: الطابق الأول تالف، والثـانى عليه وسادة مـهلهلة. وكانت الحجـرة مطلة على صالة بها ثلاثة عنابر فيها نساء، علمت بعد ذلك أن أحكاماً قد صدرت عليهن بسبب السـرقة وتجارة المخـدرات والسلوك المنحرف .. والقـتل .. وكان النوم

يداعب جفوننا وما يكاد يلامسها حتى يفارقها .. الليل ضارب أطنابه.. والظلام يكسو المكان بوحشته، والنفوس أشربت الرذيلة، والعنابر أغلقت بما فيها من سوء، فظهر الانحطاط الخلقى وظهرت المستنقعات الآسنة بالرذائل، فهوت البشرية الى أبعاد سحيقة انحدرت بالإنسان عن آدميته. وهكذا مر الليل بساعاته الطويلة ونحن نرى ونسمع ما يؤذى النفوس ويجرح المشاعر.

وقضينا تلك الساعات الطويلة فى ذكر الله تعالى نذكره ونسبحه ونتلو آياته ﴿ألا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وما كاد يبزغ ويشرق النهار بضوئه حتى سرت طمأنينة إلى نفوسنا، وتضرعنا إلى ربنا سبحانه سائلين متوسلين أن يجعل لنا فرجاً ومخرجاً.

ولن أنسى هذه الليلة فقد كانت ليلة شديدة وقاسية وإن لم يكن بها سياط.

وظلت ابنتى حميدة تبكى حتى أغمى عليها وكنت أحاول التخفيف عنها. وأقول لها إننا حملة أمانة، ورواد رسالة، فلابد من الصبر والتحمل .. تحمل مشاق الطريق والصبر على ما نرى وما يجرى علينا، وأجرنا على الله ..

إن كل ما أصابنا فى السجن الحربى من إهانة للنفس، وضرب بالسياط وتمزيق الأبدان، وتنكيل وبطش بل وقتل وتجويع وعطش و .. إن كل ذلك لا يساوى ما رأينا وسمعنا فى هذه الليلة التى عشناها وأمامنا ذلك القطيع الضال من عالم البشر التائه فى سراديب الجاهلية. ذلك القطيع من عالم المرأة المسكينة التى يقال لها إنها تحررت، فصارت عبداً للشهوات والأهواء وأصبحت الجريمة حرفتها فأغرقتها، فنسيت إنسانيتها وطهرها وعفافها ومكارمها فغدت حيوانا لا يعرف معنى للحياة إلا لشهوة الفم والفرج !! **كبهيمة عمياء قاد زمامها .. أعمى على عوج الطريق**، فضلت وأصبح هواها يقودها الى مهاوى الرذيلة

وساعـدها فى ذلك المفـسدون فى الأرض أهل البـاطل والإلحاد. وقـوى الشر والإجرام.. وفـى هذا الجو المشـحون بالأهواء والمفـاسد والظلم والظلـمات، انطلق نداء الفجـر، فبدد بإشـراقة الصبـاح تلك الغيـوم السوداء فتـوجهنا إلى الرحمن الرحيم فصلينا ودعوناه راجين فرجه ورضوانه .. !

وجاء وقت فـتح العنابر بعـد ساعات وطلـبت من السجـانة مقابلـة المأمور وعادت بعد ساعة تدعونا إلى مكتب المأمور..

صراع من نوع جديد

دخلت أنا وحميـدة على المأمور فقال لنا: الكانتـين ممنوع والزيارة ممنوعة، وليس لكمـا أى حق من حقـوق المساجـين. أنتمـا (تكدير) حتى نؤمر بـأوامر أخرى. فاهمين!

قلت له: إننا لم نطلب مـقابلتك لهذا الأمـر ولكن جئنا لنسألك .. فـقال مقاطعاً: أنتم طلبتم مقـابلتى؟ قلت: نعم، إننا نطلب تغيير الزنزانة. وأضافت حميدة: حجرة لها باب لا قفص حيوانات .

قـال : إيه الكلام ده؟ حنرجعكم إلى الـسجن الحـربى تانى وتشوفـوا اللى شفتوه؟! قلت : نحن لا نستطيع البـقاء فى هذا المكان الذى لا يليق بالحيوان. قال المأمور: أنا مـأمور وده سجن. وأنتم مسـجونون. ومافيش غـير كده. ثم وقف وصاح اتفـضلوا اخرجوا! قلت : سنظل فى فناء السـجن ولن نعود إلى هذه الحجـرة أبداً .. وليكن ما يكون .. قـال: السجن سجن وإذا مـاكنتوش حـتنفذوا الأمـر سنطلق عليكـم الرصاص فـوراً. قلت: القـتل أهون من هذا العيش والآجال بيد الله سبحانه، وقتلكم لنا شهادة. فأخرجنا من مكتبه وتركنا فى حوش السجن.

وبعد فترة نادى المأمور الباش سجانة قائلا لها : وديهم يا سعاد على الملاحظة. وقالت سعاد : ألف مبروك حتقعدوا فى الملاحظة.

وصعدنا درجات لسلم الملاحظة، ودخلنا إلى عنبر واسع به عشرون سريرا للسجينات، وبعد ساعة جاءت السجانة المختصة بالملاحظة وقالت تعالوا، الإيراد جه، ولم نفهم مقصدها، غير أنها أخذتنا وأوقفتنا فى صف من النساء يسمى الإيراد. والإيراد هو قطيع من البشر الحائر فى مجتمع ضاعت فيه القيم والمعانى فهوى إلى الرذيلة، إلى هوة سحيقة ، فجىء به إلى السجون. .

وسمعت السجانة تقف على باب حجرة وتصيح : إلايراد النهارده خمسة وأربعين، خمسة وعشرين تسول، خمستاشر دعارة، وثلاثة سرقة و اثنين سياسيين. . تعنى بالسياسيين أنا وحميدة .

خرجنا من ذلك الطابور ، وأخذت حميدة معى فقالت السجانة رايحين فين؟! انتظروا لما ييجى دوركم.

قلت لها : سنقف وحدنا، ولسنا من هذا الإيراد. قالت : بتقولى إيه يا ادلعدى؟ قلت : سنقف وحدنا. قالت : معلهش، ودول مش خلق الله زيكم؟!

لم أجبها ولزمنا الصمت، أخذت السجانة فى إدخال البشرية الضالة إلى حجرة ثم جاءت إلينا تقول: الست الدكتورة أمرت أن تجلسوا حتى تنتهى وتدخلوا إليها. ولما فرغت الطبيبة استدعتنا ودخلنا فسألتنا عن الاسم والسن وما نشكو منه، ثم أخذونا الى حجرة وأغلقوا علينا بابها. ولم يمض وقت طويل حتى ارتفع الصراخ وعلا البكاء وساد الجميع حزن ووجوم وتحسسنا الخبر، ماذا حدث؟! قالوا : النكسة !!

وحدثتني نفسي حديثاً طويلا: وأي نكسة تلك يا ترى ؟! آه من لك أيها الشعب المسكين! ما أكثر نكساتك! لقد تعددت فما أعظمها ! وما أعمقها وما أقساها! لقد أصابت شعبنا نكسات ونكسات: نكسة فى الخلق. نكسة فى الرجال . نكسة فى . . ، وأخيراً نكسة ٥ يونيو!!!

وكانت طامة كبرى، جعلت عبدة القردة والخنازير وأذلاء الأرض المغضوب عليهم من السماء إخوة الشياطين، جعلتهم النكسة يستعمرون أرضا عربية ويحكمون أهلها ويذيقونهم من العذاب أصنافاً، ومن ألوان البطش والتنكيل ما تمتلئ به نفس يهودية حقيرة ذليلة . .

واستطرد حديث نفسى : ما هذا الذى نعيشه ونحياه؟! الإسلام - القوة والعزة والكرامة - يقتل، ويقتل أبناؤه ولا يسمح لهم بالحياة ولا حتى أن يتنسموا نسيمها أو ينبتوا ولو رويداً رويداً. قتلوا الاسلام وأصحابه فقتلوا الرجال والعزة والمنعة. هؤلاء الرجال. حقا هم الذين بفضل الله تعالى يقهرون الباطل وأهله، مهما تعددت أنواعه وتغيرت أشكاله واختلفت صوره وأسماؤه. بهم تعلو الأرض العزةُ والكرامةُ، وتغدو البشرية لربها خاضعة عابدة تتنسم عبير الطاعة وتسلم البشرية لربها راضية، تسلك طريق العبودية ذللا، وتستجيب لنداء الحق مهما كانت تكاليفه ومهما كانت تضحياته. أسمع من حولى يتهامسون، لا تتهامسوا ولا تتناجوا وكونوا صرحاء أقوياء.

إن النكسة بما كسبت أيديكم، واتخذتم كتاب الله تعالى وراءكم ظهريا. والله لو نَصَرْنا الله لنصرنَا . . لو نصرناه بإسلام وجوهنا وقلوبنا اليه، لونصرناه باتباع شرعه القويم ونهجه المستقيم، لو نصرناه بالمسارعة الى محابه ومراضيه واجتناب نواهيه. لو نصرناه. . والله لو نصرناه لنصرنا : لنصرنا برضوانه علينا. لنصرنا بالتمكين فى الأرض والخلافة عنه سبحانه. لنصرنا على قوى

الأرض الباطلة الحائدة عن طريقه المستقيم، فبكتاب الله وسنة رسوله ﷺ تنصرون وتمكنون فى الأرض، وتسعدون فى الدارين دنيا وآخرة. ففى طاعة الله العزة والسعادة والنصر والغلبة والتمكين وجنات النعيم فى الفردوس الأعلى عند رب العالمين ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ومن قول سيدنا عمر: «.. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله. ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ..». وببعدكم عن الكتاب والسنة: تهزمون وتشقون، وتزلون وتكون النكسة. بل ونكسات. ففى معصية الله الذل والبؤس والهوان والضعف والجحيم والعذاب المقيم. ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

وتجول نفسى فى معانٍ كثيرة، ويساعدها على ذلك الواقع المر والحاضر الأليم، يساعدها على استرسالها ويحز ذلك فى نفسى إشفاقاً ولوعة، وحزناً وأسى.

وتستيقظ نفسى من حديثها على نداء ابنتى حميدة، فأجد نفسى أجلس بجوارها فى حجرة مغلقة علينا، ويصل إلى سمعى ذلك الصياح والبكاء على حامى الإسلام! عشنا فى هذه الحجرة مغلقا بابها إلا لماما، لا ندرى شيئا مما حولنا. وفى ذات يوم استطعنا أن نحصل على حين غفلة من الحارسة على علبة سجائر، فكانت هذه العلبة مفتاحاً سحريا لقلب السجانة الغليظة القلب.

وبها فتح لنا باب الزنزانة مدة أطول فتمكنا أن نتبين ما يدور حولنا . . كان بجوار حجرتنا حجرة تسكنها امرأة مع طفلها الذى لا يعلم له أبا، وأمامنا امرأة أخرى تقضى أيامها الأخيرة فى مرض السل نتيجة سلوكها المشين، وبجوار هذه الحجرة عنبر فسيح يحوى ألواناً من الأمراض المزمنة المعدية، وفى نهاية المبنى من ناحية تقع دورة مياه صرح لنا بالذهاب إليها مخالطين لهذه البشرية المريضة بمرض الجاهلية والأمراض البدنية المعدية. وفى الناحية الأخرى من المبنى توجد بعض النساء اللائى لم نعرف جنسيتهن فى حجرات نظيفة مفروشة مزينة وتوجد فى هذه الناحية أيضا دورة مياه صحية. علمنا ذلك كله لأن كل من هنا يسمون ذلك الجانب «الهيلتون».

كان الجوع قد أخذ منا مأخذا شديداً حين أهدتنا إحدى المسجونات قليلاً من الطعام، كان لإهدائه أثر جميل جدا فى قلوبنا. فقد أحسسنا بأن الغابة على وحشيتها وحيوانيتها لم تخل من إنسانية. طلبنا من السجانة السماح لنا بالذهاب الى دورة المياه الثانية لنظافتها وخلوها من الألفاظ الجارحة والعبارات النابية، فقالت السجانة : دورة المياه الثانية خاصة بالست الدكتورة واليهود . . فسألتها متعجبة مستفسرة تقولين : يهود؟

قالت : نعم ستات يهود. مدام مرسيل، مدام لوسى، وهم كتير . . قاعدين ومتنزهين، لا أحد يقول لهم كلمة ولا يؤخر لهم طلباً. زى البيت وأحسن شوية، كلهم جايين فى تجسس. ثم قالت : كلموا الست الدكتورة يمكن يسمحوا لكم بالذهاب إليها.

وبعد أخذ ورد فى هذا الأمر بيننا وبين المأمور انتهى برفض طلبنا متعللا بأن ذلك خاص باليهود! . .

رأينا من ألد الأعداء .. إنسانية!

أسلمنا أمرنا لله تعالى وانشغلنا به سبحانه وبتلاوة آياته الكريمة. وبينما أعيش مع ابنتى حميدة تلك اللحظات الربانية دخلت سيدة طويلة القامة شقراء، وألقت علينا التحية فرددنا التحية، ثم قالت حضرتك زينب الغزالى قلت: نعم، قالت: أنا مرسيل مسجونة سياسية وطبعا - بيننا وبينكم خلاف فى العقيدة، فأنا يهودية وأنتم مسلمون، ولكن النفس لا تخلو من إنسانية، خاصة وقت الشدائد والمحن- فلا مانع أن تكون بيننا وبينكم معاملة طيبة فى السجن. أما خارجه فبيننا الحرب والقتال أو الخلاف فى الأهداف، أما الآن فنحن جميعا فى شدة وقسوة. ولقد جئت إليكم فى غفلة من المسئولين لأعرض عليكم تعاونى لخدمة بعضنا لبعض. فشكرناها على ذلك ثم قالت: نحن لدينا إمكانيات للأكل وإن كانت قليلة فسنقتسمها معكم وسأتحرى أن لا يكون فى الأكل ما هو محرم عندكم، ونحن اليهود لا نأكل لحم الخنزير مثلكم.

ومرت أيام كانت مرسيل اليهودية تحضر لنا بعضاً من المأكولات. وكان أهم من ذلك كله أن هذه اليهودية دبرت لنا أمر استعمال دورة المياه الخاصة بهم...

أحست ابنتى حميدة الحرج من تلك الأمور فقلت: إن الله سبحانه وتعالى يسوق الخير لعباده على يد من يشاء، والله تعالى لا يعنت عباده ولا يديم عليهم العسر، وليس لنا حيلة إلا أن نتعايش مع الإنسانية أينما وجدت ما دام ذلك فى دائرة الإسلام.

ورأينا فى تلك الغابة الموحشة والصحراء الجرداء القاحلة إنسانية متمثلة فى طبيبة مسيحية تقدم لنا عونها بين الفينة والفينة، فعجبنا لهذا الطابع الإنسانى

النادر وجوده فى مثل هذه الظروف...

وقدمت لنا أيضا مسجونة لم تخل من قلب رقيق كيف نعيش ونتعامل فى هذا المكان مع تلك الإنسانية المهدرة. كل شىء يشترى بالمال، فتح باب الزنزانة لمدى أطول بالمال.. وكذلك نسمة الهواء ولقمة العيش وما يستر الجسد.!! ... كل شئ هنا فاغر فاه ليبتلع ، الكل هنا سواء فى ذلك .. المسجونات والسجانات. وذلك يتطلب من الإنسان المال والجهد. فهل كان ذلك أمراً ميسوراً!.

الموت .. والطغاة

قد ينسى الطواغيت المستبدون أو يتناسون أنهم لابد سيشربون من الكأس: كأس المنية. كأس الرجوع إلى الله تعالى، يتناسون ذلك فيتجبرون ويطغون ويبطشون ويعذبون، والزمن عجلته تسير بمشيئة الواحد القهار، ويتعاقب الليل والنهار، وتولد أجيال وتنقضى أعمار، وتبلى أجساد وتُنزع أرواح انتزاعاً فلا يستطاع ردها.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[الواقعة: ٨٣ - ٨٧].

وفى وسط حياتنا المزدحمة بما نرى ونشاهد من صور تعكس حقيقة البشرية من حولنا، وانحدارها وهبوطها الى أعماق سحيقة من الرذيلة والانحطاط، تناقل الناس فى سجن القناطر نبأ موت عبد الناصر وهم حزانى يبكون. والله يعلم أننا ما كنا يوما شامتين فى موت أحد .. فهذه آجال وأعمار مقدرة

بمقدار، فلا يعـدو إنسان أجله ولا يستبـقى من عمره شيـئا. ولكن الموت نذير البشـرية وناقوس فنائها: أن أفيـقوا من سبـاتكم ودعوا طغيانكم وجـبروتكم، فذلك لا يغنى شيئا، ستتركون قوتكم وبطشكم، ومالكم وسلطانكم، وجندكم وحزبكم والأهل والأولاد، ستتركون كل ذلك وراءكم ظهريا وتحشرون إلى الله تعالى حفاة عراة كما ولدتكم أمهاتكم!

﴿ ..وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣، ٩٤].

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠١ - ١٠٨].

فمـوت إنسان وذهابـه إلى ربه تعالى لا يشـغل بال المخلصين الداعـين إلى ربهم سبحـانه فالموت حق فلا ينشغلون به. وكل ما يشـغلهم العيش فى طاعة

الله تعالى وكنف رضوانه، وبذل الجهد من النفس والنفيس فى سبيل رفع راية التوحيد. وعندما يأتى الأجل لهم أو لغيرهم ينتقلون إلى دار الحساب حيث الثواب والعقاب.

ومعركة الإسلام ليست معركة فرد أو أفراد، ولكنها معركة الحق مع الباطل معركة الإيمان مع الكفر، ومعركة العبودية لله تعالى ضد قوى الشرك والإلحاد والوثنية.

يموت من يموت ويقتل من يقتل. ولكن قتلى المؤمنين فى رحاب الجنة، فى الفردوس الأعلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فى جنات ونهر، شهداء أحياء!

﴿ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٧٣].

وأما قتلى وموتى الكفر والباطل والإلحاد ففى سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر، تشوى الوجوه والأبدان، كلما نضجت جلودهم بدلهم ربهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل، أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب. ليس لهم طعام إلا من ضريع، لا يسمن ولا يغنى من جوع.

﴿ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ

نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾

[فاطر: ٣٦، ٣٧].

وتسير الأيام سيرها كما شاء الله وقدر، وتنتهى آجال وأعمار ولا يستطيع إنسان رد المشيئة الربانية.

ويتناقل الناس نبأ موت عبدالناصر والبكاء والعويل والصراخ والنحيب يملأ الدنيا، وأحاديث الرثاء ليل ونهار لا تنقطع، لا يمل قائلها من بكاء أو تملق أو رياء. ووصل إلى سمعى كلمات شيخ ينعى الفقيد حامى حمى الإسلام..!

ولقد أقسم هذا الشيخ نفسه فى بيتى قبل ذلك بسنين إن من يسمى عبد الناصر حامى حمى الإسلام هو كافر، قد خلع ربقة الإسلام من عنقه، خسر الدنيا والآخرة.

وفى وسط هذه الظروف التى شحنوها بالحزن والأسى على الفقيد العظيم، استقبلنا نبأ انتقاله إلى الواحد القهار كما يستقبله من كان فى قلبه ذرة من إيمان، وغداً سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

تناقل الناس هنا فى سجن القناطر أننا لم نبك ولم نصرخ ولم نحزن ولم نتألم على بطل الأبطال! وحرك ذلك فى نفوس الأذناب الشائهة قلوبهم المريضة ونفوسهم التى تعهدت ألا تكون إلا فى خدمة سادتها ومطامعها وهواها، وتحركت لتصب جام غضبها علينا: كيف لا نحزن على.. عبد الناصر!

وتحرك الغثاء

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]

تحرك الأتباع من رجال النفاق والرياء والزلفى، وبذلوا المشقة والجهد. جهد

العبـيد لإرضاء سـادتهم ولو فى تافه الأمر، فـقاسينا من غلظ المعـاملة وسوء الأخلاق ما جـاد به الأذناب. وفى صبيحـة يوم عقب موت عبد الـناصر فتح علينا باب الزنزانة وإذا بسجانة تمسك بعصـا غليظة وتهجم بسرعة وكادت تحطم رأسى لولا أن الله سلم ونجانا مـن كيد المجـرمين، وعجـزت إدارة السجن عن مجـازاتها أو حـتى لومهـا أو شئ من هذا القبـيل، وتُركت وشأنهـا تجرى هنا وهناك وكأنها لم تصنع شيئا!

وفى أثناء زيارة أهلى لى أخبـرتهم بحادث الاعتـداء هذا، فبذلوا جـهدهم بالاتصال بالمسئولين صغيرهم وكبيـرهم وإرسال برقيات إليهم، فتحركت النيابة وأخذت تحـقق مع السجـانة على أنها هـى المدبر الوحيـد وأنها مصـابة بمرض نفسى!

طلبت لذلك عدم إكـمال التحقيـق وأبلغت النيابة أن المدبر والمخطط لذلك ليست هى السجانة ولكنها قوى الإلحاد و الباطل ومعتنقو البطش والإجرام، فلا معنى لمعاقبة من لا يملك من أمر نفسه شيئاً، ويتحرك بأمر مسئول كأداة لتنفيذ ما يدبر فى الخفـاء لإرهاب أصحاب الدعوات واستئـصالهم، ولكن الله غالب على أمره، وهذا نوع جديد من التـعذيب المعنوى لم يخطر بالبال، ابتكره تحت ظروف غير متوقعة ، قوم أضلهم الله فما لهم من هاد.

ابتلاء جديد

كان يوم ٩ أغـسطس سنة ١٩٧١ يومـاً مشـهوداً ، إذ حمل صـباحـه إلينا اختباراً جديداً حـين جاءت سجـانة مهرولة تدعـونى بسرعة لمقـابلة المأمور فى مكتبه.

شدتنـا المفاجأة وجـعلتنا نذهب بفكرنا فى الأمـر . . ماذا يكون ومـاذا يدبر الطواغيت والظلمـة؟! أهناك بلاغ كيدى بأننا ننشـر الإسلام فى هذا المكان، أم هناك خـبـر عن الأهل والديار، أم هناك مـخالفـة ولا ندرى بهـا أم. . . . ؟! عشرات من علامـات الاستفهام؟؟ لم يخطر ببالنا مـا تأتى به الأقدار، فذهبت إلى مكتب المأمور فوجـدت أمراً بالإفراج عنى وحدى. وكان شيـئاً مذهلاً فأنا صاحبة الحكم المؤبد بالأشغال الشاقة أخرج لتبقى ابنتى وحيدة فى هذا المستنقع الآسن، تقاسى ما تقـاسى، فانزعج قلبى من أعماقه وسـيطر على نفسى حزن عميق وحيرة بالغة وبدون شعور صرخت قائلة : لا . . لا. لن يكون هذا أبدا . . لن أخـرج وأترك ابنتى، إنكم أصـحـاب فتنة وتـخطيط مظلم!. . وثارت ثورتى وشعرت بتعب وإجهاد واضطراب فى النفس والمشاعر.

وبعد دقائق قليلة وجدت ابنتى حميدة أمـامى فى حجرة المأمور. استدعاها لتهدئتى ولتخـفف عنى ما أنا فيه، كانت محنة هائلة قاسـية كيف ذلك؟ كيف أخرج وأترك ابنتى وحـدها ووجهـها المطمئن المشـرق لا يفارق قلبى وصـوتها بكلماتهـا الندية يهز أوتار نفسـى؟! كيف أتركها وحـدها فى هذا المكان المظلم الموحش، تواجه بمفردها قسوة المعاملة . . ومـشاعرى فى نفسى وفؤادها تصرخ بشدة: كلا . . كلا لن أتركهـا. ويطول فى قلبى الصراع ويمتد وهى تدعونى: يا أماه يا أماه هذا فضل الله ورحمة منه والأمر كله لله والله لا ينسى عباده.

وطال الموقف وامتـد المشهد فـقال المأمور لابنتـى حميدة: اتـفضلى سلمى عليهـا وارجعى إلى الزنزانة. وفى لحظات مضت كـالبرق، فريدة فى نوعـها، وحيدة فى مـشاعرها. تعانقنا والدمع يخط مجـراه على الوجوه والقلب ينبض بسرعة والنفس يتردد، وكأنه يسابق الزمن وفى وسط لحظات خالدة من المشاعر وخلجات النفوس . وجدت نفسى وحيدة فى حجرة المأمور الذى أتم إجراءات

الخروج وانفطرت نفسى وتمزق قلبى والـدمع ينهمر، وأنا أخطو الخطوة الأولى إلى بيتى.

مساومة أخيرة

اختـرقت العربة الطريق إلى بيـتى، ولكن غيرت طريقـها فجـأة، ووجدت نفسى أمام مبنى المبـاحث العامة. ودخلت حجرة أغلقوا على بابهـا من الساعة الثانية عشرة ظهراً إلى التاسعة مساء حتى أخذونى إلى مكتب به ضابطان، أخذا يسألان أسـئلة تدور حـول الإسلام وهل أنت سـتقومـين بزيارة الإخوان بـعد ذلك؟!

كنت مشغـولة بابنتى حميدة فقلت لهمـا: ليس من العدل أن أخرج - وأنا المحكوم عليهـا بالمؤبد - وتبقى ابنتى وحيـدة. إنكم تريدون فتنة ولكن الله لن يحقق لكم ما تدبرون. قال : اهدئى يا حاجة. قلت : إنكم تكيدون كيداً والله من ورائكم محيط، والله غالب على أمره ولـكن أكثر الناس لا يعلمون. قال: يا حاجة دى أوامر من فوق لا نقدر على أن نخرج حد وليس لنا كلام.

ثم أخذونى إلى مـكتب أحمد رشـدى الذى كان يسـتخدم سـياطه ونفـسه المريضـة ليكيد رجـالاً ربط الله على قلوبهم برباط الإيمـان ولكن هيهـات .. هيهات.

ولما دخلت عنده طلب منى الجـلوس على مقـعد أمـامه وقـدم لى التهنئـة بالخروج. ثم دار بينى وبينه حديث كان عبارة عن جـملة أوامر وجهها لى كان ملخـصهـا أن لا أمارس النشـاط الإسلامى، وأن لا أتزاور بينى وبين إخـوانى ومعـارفى فى الله، ولا تعاون بيننا ولا تواد، وأن أتردد على مكتبـه بين الحين والحين.

فقلت له لما فرغ من حديثه: الكلام الذى وجهته إلىَّ أرفضه جملة وتفصيلا، بل أرفض قرار الأمر بالخروج وبلغ المسئولين بذلك وأطلب عودتى فوراً إلى سجن القناطر.

أنهى أحمد رشدى الحديث، وابتسم قائلا : «على أى حال فيه كثير من الإخوان تفاهموا معى على ذلك» فقاطعته قائلة : والله لا أعلم عن الإخوان إلا خيراً وأما ما تقوله أنت بالنسبة لبعض الإخوان فلا أستطيع أن أبدى رأيا .. لا أصدق صدوره منهم. إن الإخوان المسلمين ورثة حق يعملون له ليل نهار حتى يأتى الله بنصره أو يهلكوا دونه.

ودق جرس التليفون وأجاب أحمد رشدى قائلا : دعه يكلمنى. ثم قال : أهلاً وسهلاً يا أستاذ عبد المنعم اتفضل. نحن محتاجون إليك .. ووضع سماعة التليفون ثم قال لى أحمد رشدى : الأستاذ عبد المنعم الغزالى جاى هنا. وبعد قليل حضر شقيقى عبد المنعم وسلم علىَّ وهو يبكى. قال له أحمد رشدى: أنا أريد أن تحكم بينى وبين الحاجة لأننا مختلفان. فأجاب شقيقى : الحاجة أكبر منى وأنا شقيقها الأصغر، وليس من عادتى أن أناقشها فى شيء. أضف إلى ذلك - لو سمحت لى- أنها تمتاز بقوة منطقها وصحة حجتها فقال أحمد رشدى : طيب يا حاجة مبروك بس ملكيش دعوة بعمل تنظيمات مسلحة للإخوان. قلت: التنظيمات السرية أنتم الذين تلفقون قصصها وتخرجون تمثيلياتها. إن قيام الدولة الإسلامية واجب على المسلمين وعدتهم فى ذلك الدعوة إلى الله تعالى كما دعا رسوله ﷺ وصحبه الكرام. وهذه رسالة كل مسلم سواء كان من الإخوان أو غيرهم.

ثم انصرفت مع شقيقى إلى بيتى وكان ذلك فى الساعة الثالثة صباحاً فى اليوم العاشر من أغسطس سنة ١٩٧١.

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
إهداء	٣
مقدمة	٥
الباب الأول:	٩
عبد الناصر يكرهنى شخصيًا - أنا والاتحاد الاشتراكى - لا . . للطاغية - ماذا نفعل بعد ذلك؟ المساومة ثم المخادعة - خفافيش الليل - كلهم أحمد راسخ.	
الباب الثانى:	٢٧
وكانت بيعة - وسقط القناع - صرخات تنادى للواجب - على الطريق مع عبد الفتاح إسماعيل - الإذن بالعمل - وقفة مع زوجى - الاتصال بالشهيد سيد قطب.	
الباب الثالث:	٤٧
المؤامرة - وجاء دورى - الطريق إلى الحجرة ٢٤ - فى الحجرة ٢٤ - الزنزانة رقم ٣ - الرؤيا - ولكن الله ألف بينهم - عودة إلى دوامة التعذيب والمساومة - مندوب رئيس الجمهورية - وجوه غالية تدخل زنزانتى - وفاة رفعة مصطفى النحاس - الطعام عبادة - وجاء ليل . . ليل	

المساومة والعذاب - وجاء دور حمزة فى ليل المساومة - عودة إلى الزنزانة - وهبط ليل آخر - استراحة قصيرة - وما أقسى الليل - الفتنة فى حقيبة ملابس.. وخطاب من عبد الناصر.

الباب الرابع: ١٠١

مع شمس بدران زنزانة الماء والجريمة!! - إلى زنزانة الماء مرة أخرى - صرعت الوحش فى زنزانتى - من الفئران إلى الماء وبالعكس - من الماء إلى وكيل النيابة - السوط مع الرغيف - إلى المستشفى - مع شمس - مشهد تمثيلى بالإكراه - الحجرة ٣٢ - شموخ الإيمان وذلة الباطل - عبد الناصر أمر بإعدامى - فى مكتب الباشا - الوهم الكبير - إصرار شمس بدران على وهمه - تسلط الأقزام وتحكم الهوى - عذاب.. وفى المستشفى!!

الباب الخامس: ١٦٥

وسمع فرعون - أصل المؤامرة نكتة - محمد قطب - النيابة - الجولة الثانية مع النيابة - عودة إلى المكاتب - (١ - التعذيب) - (٢ - المال) - علبة اللحم المفروم - التجويع حتى فى المستشفى - وتاب الوحش - وقرب موعد المحاكمة - بشرى - اليوم الموعود (القضية الأولى من سبع قضايا قدمت للمحاكمة).

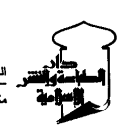
الباب السادس: ٢٠٧

محكمة - أجهل من الجاهلية - النطق بالأحكام - لحظات فى رضوان الله - المساومة الأخيرة قبل الإعدام - ونفذ الطاغوت أحكامه - الأيام الأخيرة بعد الأحكام فى السجن الحربى - ومات زوجى - وانضم إلينا جيران جدد - يجب أن يحاكم عبد الناصر.

الباب السابع: ٢٢٣

الانتقال إلى سجن القناصر ٥ يونيه - ليلة عذاب نفسى - صراع من نوع جديد - رأينا من ألد الأعداء.. إنسانية - الموت.. والطغاة - وتحرك الغشاء - ابتلاء جديد - مساومة أخيرة.

رقم الإيداع ٩٢٥٣ / ٩٩
الترقيم الدولى I.S.B.N.
977 - 265 - 255- 2



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣